علم اللاهوت العقيدى

الجزء الثانى

إعداد : دكتور
موريس تاوضروس
بالكلية الإكليريكية

تقـديـم
الأنبـا مـوسـى
الأسقف العام



بطريركية الأقباط الأرثوذكس
مكتبة أسقفية الشباب

سلسلة :

علم اللاهوت العقيدى

الجزء الثانى

تقديم
الأنبا موسى
الأسقف العام

دكتور
موريس تاوضروس
أستاذ علم لاهوت العهد الجديد

الكتـــاب : علم اللاهوت العقيدى (الجزء الثانى)
المؤلـــف : دكتور موريس تاوضروس
الناشـــر : مكتبة أسقفية الشباب
الطبعـــة : الأولى ١٢ سبتمبر ١٩٩١ أول توت ١٧٠٨
الجمـــع : جى. سى. سنتر ــ مصر الجديدة .
المطبعـــة : دار الطباعة القومية بالفجالة .
رقم الايداع: ٩١/٨٤٥٧



قداسة البابا المعظم الأنبا شنودة الثالث
بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

فهرس الكتاب

تقديم

يسعدنى أن أقدم للقارىء القبطى هذا الجزء من الموسوعة الشاملة والهامة فى « اللاهوت العقيدى » للأستاذ الدكتور موريس تاوضروس ، أستاذ العهد الجديد بالكلية الاكليريكية ، وأحد معالم البحث العلمى والدراسات بالكنيسة القبطية الأرثوذكسية .

وكنا قد أصدرنا الجزء الأول من هذه الموسوعة ، فى سبعة كتيبات ــ سيعاد طبعها لتصدر فى كتاب واحد إن شاء الله ــ عناوينها كما يلى :

١ ــ مفهوم العقيدة .
٢ ــ مصادر العقيدة .
٣ ــ منهج العقيدة .
٤ ــ الإعلان الإلهى .
٥ ــ الوحى والتقليد .
٦ ــ معرفة الله .
٧ ــ حول صفات الله .

+ + +

وها نحن نقدم الجزء الثانى من هذه الموسوعة ، ويشمل الأبواب التالية :

٨ ــ كيف نتعرف على صفات الله ؟
٩ ــ الثالوث القدوس .
١٠ ــ الإنسان صورة الله ــ السقوط والدينونة .

+ + +

يليه الجزء الثالث ــ يصدر فوراً إن شاء الله ــ ويتحدث عن :

١١ ــ خلقة العالم .
١٢ ــ العناية الإلهية .
١٣ ــ التدبير الإلهى ، وعلاقته بالمعجزة والصلاة والحرية الإنسانية .

١٤ ــ عالم الملائكة .
١٥ ــ عالم الشياطين .

+ + +

ومن الواضح أن هذه الدراسات المتعمقة ، هى حاجتنا الماسة ، لتنقذنا من السطحية ، وتدخل بنا إلى أعماق الدراسات اللاهوتية ، لعلنا نعود إلى عهد كان المؤمن العادى لاهوتيا ! وفى عصر العلم والبحوث ، لابد من الغوص فى الأعماق ، أعماق الخبرة اللاهوتية ، والدراسات الآبائية ، والفكر الإنسانى ، حتى نشبع بلآلىء مباركة ، تعب فى استخراجها علماء مباركون .

الرب يبارك هذه الدراسات بصلوات قداسة البابا شنوده الثالث ، العالم والمعلم ، ويعوض أ. د. موريس تاوضروس عن تعبه وجهاده ، من أجل الله ، والكنيسة ، والقارىء القبطى .

ونعمة الرب تشملنا جميعا ،

الأنبا موسى
الأسقف العام

١٢ سبتمبر ١٩٩١ م
عيد النيروز
أول توت ١٧٠٨ ش

الباب الثامن

كيف نتعرف على صفات الله ؟

- المنهج
- تصنيف وتقسيم الصفات الإلهية
- الصفات الإلهية فى علاقتها بالوجود الإلهى
- صفات الله فى صلتها بأعماله

١ ــ المنهج

عندما نحاول أن نحدد صفات الله ، يجب أن نؤكد ان الكتاب المقدس يعتبر المصدر الأساسى والمعصوم ، للتعرف على الصفات الإلهية . ويتم هذا التحديد بواسطة العقل المستنير بالإعلانات الإلهية فوق الطبيعية . وانطلاقا من علاقة الله بالعالم ، وبالنظر فى المخلوقات وفاعلية الله فيها ، يمكن القول أن هناك منهجين بحسبهما نحدد صفات الله :

المنهج الأول (Apagogy) :

وهو الانتقال من العام إلى الجزئى ، وقد استخدمه بعض الفلاسفة واللاهوتيين . ويقوم هذا المنهج على أساس اختيار صفة من الصفات الأساسية عند الله ، مثل صفة الوجود بذاته أو الجوهر القائم بذاته ، ومن هذه الصفة يتم بالتدريج استنتاج الصفات الأخرى .

فمثلاً من صفة الوجود القائم بذاته يمكن استنتاج ان الله هو المحرك الأول الذى لا يتحرك . ومن هذه الصفة الأخيرة نستنتج أن الله لا يتغير . ثم صفة السرمدية والبساطة وعدم المحدودية ، وهكذا بالتتابع .

المنهج الثانى (Epagogy) :

وهو الأكثر استعمالا ، فهو يقوم على النظر إلى الخليقة المحسوسة ، ومنها يصل إلى استخلاص الكمالات الإلهية .

ويتحقق هذا المنهج حسب اللاهوت المدرسى ، من خلال ثلاثة طرق :

١ ــ الإيجاب (الاثبات) Via affirmationis

الإيجاب فى اللغة هو الإثبات ، وهو فى الفلسفة الحكم بوجود محمول لموضوع ، وهو نقيض السلب ، كما أن الإثبات نقيض النفى . ويسمى أيضا بالسبب Via causalitatis .

والمقصود بالسبب هنا ، ما يلزم من وجوده الوجود ، ومن عدمه العدم .

٢ ـــ السلب Via negationis

والسلب مقابل للإيجاب . والمراد به انتفاء شيء عن شيء ، وهو الحكم بعدم وجود محمول لموضوع . وهناك كلمات كانت تدل على النفى أو السلب ، مثل : ما ، لم ، لن ، لا ، ليس . فهى عندما تدخل على القول تجعل معناه سلبيا ، مثل قولنا : ما هذا بشر . لم يأكل . اللامحسوس . اللانهاية . والواقع أنه لا يمكننا أن نتصور السلب بمعزل عن الإيجاب ، لأننا لا نستطيع أن ننكر وجود الشيء إلا إذا كان معناه متصوراً فى أذهاننا . وكما يقول بيرجسون : لولا توهمى أنك تعتقد أن المنصة بيضاء ، أو أنك كنت تعتقد ذلك من قبل ، لما قلت لك أن المنصة ليست بيضاء . ومعنى ذلك أن الحكم السلبى فى نظر بيرجسون حكم مشتق أو حكم على حكم ، تنفى به وجود الشيء رداً على القائل بوجوده . فالإيجاب إذن بديهى ، وهو الأصل فى الأشياء . أما السلب فإنه إضافى[١] .

٣ ـــ الرفعة والعلو Via eminentiae

والواقع أن هذا الطريق ليس ثالثاً بل هو تكميل للطريق الأول ، بمعنى أنه يخلص الصفات الإلهية من محدوديتها وينسبها إلى الله فى صورتها الكاملة ونموذجها الأسمى . فمثلاً صفة الكمال عندما تنسب إلى الله ، لا تنسب إليه فى المعنى النسبى الذى ينسب إلى المخلوقات ، بل تنسب إليه فى معناها المطلق .

ويعبر ديونيسيوس الأريوباغى عن هذه الطرق الثلاثة على النحو التالى[٢] :

١ ـــ التجريد aphersis

٢ ـــ التفوق ـــ الامتياز uperochy

٣ ـــ العلة أو السبب aitia

وبلا شك ، فإن هذه الطرق الثلاثة ترتبط معا . فإذا كان الله هو علة كل شيء ، أصبح من اللازم أن ينسب إلى الله كل ما هو صالح ومتميز ، مما ينسب إلى الخليقة ، ذلك لأنه من المستحيل أن تكون العلة أضعف أو أدنى مما تنتجه .

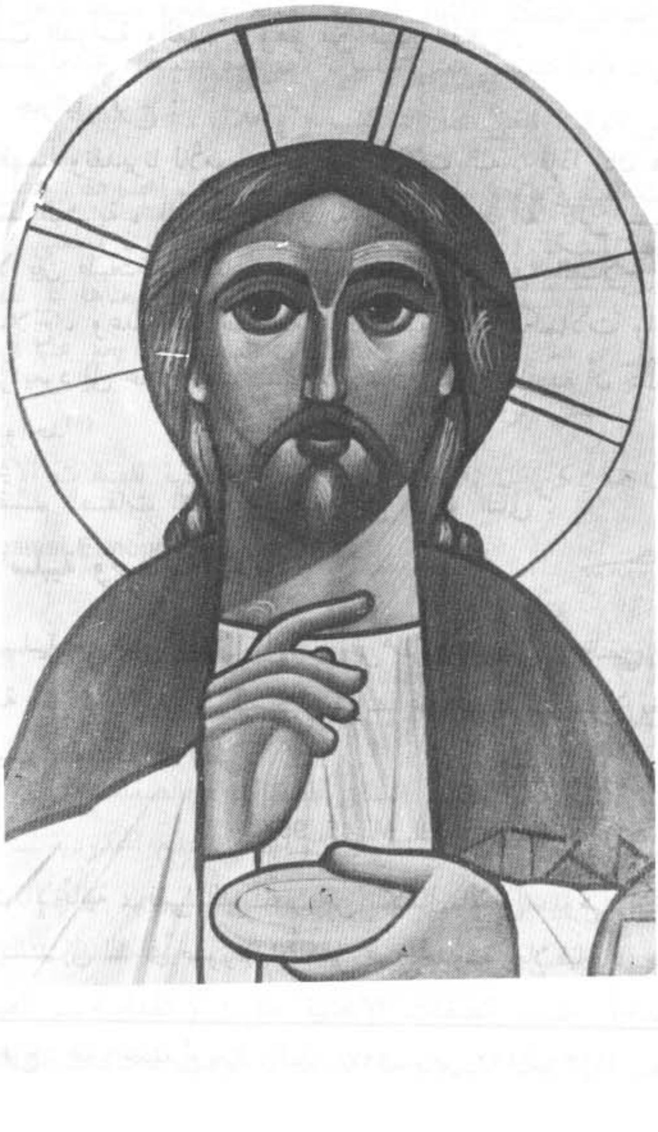
---

(١) **جميل صليبا** : المعجم الفلسفى ـــ المجلد الأول ـــ ص ٦٦٥ ـــ ٦٦٦ .

(2) VII, 3, M. 3, 869.

وعن طريق السلب نبعد عن الله كل نقص ، وكل عدم كمال ، مما يوجد فى الخليقة . وهكذا نصف الله : بلا بداية لا يفسد ، لا يموت ، غير المحدود ، غير المرئى ، غير المدرك . انظر :

1- Damasc. mnym. A'4, M. 94, 800.
2- Theodor. Hellen. Therap. Pathym. 11, M. 83, 856.
3- Dion. Areop. Myst. Theol. 11, M. 3, 1025.
4- M. Basil, against Eunom. 1, 10 M. 29, 533.



٢ ـ تصنيف وتقسيم الصفات الالهية

+ بصفة مبدئية ، نقول أن هذا التقسيم لا يوجد بصفة موضوعية فى الذات الإلهية . فالصفات الإلهية لا تتميز موضوعيا فيما بينها إلى صفات أعلى وصفات أقل ، أو إلى صفات جوهرية وصفات عرضية ، ولكن هذا يرد إلى محدودية الذهن البشرى ، الذى لا يستطيع أن يدرك فى نظرة واحدة جملة هذه الصفات وعمقها . فالتقسيم إذن هو بسبب مطالب الدراسة والفهم ، وهو من صنع الذهن .

يقول الأب جبرائيل فرح :

إننا بحسب فهمنا وتقديرنا للأمور ، نميز بين كمالات الله . فإذا كان هذا التمييز له ما يبرره فى مفاهيمنا البشرية ، فإنه لا وجود له فى الله ، إذ أنه كائن بسيط لا تمييز فيه بين كمالاته ، ولا بين طبيعته وكمالاته . فالواقع أن الله ليس فيه الصلاح أو العدل ، بل هو العدل والصلاح ، وعدله هو صلاحه . أن جميع هذه الكمالات واحدة ، فإذا ما عددناها ، فالأمر يعود إلى عجز عقلنا الذى لا يتمكن بنظرة واحدة أن يتناول الكل الذى هو لا محدود وواحد[١] .

ويمكن أن نقسم الصفات الإلهية ونصفها على النحو التالى :

أ ــ صفات سلبية وصفات إيجابية :

والصفات السلبية هى التى تنسب إلى الله عن طريق السلب أو النفى لصفات الخليقة المحدودة والناقصة مثل : بلا ندم ــ ليس شريراً ــ غير مضطرب ــ لا يغضب ــ عديم التأثر ــ بلا عيب ، وهكذا . انظر :

Greg. Nys. against Eunom. XII, M. 45, 957

وأما الصفات الإيجابية ، فهى التى تعبر عن الكمال الإلهى ، وهى أيضا تستنتج من الخليقة ، ولكن تسند إلى الله فى صورتها الأكمل غير المحدودة وبلا قياس ، مثل : صالح ــ

---

(١) **الأب جبرائيل فرح** : الله ، حقيقة أم خيال . لبنان ١٩٧٠ ــ ص ١١٢ ــ ١١٣ .

بار ــ حى ، انظر :

1- Theodor. Hellen. Therap. Pathym. 11, M. 83, 856.
2- M. Basil, against Eunom. 1, 10, M. 29, 533.

وبالنسبة للصفات السلبية ، هناك ملاحظتان :

١ ــ لكى يمكن تمييز الصفات السلبية ، يجب ألا نستند فقط إلى الشكل الحرفى للصفات ، بل نلجأ أيضا إلى المعنى الداخلى لها ، الذى يمكن أن يكون معنى سلبيا ، على الرغم من الشكل الإيجابى للصفة . فمثلاً صفة « بسيط » على الرغم من شكلها الإيجابى ، فإنها تتضمن معنى سلبيا ، لأن هذه الصفة ، عندما تسند إلى الله ، فهى فى نفس الوقت تنفى عنه التركيب والإنحلال .

٢ ــ الصفات السلبية بوجه عام ، تميز الله عن المخلوقات المحدودة . وعلى ذلك فهى سلبية من ناحية الشكل ، ولكنها إيجابية من ناحية المضمون والمعنى ، وتناسب بصورة أفضل كمال الله البسيط وغير المحدود ، لأنها تبعد عن معناها كل نقص وكل تحديد ، مما تتصف به الخليقة المحدودة . فالصفات السلبية إذن يعبر عنها فى عبارات سلبية . ولكنها فى نفس الوقت تحمل كمالا إيجابياً .

وهذا أيضا ما يمكن أن نلاحظه بدرجة ما ، بالنسبة للصفات الإيجابية . أنظر :

Greg. Nys. against Eunom XII, M. 45, 953.

ب ــ صفات تمنح وصفات لا تمنح أو صفات يمكن أن يهبها الله للبشر ، وصفات تختص بالله ولا يشاركه فيها البشر :

ويتفق هذا التقسيم مع التقسيم السابق للصفات ، فالصفات التى لا تعطى للبشر هى التى تختص بسمو الله وامتيازه (مثل : البساطة ــ عدم المحدودية ــ الوجود بذاته) ، وهى الصفات التى تدخل ضمن مدلول الصفات السلبية ــ كما أشرنا سابقاً ــ أى التى ترفع عن الله كل نقص وتحديد تتصف به المخلوقات . أما الصفات التى توهب للبشر ، فهى التى تدخل ضمن الصفات الإيجابية مثل : (القداسة ــ الصلاح ــ الحق ــ المحبة) ، وهى التى يمكن ــ بدرجة ما ــ أن توهب للكائنات العاقلة .

والبعض يطلق على هذا النوع من التقسيم ، بالصفات المشتركة وغير المشتركة[1] .

حـ ـــ صفات تختص بالوجود الإلهى ، ويسميها البعض بالطبيعية natural وصفات تتصل بفعل الله (energy) فى الخليقة ، وتتضمن صفات أخلاقية وأخرى عقلية :

وبلا شك ، إن هذا الفصل بين الوجود والفعل ، هو فصل وتمييز عقلى ، لأنه لا يمكن أن يفهم الوجود الإلهى بلا فاعلية أو عمل .

د ـــ صفات نسبية وصفات مطلقة :

ذكرنا أن هناك صفات نتصورها من خلال علاقة الله بالخليقة . وهنا يكون التمييز بين الصفات النسبية والمطلقة . الصفات النسبية تشير إلى علاقة الله نحو ما هو فى الخارج ، أما المطلقة ، فهى التى تخص الله ، والتى تتسم بما فيها من امتياز وتفوق . على أننا نلاحظ أن الصفات النسبية هى مثل الصفات المطلقة ، ضرورية وسرمدية . ففعل الخلق مثلاً يكون أيضاً ضمن ما هو ثابت غير متغير ولا يضيف أية إضافة على الجوهر الإلهى .

والواقع ، إننا لا نجد فى الكتاب المقدس نهجاً لتقسيم صفات الله ، وإنما لجأ اللاهوتيون إلى مثل هذا التقسيم فى محاولة تفهم الذات الإلهية وصفاتها .

وعلى هذا النحو ، سوف ندرس نحن صفات الله ، وسوف نتبع منهجاً تشترك فيه الطوائف جميعها ، الأرثوذكسية والكاثوليكية والبروتستانتية ، من حيث أنها تدرس هذه الصفات بالنسبة للوجود الإلهى فى ذاته ، والصفات الإلهية فى علاقتها بالخارج .

ولسنا نستطيع الزعم بأن هذا التقسيم كامل ، ويخلو من كل نقص ، ذلك لأن الصفات الأقنومية التى تختص بكل أقنوم على حدة (مثل الميلاد ، الذى يخص الابن) ، تدخل ضمن الصفات التى تتصل بالوجود الإلهى . ولكننا آثرنا لحاجتها إلى دراسة مفصلة واضحة ، ان نتناولها فى دراسة مستقلة ، عندما نتحدث عن الثالوث القدوس .

---

(١) انظر كتاب : اللاهوت النظامى للكنيسة الإنجيلية ـــ ص ٢٣٨ .

٣ ـ الصفات الالهية فى علاقتها بالوجود الالهى

إن الصفات الإلهية التى تتعلق بالوجود الإلهى ، هى تلك الصفات التى تعطى من قبلنا للطبيعة الإلهية فى ذاتها ، ونحن ننظر إليها منفصلة عن الخليقة . وهذه الصفات تتخذ أساسها من النظر إلى الله ككائن مطلق يكفى ذاته بذاته ، ويتجاوز حدود المكان والزمان . وهو الذى بلا احتياج والمغتبط ، وبسبب طبيعته الروحية المطلقة ، لا يرى ولا يدرك من العقل البشرى المحدود . وبكلمات أخرى ، فإن الله ذات الكمال غير المحدود ، هو فوق كل ما هو محدود وناقص ، ويملك كل كمال بشكل مطلق . وتبعا لذلك ، فإن الله من حيث أنه لا يعتمد على أحد أو شىء ما ، فهو له وجود ذاتى ، ليس فقط من حيث أنه يوجد بذاته ولا يعتمد فى وجوده على آخر ، ولكن من حيث أنه أيضا يعطى الوجود لكل ما هو خارج عنه وقد خلقه من لا شىء . ثم ان الله ، من حيث أنه يتجاوز الزمن فهو بلا بداية ولا نهاية ، سرمدى (أزلى وأبدى) وليس فيه الماضى والمستقبل بل هو حاضر دائم بلا انقطاع ، ولذلك فهو لا يتغير ، لأن كل تغير يعنى الزمن . والله بعيد عن جريان الزمن ، لأنه هو الذى خلق الزمن بفاعليته الحرة وبتدخله فى خلقة العالم . والله من حيث أنه يتجاوز المكان المحدود ، فهو لا يسعه مكان ، ويوجد فى كل مكان ، ولا يحتويه شىء ، ولكنه هو فوق كل شىء ، ويحوى كل شىء دون أن يختلط بشىء ، وهو يملأ الكل . وهو من حيث أنه روح مطلق غير محدود الكمال ، لا يرى ولا يدرك حتى من الملائكة . والله من حيث أنه يملك كل كمال فيه ، دون أن يكون فيه ما يؤسف أو ما هو ليس مرغوب فيه ، فهو لذلك مغتبط اغتباطا مطلقاً .

هذه هى بعض الصفات التى ترتبط بالوجود الإلهى والتى سوف نتناول الحديث عنها فى شىء من التفصيل .

١ ــ الله غير المحدود وغير المتناهى :

يدعى الله غير محدود ، فهو لا يمكن أن يحده لفظ ، وهو مجرد عن كل ما هو محدود وناقص ، وهو يملك بصورة مطلقة غير محدودة وغير مقيدة كل كمال . له جوهر غير محدود وغير متناه ، أنظر :

1- Dion. Areop. M, 4, 41

2- Greg. Naz. Log. 38, 7, M. 36, 317

ويؤكد الكتاب المقدس غير محدودية الله ، على نحو ما يبدو من الآيات التالية :

« **عظيم هو الرب وحميد جداً ، وليس لعظمته استقصاء** »

(مز ٣:١٤٥)

« **عظيم هو ربنا وعظيم القوة ، لفهمه لا إحصاء** »

(مز ٥:١٤٧)

« **هوذا الله عظيم ولا نعرفه ، وعدد سنيه لا يفحص** »

(أيوب ٢٦:٣٦)

وقد نسبت لله وحده الصفات الصالحة بصورة مطلقة ، باعتباره هو مصدرها الوحيد ، كما يبدو من الآيات التالية :

« **المبارك العزيز الوحيد ملك الملوك ورب الأرباب** »

(١تى ١٥:٦)

« **ليس أحد صالحاً إلا واحد وهو الله** » (مر ١٨:١٠)

« **لله الحكم وحده** » (رو ٢٦:١٦)

« **ليس قدوس مثل الرب ، لأنه ليس غيرك** » (١صم ٢:٢)

وهو عظيم جداً لدرجة أن « **كل الأمم كلا شيء قدامه ، من العدم والباطل تحسب عنده** » (إش ١٧:٤٠) .

وهذا ما أكده الآباء أيضا ، فقد تحدثوا عن عدم محدودية الله . الله بالطبيعة غير محدود ولذلك لا يمكن الإحاطة به ، ولا يمكن لأى لفظ أن يحتويه . أحد لا يستطيع أن يدرك الله ، فهو خارج عن كل تحديد ولا يمكن أن يحد بأى اسم أو صفة ، وهو على الدوام ملىء بالصلاح ، بل هو ملء الخيرات والصالحات ، وهو كامل بل فوق الكمال وقبل الكمال . أنظر :

1- Greg. Naz. Log. 38, 7. M. 36, 317.

2- Greg. Nys: against Eunom. 111, M. 5, 601 + 1X, M. 45, 808.
about not being three Gods, M. 45, 129.

3- Damas. mnym. A. 5, M. 94, 801.

ويرتبط إدراكنا بعدم محدودية الله ، بإدراكنا لعدم محدودية الكمال الإلهى . إن الله هو الكمال غير المحدود الذى فيه يقوم كل كمال . هو كامل فى النظم ، كامل فى القدرة .

كامل فى العظمة . كامل فى المعرفة . كامل فى الصلاح . كامل فى البر . كامل فى المحبة . ليس كاملاً فى شيء وناقصاً فى شيء آخر ، بل هو متشابه مع نفسه فى كل شيء . ليس هو عظيماً فى المحبة وصغيراً فى الحكمة ــ بل تتساوى فيه المحبة والحكمة . والواقع ان الله مهما حاولنا أن نصفه ، فليس من الحكمة لنا أن ندركه . ليس نحن فقط ، بل وحتى الملائكة ، تعجز عن ذلك . انظر :

Cyril. Jer. Catech. V1, 8, 5, 10, M. 33, 552, 542, 553.

٢ ــ الوجود الذاتى لله (قيام الجوهر الإلهى بذاته) :

يرتبط بعدم محدودية الله ، كونه ذاتى الوجود ، أو كما ذكرنا سابقاً ، يقوم جوهره بذاته (autousia) . هذه الصفة تختص بالله ، ولا يمكن أن تعطى لكائن آخر إلا لله غير المحدود ، الذى له الحياة فى ذاته « ***لأنه كما أن الآب له حياة فى ذاته ، كذلك أعطى الابن أن تكون له حياة فى ذاته*** » (يو ٥:٢٦) « ***إذ هو يعطى الجميع حياة ونفسا وكل شيء ، وصنع من دم واحد كل أمة من الناس يسكنون على وجه الأرض .. لأننا به نحيا ونتحرك ونوجد*** » (أع ١٧:٢٥ــ٢٨) .

ويشير القديس أوغسطينوس ، كما لو أن الله هو وحده الذى يوجد ، حتى أنه بالمقارنة به ، فإن الموجودات التى خلقها لا تكون موجودة :

August: Psalm. 134, 4, M. 37, 1741.

ويتكلم القديس اكليمنضس الاسكندرى عن الله باعتباره الموجود الوحيد ، الذى كان والكائن والذى سيكون :

Clem. Alex. Paid. 1, V111, B. 7, 112.

وتحدث ديونيسيوس عن الله باعتباره الكائن بالحق وعلة المخلوقات :

Dion. Areop. about Gods' names 5, 1V, M.3, 818.

وتحدث القديس أثناسيوس الرسولى عن الله بما يتصف به من حكمة ذاتية وحق ذاتى ، ونور ذاتى وفضيلة ذاتية ، وقوة ذاتية وبر ذاتى :

Athanas. against Hellen. 46-47, M. 25, 93.

ويتحدث ديونيسيوس الأريوباغى عن الله ، أيضا بصورة مشابهة للقديس أثناسيوس الرسولى ، فهو حى بذاته وصالح بذاته وحكيم بذاته :

Dion. Areop. ibid 2, 1, 8 + 5, 5, M. 3, 636, 645, 820.

ويوحنا الدمشقى . بالإضافة إلى الحديث عن الله ، باعتباره حياً بذاته ونوراً بذاته ، وصالحاً بذاته ، يستعمل أيضا كلمة الجوهر القائم بذاته (autousia) :

Damas. mnym. A, 8, M. 94, 808.

وكان أنسلم أول من أدخل فى الغرب الكلمة المرادفة "aseitas" التى تعنى القيوم أو القائم بذاته .

وفى المعاجم الفلسفية ، فإن الموجود بذاته ، هو الذى لا يستمد وجوده إلا من نفسه ، وليس له سبب متقدم عليه ، لا فاعل ، ولا صورة ولا مادة ، ولا غاية ، وهو المحرك الأول والواجب الوجود ، وهو الموجود الذى لا يجوز مطلقاً افتراض أنه غير موجود ، وهو المبدأ الأول[١] .

٣ ـــ مكتف بذاته :

ومن بين الصفات التى يدركها الإنسان بعقله عن الله ، الاكتفاء الذاتى لدى الله . الله مكتف بذاته . ويؤكد الكتاب المقدس هذا المعنى كما يبدو من الآيات التالية :

« أنت ياإله الجميع الذى ليس لك احتياج إلى شىء »

(مكا ١٤:٣٥ »

« ولا يخدم بأيادى الناس كأنه محتاج إلى شىء ، إذ هو يعطى الجميع حياة ونفساً وكل شىء » (أع ١٧:٢٥)

« لأن لى المسكونة وملأها . هل آكل لحم الثيران أو أشرب دم التيوس » (مز ٥٠:١٣)

ونحن نعبد الرب ، ليس لأن الرب فى حاجة إلى عبادتنا ، بل لأننا نحن الذين نحتاج إلى المشاركة فى نعمه وهباته السماوية . انظر :

Chrys. Psalm. 144, 4, Monf. 5, 560.

(١) **جميل صليبا** : المعجم الفلسفى ـــ المجلد الثانى ـــ ص ٤٤٤ .

على ان الإكتفاء الذاتى لدى الله ، لا يفهم فهما أنانياً ، كما هو الحال عند بعض الفلاسفة ، حيث يكون الله مغلقاً على ذاته ، بل على عكس ذلك ، فإن الله يهب محبته لخليقته دون أن يظهر أى احتياج لشيء مقابل :

Athanas. against Hellen. 28, M. 25, 56.

وعلى الرغم من أن « **« الرب عال فوق كل الأمم ، فوق السموات مجده » « الساكن فى الأعالى »** ، إلا أنه هو أيضا « **« الناظر الأسافل فى السموات وفى الأرض . المقيم المسكين من التراب ، الرافع البائس من المزبلة ليجلسه مع أشراف ، مع أشراف شعبه . المسكن العاقر فى بيت أم أولاد فرحانة »** (مز ١١٣:٤ــ٨) « **لأنه هكذا قال العلى المرتفع ، ساكن الأبد ، القدوس اسمه . فى الموضع المرتفع المقدس اسكن ، ومع المنسحق والمتواضع الروح ، لأحيى روح المتواضعين ولأحيى قلب المنسحقين** » (إش ١٥:٥٧) .

إن الكتاب المقدس يؤكد على أمرين :

الأمر الأول ، هو عدم احتياج الله واكتفائه بذاته .

الأمر الثانى ، أنه يهب للجميع كل شيء . انظر :

Cyril. Acts 38, 3, Monf. 9, 321.

٤ ــ الله سرمدى (أزلى أبدى) :

إن الله ، هذا الكائن المطلق الذى يوجد بذاته وليس له احتياج للغير ، لا يمكن تصوره . إلا أنه ــ من الناحية السلبية ــ يتجاوز الزمن الذى فيه تقوم وتتحرك الموجودات التى خلقها ، و ــ من الناحية الإيجابية ــ فهو يملأ الزمن وهو حاضر فى الزمن فى أية لحظة من اللحظات .

وفى كلمات أخرى : الله بلا بداية وبلا نهاية . الله يختلف عن الإنسان ، فهو لم يولد ولم تكن له بداية فى زمن ، ولن تنتهى حياته مثل الإنسان ليبدأ فيما بعد حياة أخرى تتبع هذه الحياة . انظر :

Curil of Jer. Catech. 1V, 4 M. 33, 457.

الله إذن أزلى أبدى ، ويعبر الكتاب المقدس عن سرمدية الله فى العبارات التالية :

« *قبل أن تولد الجبال أو أبدأت الأرض والمسكونة ، منذ الأزل إلى الأبد أنت الله* »

(مز ٢:٩٠)

« *أما أنت يارب فإلى الدهر جالس وذكرك إلى دور فدور* »

(مز ١٠٢ ١٢)

« *إلى دهر الدهور سنوك . من قدم أسست الأرض ، والسموات هى عمل يديك . هى تبيد وأنت تبقى وكلها كثوب تبلى . كرداء تغيرهن فتتغير . وأنت هو وسنوك لن تنتهى* »

(مز ٢٤:١٠٢ـــ٢٦)

« *الذى وحده له عدم الموت* » (١تى ١٦:٦)

« *لأن ألف سنة فى عينيك مثل يوم أمس بعد ما عبر ، وكهزيع من الليل* » (مز ٤:٩٠) (أى أن كل الزمن ليس شيئاً أمام الله) .

« *إن يوماً واحداً عند الرب كألف سنة ، وألف سنة كيوم واحد* »

(٢بط ٨:٣)

+ عندما نتحدث عن الأبدية ، فنحن ككائنات محدودة نتحرك فى زمن ، نعجز عن أن نكون التصور السليم عن الأبدية ، ونتصورها كمجرد تتابع غير محدود وغير نهائى للحظات الزمنية . لكن الله يتجاوز الزمن بصورة مطلقة ، ولا يوجد بالنسبة له زمن ولا جزء من الزمن ، فهو لا يخضع للحساب الزمنى :

Greg. Theol. Log. 38, Ch 8 + 7, M. 36, 320, 317.

وكما يلاحظ Bartmann ، ان مفهوم الأبدية ، تكون لدينا من خلال إدراكنا للزمن ، وهو فى تصورنا أطول مدة من الزمن ، ومن أجل ذلك ، فإننا لا نعبر تعبيراً سليماً عندما نتكلم عن الله الذى هو بلا زمن وبلا بداية وبلا نهاية ، فنتحدث عن أبدية الله فقط فى مقابل المخلوقات الزمنية .

وكما تشير المعاجم الفلسفية ، فإن الأبد هو مقابل للزمان . فكل حادث وكل موجود ومتناه هما فى الزمان . أما الموجود الأبدى فليس حادثاً وليس له قبل ولا بعد ، بل هو الحاضر الأبدى وهو فوق الزمان . وعلى ذلك ، فالفرق بين الأبد والزمان ليس بالرتبة

والمقدار (كالفرق بين العدد الغير متناهي والعدد المتناهي) وإنما هو بالطبع ، لأن أحدهما غير منقسم والآخر منقسم إلى غير نهاية ، وليس بينهما مقياس مشترك . إن هذا الأبد اللازماني هو المعنى الذى أخذ به توما الاكويني وديكارت ومالبرانش وليبنتز وكانت وغيرهم[1] .

إن الأبدية حسب رأى القديس أوغسطينوس هى جوهر الله ، وهو لا يقبل التغير وليس فيه ماض ولا مستقبل ، بل هو حاضر دائم :

August: Psalm. 101, 2, 10. m. 37, 1311.
Conf. X1 C. 13, 16, m. 32, 815.

يقول الأب جبرائيل فرح :

التعاقب ليس له محل فى وجود الله . وديمومته لا تخضع للزمن مع ماضيه ومستقبله ، فإنه يتمتع بنوع كامل فى حاضر دائم بكل حياته . والعنصر المقوم الأساسى لهذه الأزلية هو امتلاك الكيان امتلاكاً يشمل فى آن واحد الماضى والحاضر والمستقبل ، حتى إن كل ما فى الزمن حاضر لدى الله منذ الأزل . إن الله هو خارج الزمن فى حاضر دائم أبدى . والبرهان على ذلك أن الوقت قابل للتجزئة ومعناه التبدل والتتابع والصيرورة ، وهو مكون من ماض قد انقضى ومستقبل لم يحن بعد ، ومن حاضر يتهرب بين الماضى والمستقبل ، فهو إذن غير كامل ، والله هو الكمال بالذات . ويقول أيضا : مما يساعدنا على تكوين فكرة عن مفهوم الأزلية ، الحقائق الأبدية ، التى هى هكذا فى الماضى والحاضر والمستقبل ، والتى تفلت من إطار الزمن . فهذه الحقيقة مثلاً « الجزء أصغر من الكل » ، تتملص من الزمن ، فإنها حقيقة قبل وبعد ألوف السنين ، وستبقى حقيقة فى حاضر دائم أبدى »[2] .

يقول الرسول بولس « **وملك الدهور الذى لا يفنى** » (١تى ١:١٧) .

وبالنسبة إلى أوشليم السماوية ، يقول الرسول يوحنا « **لا يكون زمان بعد** » (رؤ ١٠:٦) .

---

(١) **جميل صليبا** : المعجم الفلسفى — المجلد الأول — ص ٢٩ ، ٣٠ .

(٢) **الأب جبرائيل فرح** : الله — ص ١٣٦ ، ١٣٧ .

+ وإذا كان الزمن لا يوجد بالنسبة لله ، فليس فى الله تغير أو تتابع لأن هذه الأمور تخص الزمن ، فإن الله عندما خلق العالم ، أخذ الزمن بدايته ، ولذلك فإن الله هو « ملك الأزمنة والدهور » انظر :

Dion. Arepop. about Gods' names. Ch. 5, 1V, M. 3, 817.

+ هناك جانب إيجابى لأبدية الله . فإن الله الذى هو فوق الزمن ويتجاوزه ، يتجه فى محبة ورفق نحو المخلوقات الزمنية التى أخذت وجودها منه حسب مشيئته . وهكذا فإن أبدية الله غير الزمنية لا تعوق فاعليته فى مجرى الأحداث التى تتم فى زمن . إنه ينظر إلى المخلوقات الزمنية من خلال نوره الأبدى ، ولكن ليس للزمن أى تأثير عليه .

٥ ــ الله لا يتغير :

+ إن التغير ــ من الوجهة الفلسفية ــ هو كون الشىء بحال ، لم يكن له من قبل ذلك ، أو هو انتقال الشىء من حالة إلى حالة أخرى . ومن التغير ما يكون فى الجوهر ، وهو الذى يسمى بالكون المطلق والفساد المطلق ، ومنه ما يكون فى الكيف وهو الذى يسمى استحالة ، ومنه ما يكون فى الكم وهو الذى يسمى انتقالا ، ومنه ما يكون فى الزمان وهو الذى يسمى تتابعا[1]

وعلى ذلك يمكن القول ، إن صفة الثبات وعدم التغير ، ترتبط مع صفة السرمدية ، ارتباطا لا ينفصل . فالجوهر الإلهى لا يتعرض لأى نوع من أنواع التغير ، وكما يشير القديس كيرلس الأورشليمى ، لا تعتريه أية زيادة أو نقصان ، بل يظل على الدوام كما هو وعلى النحو الذى كان عليه :

Cyril of Jer. Catech. 1V, 4, 5. M. 33, 457, 460.

والرسول يعقوب ، يعبر عن هذه الصفة فيقول « ***الذى ليس عنده تغيير ولا ظل دوران*** » (يع ١:١٧) .

وجاء فى نبوة ملاخى « ***لأنى أنا الرب لا أتغير*** » (ملا ٣:٦) .

---

(١) **جميل صليبا** : المعجم الفلسفى ــ المجلد الأول ــ ص ٣١١ .

+ إن عدم التغير — كما قلنا — يرتبط ارتباطاً جوهرياً بسرمدية الله ، ذلك لأن أى تغير فى الذات الإلهية يعنى أننا ندخل فيها عنصر الزمن . فإذا قلنا بسرمدية الله ، نقول حتماً وفى نفس الوقت بعدم التغير . انظر :

1- Greg. Nys. against Eunom. 1, M. 45, 434.
2- Tertull. adver. Prax. XXVII. m. 2, 214.

+ إن عدم المحدودية التى يتصف بها الله لا تقبل زيادة أو نقصان ، فإذا كانت اللامحدودية تقبل زيادة ، فقد توقفت عن أن تكون كذلك ، كذلك فإن اللامحدودية لا تقبل النقصان ، فهى من حيث أنها كمال غير محدود ، لا تطرح شيئاً منها ، وليس فيها ما يطرح . انظر :

Greg. Nys: against Eunom X11, M. 45, 933 + 11, M. 45, 471.

وإذا قيل أن الله يقبل الحركة « ***اقتربوا إلى الله فيقترب إليكم*** » (يع ٤:٨) ، فهو إذن متغير ، فيرد على ذلك الأسقف إيسيذوروس فيقول :

نسلم أن الحركة تنسب إلى الله بطريق المجاز فقط ، لأن الحركة من مستلزمات المادة وما يقابلها كالروح المخلوقة فقط ، ولكن الله منزه عن المادة ، وليس هو فى مقام الروح المخلوقة ، وهذه لا تتحرك إلا بما لها من القوة على الحركة ، ولذا فهى فى امكانها أن تتحرك وأن لا تتحرك ، كما كان فى الإمكان أن توجد مبدئياً وأن لا توجد ، وذلك بخلاف الله ، الذى هو فعل محض لا تخالطه قوة ولا تنسب إليه حركة ما ولا تغيير . والرسول يعقوب ما عنى بقوله هذا أن يشير إلى الحركة والانتقال ، بل العناية والحفظ والنعمة التى يشمل بها الله الطائعين ، ويحجبها عن العاصين المتمردين ، وذلك على قياس قوله « دخلت الشمس الغرفة وخرجت من الغرفة » . وأنت تعنى بذلك ، نورها واشعتها فقط دون قرصها[1] .

+ إن التغيرات التى ترتبط بفعل الله فى الخلقة وفى تدبيره للعالم ، ترتبط بالعالم وبالإنسان ، أما بالنسبة لله ، فهو يظل دائماً هو هو لا يتغير . ولقد تحدث owen فى هذا الشأن فقال :

إذاً ظن البعض أنه بميلاد الكلمة ابن الله ، وبخلقة العالم ، حدث تغير فى طبيعة

(١) **الأسقف ايسيذوروس** : المطالب النظرية فى المواضيع الإلهية — ص ٢٩١ .

الله ، فإننا نجيب بالآتى :

إن ميلاد الإبن هو ميلاد جوهرى وأزلى فى جوهر الله وهو ليس له بداية ولن ينتهى أبداً . وعلى ذلك فإن هذا الميلاد لا يتسبب عنه أى تغيير فى طبيعة الله . وأما بالنسبة إلى الخليقة ، فإنها تغيير علاقة وليس تغيير طبيعة ، كما يلاحظ يوحنا الدمشقى (٨:١) . وانظر ايضاً :

Origen: against Cels. IV, 14. B. 9, 242.

وبلا شك ، فإن عدم تغير الله ، عند علاقته بأمور زمنية ، مثل خلقة العالم وخلقة الإنسان ، تظل بالنسبة لنا سراً غامضاً يصعب إدراكه . إنه يصعب علينا أن ندرك كيف أن أعمال الله الحرة التى تتم فى زمن ، تتفق مع العمل الإلهى الأزلى الخالص البسيط (actus purus) وتكون معه وحدة لا تنفصم ولا تنقطع . وعلى أية حال ، فإن الله لا يتغير بمجرى الأحداث التى تختص بالعالم وبالإنسان . إن عمل الله بسيط ولا تتغير بساطته بسبب خلقته وتدبيره للعالم ، مثل الشمس التى تسقط أشعتها فى كل مكان ودائماً ، ودون أن تتغير طبيعة أشعتها ، فإن تأثيرها يختلف من شىء إلى شىء ، حسب طبيعة هذا الشىء ، فقد تكون مبعث حياة بالنسبة لشىء وموت بالنسبة لشىء آخر . ومع ذلك — فإن التأثيرات المختلفة لأشعة الشمس لا تتعارض مع طبيعة أشعة الشمس الواحدة ، فأشعة الشمس هى هى على الرغم من تأثيرها المختلف . هكذا الأمر أيضا بالنسبة لبساطة العمل الإلهى الأزلى ، فهو هو لا يتغير على الرغم من الأعمال الإلهية المختلفة التى تتم فى زمن .

إن كل ما يفعله الله فى زمن ، هو معروف لدى الله منذ الأزل فى خطته السرمدية . وأيضا فى تجسد الكلمة لم يحدث أى تغيير فى الطبيعة الإلهية باتحادها بالطبيعة الناسوتية ، وفق ما نقول « بلا اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير » . إن خطة الله للخلاص بواسطة المسيح وجدت عند الله منذ الأزل ولم تنشأ فيما بعد ، أى لم تحدث إضافة أو زيادة فى خطة الخلاص الإلهى ، حتى يقال أنه قد حدث تغيير فى الله ، بل — كما لاحظ القديس أوغسطينوس — أن محبة الله أيضا نحو البشر لم تتغير ، لأن الله كما يبدو من (رو ٥:٨) « ***بين محبته لنا . لأنه ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا*** » أى أن محبة الله لنا لم تنشأ فيما بعد عندما تجسد المسيح وصلب عنا ، بل قبل تكوين العالم . انظر :

August, in John. 110, 6 m. 35, 1923.

+ فإذا تحدث الكتاب المقدس عن غضب الله وندامته ، فهذه وغيرها انفعالات بشرية ، استعملت للتعبير عن مواقف الله تجاه البشر ، ولا تعنى مطلقاً أن تغييراً ما قد دخل من الخارج على الطبيعة الإلهية ، التى كما قلنا هى طبيعة لا تتغير ولا تتأثر بشيء ما .

إن العمل الإلهى ، الذى يظل كما هو على الدوام ، ولا ينتقل من حال إلى حال أو لا يصير شيئاً لم يكنه من قبل ... هذا العمل الإلهى على الرغم من أنه عمل واحد فى طبيعته ، يؤثر على البشر تأثيراً يختلف من شخص إلى شخص ، تبعاً لأختلاف الأشخاص ، كما يحدث بالنسبة لأشعة الشمس الواحدة ، التى يختلف تأثيرها تبعاً لأختلاف الأشياء التى تقع عليها ، فنتحدث عن تأثيرات مختلفة لأشعة الشمس ، دون أن نتحدث عن اختلاف فى أشعة الشمس ذاتها .

إن العمل الإلهى يحيى الإنسان وينيره ، إذا كان الإنسان يستجيب لهذا العمل ويتقبله ويفتح قلبه لروح الله فتعمل فى داخله ، ولكن من ناحية أخرى ، فإن هذا العمل الإلهى بعينه ، يظلم هذا الشخص عينه ويظهر فى صورة غضب إلهى ينزل عقابه عليه ، عندما يتغير هذا الشخص ويغلق قلبه عن العمل الإلهى ، ويقاوم روح الله القدوس . وعلى هذا فإن التغيير يحدث فى الإنسان نفسه وليس فى الله . انظر :

August, Sermon XX11. 6, 38, m. 152

وكما يقول القديس أوغسطينوس ، فإن أشعة الشمس تبدو هادئة إذا سقطت على العيون السليمة ، بينما تكون كالسهم المؤلم للعيون المريضة :

August, Ps. 72, 7. m. 36, 918.

وعلى هذا النحو ، فإن العمل الإلهى يظهر فى صور مختلفة ، فهو يختلف فى علاقته مع الإنسان الخاطىء عنه فى علاقته مع الإنسان ذات الاستعداد الطيب (أو مع الإنسان التائب) . لكن العمل الإلهى نفسه يظل عملاً ثابتاً لا يتغير ولا يُمس ، فما يوصف به الله من رضى أو غضب ، يعكس أحوال الإنسان المختلفة من فضيلة أو رذيلة ، دون أن يعنى ذلك أن تغييراً ما قد حدث فى الله أو فى الطبيعة الإلهية . انظر :

Damasc. against Manich. 80, M. 94, 1580.

ويقول الأب جبرائيل فرح :

إن المرآة تُظهر لنا تارة وجها غاضبا ، وطورا ، وجها حكيما ساكنا . إن التبدل الطارىء لا يعزى فى هذه الحال إلى المرآة التى لا تتبدل ، بل إلى الإنسان ذاته المتبدل[١]

٦ ــ حضور الله فى كل مكان :

« الوجود فى كل مكان » Ubiquity ، هو اصطلاح لاهوتى يرادف لاصطلاح « الحضور الكلى » omnipresence ، أى أن الله موجود بكليته فى كل مكان[٢] .

وكما أن الله يتجاوز كل تحديد زمنى ، هكذا فإن الله هو فوق كل تحديد مكانى . الله إذن لا يوصف فقط بكونه بلا زمن ، وأبدى وغير متغير ، بل أيضا هو حاضر فى كل مكان كروح مطلق غير محدود .

إن كون الله غير محدود ، يجعل صفة « الوجود فى كل مكان » تحسب ضمن الصفات التى تتصل بالوجود الإلهى أو بالكيفية التى يوجد عليها الله . إن صفة الوجود فى كل مكان ، هى بعينها صفة لا محدودية الجوهر الإلهى.

إن الله غير المحدود ، منظورا إليه فى ذاته ، يدرك على أن الابن فى الآب والروح القدس ، والآب والروح القدس فى الابن ، والروح القدس فى الابن والآب . ولا يجب أن تدرك الأقانيم كأنها أوان فارغة يمتلىء بعضها ببعض ، كما لو ان الابن مثلا يملأ فراغ الآب ، والآب يملأ فراغ الابن ، وأن واحد من الأقانيم الثلاثة ليس ملئا وليس كاملاً ، فهذا يجعلها تشبه الأجسام ، ولكن الآب ملء وكامل ، والابن ملء اللاهوت ، وكذلك الروح القدس . انظر :

Athanas. Log 111 against Arian, 1. M. 26, 324.

+ وأما بالنسبة إلى الخليقة ، فإن الحضور فى كل مكان ، يمكن أن يفهم أولاً سلبيا ، بمعنى ان الله لا يسعه مكان ، وليس مغلقا فى أماكن معينة ، وهو ليس محتوى بواسطة شيء ما ، ولكنه هو كائن فوق الكل ، لا يحصره مكان ما . انظر :

(١) **الأب جبرائيل فرح** : الله ــ ص ١٣٤ .

(٢) **جميل صليبا** : المعجم الفلسفى ــ المجلد الأول ــ ص ٤٧٩ ــ والمجلد الثانى ــ ص ٥٦٢ .

1- Clem. Alex.: Strom. VII, 35.
Strom. 11, 6, B. 8, 261 + 7, 309.
2- Athanas Nic, 11, M. 25, 433.
3- Damas. A, 13, M. 94, 852.

وأما إيجابيا ، فهو يعنى أن الله يوجد فى كل مكان ويملأ الكل ويحوى كل شيء ، دون أن يحويه شيء . وهو يوجد فى كل شيء بقوته وصلاحه ، وفى نفس الوقت يكون خارجا عن كل شيء بطبيعته . ولا يوجد مكان فى الخليقة يخلو منه . انظر :

1- Damas., ibid.
2- Athanas, Incarnation of the Divine Word, 8 M. 25, 109.

ويفرق زيكوس الروسى بين الصفتين : « لا يسعه مكان » و« حاضر فى كل مكان » . فالأولى يمكن أن ينظر إليها كصفة مطلقة لله ، والثانية ينظر إليها كصفة نسبية لأنها تتحدث عن علاقة الله بالنسبة للعالم الذى يوجد فى كل مكان . والأولى ترفع عن الله وحدة الوجود وكونه مختلطا ومتحدا بالعالم ، والثانية ترفع عن الله القول بوجود مبدئين أو إلهين . الأولى تظهر الله فى سموه عن العالم ، والثانية تشير إلى حضور الله فى العالم .

+ ومن شواهد الكتاب المقدس ، عن حضور الله فى كل مكان ، نذكر بعض الأمثلة :

« هكذا قال الرب . السماوات كرسيّ والأرض موطىء قدمى . أين البيت الذى تبنون لى ، واين مكان راحتى » (إش ٦٦:١)

« لأنه هل يسكن الله حقا على الأرض . هوذا السموات وسماء السموات لا تسعك ، فكم بالأقل هذا البيت الذى بنيت » (١مل ٢٧:٨)

« العلى إله من قريب يقول الرب ، ولست إلهاً من بعيد . إذا اختبأ إنسان فى أماكن مستترة ، أفما أراه يقول الرب . أما أملا أنا السماوات والأرض يقول الرب »
(إرميا ٢٣:٣٣، ٢٤)

« أين أذهب من روحك ، ومن وجهك أين أهرب . إن صعدت إلى السماوات فأنت هناك . وإن فرشت فى الهاوية فها أنت . إن أخذت جناحى الصبح وسكنت فى أقاصى البحر ، فهناك أيضا تهدينى يدك وتمسكنى يمينك »(مز ١٣٩:٨ــ١٠)

+ إن حضور الله فى كل مكان ، يجب أن لا يؤخذ على أنه فقط حضور بالقوة أو أنه حضور مختلط ومتحد بالعالم ، كما هو الحال فى مذهب وحدة الوجود . وبالنسبة للرأى الأول الذى يحدد الحضور الإلهى فى « قوة الله » تمتد فى كل مكان ، كما لو أنها مرسلة للعالم من بعيد ، أو الرأى الثانى الذى بحسبه يتجزأ الله ليقابل أجزاء العالم المتحد به . هذان الرأيان يرفضهما آباء الكنيسة الذين علموا بحضور الله فى كل مكان ، ليس بقوته فقط . بل أيضا بجوهره . وفى نفس الوقت فإن الله يسمو عن المادة ولا يختلط بالعالم ، فهو روح بسيط غير قابل للتجزئة والانقسام . انظر :

1- Damas. mnym. A, 13. M. 94, 852.
2- Athanas. against Arian. 111, 22, M. 26, 369.

ويشير الايغومانس ميخائيل مينا ، ان حضور الله فى كل مكان يتحقق على النحو التالى :

أولاً : بقدرته وعنايته .

ثانياً : بمحاضرته ، لأنه يرى جميع ما فى الكون كرؤية العين ما يقابلها .

ثالثاً : بذاته وجوهره (دون أن يقصد هنا ما قصده أصحاب مذهب الحلول ، وهو الاعتقاد بأن الله حال فى كل شيء ، وفى كل جزء من كل شيء ، حتى صار يصح أن يطلق على كل شيء أنه الله ، فذلك باطل . كذلك ليس المراد أمتداد جوهر الله وأنبساطه كالنور والهواء ، حتى يكون منه جزء فى مكان وجزء فى مكان آخر . فالله ليس جسما قابلا للامتداد والانقسام ولكنه حاضر فى كل مكان بكمال جوهره وذاته ، لأنه غير متناه) . وقد يشبه وجود الله بكليته فى كل مكان كوجود النفس بكليتها فى كل جزء من الجسم(١) .

وكتب الأب جبرائيل فرح :

. الله الذى هو خارج حدود الزمن بأزليته ، يفلت أيضا من حدود الفضاء بحضوره اللامحدود . انه فى كل مكان ، ليس على طراز الأجسام التى هى محددة بمساحتها ، بل على طراز روح تنفذ كل الجسم الذى تحييه بدون ان تختلط به . الله حاضر فى الكون وفى خلائقه الكائنة **بقدرته** التى يخضع لها كل شيء ، **وبمعرفته** التى يعرف بها كل شيء ،

(١) **علم اللاهوت** ــ المجلد الأول ــ الطبعة الرابعة ١٩٤٨ ، ص ١٣٦ ــ ١٣٧ .

وبجوهره الذى به كعلة ضرورية مستمرة يمنح الوجود لكل شيء . ولا تحرم جهنم من وجود الله ، فإنه يحكم ويوجد فيها بعدله . والله الذى يملأ الفضاء ليس محصوراً به . أنه أوسع من الفضاء بنوع لامتناه . والله كله فى الفضاء وفى كل نقطة منه ، فإن البسيط المطلق الذى هو الله غير قابل للتجزئة . فكما أن النفس البشرية من جرى بساطتها ، هى فى كل الجسم وفى كل جزء منه ، كذلك الله تعالى . فإنه ، نظراً لبساطته المطلقة ، حاضر فى الكون كله وفى كل جزء منه »[٢] .

ويقول الأسقف إيسيذوروس :

لقد قلنا ان الله حاضر فى كل مكان . وهذا القول يتطلب أن يكون الله بسيطا وينفى أن يكون الله مركباً . لأن ما هو مركب لا يمكن أن يشغل كل مكان ، مالم تكن بعض الأجزاء المركبة له ، موجودة فى مكان وبعضها الآخر فى مكان آخر . وهذا دليل التناهى ، مع ان الله عديم التناهى .... إن بساطة الله ـــ إذا قسناها بالمادة والجسم ، تعنى ان الله يخلو من أجزاء أو عناصر ، مما تتركب منه المادة ، وإذا قسناها بالنفس العاقلة ، فإنها تخلو من القوة والفعل نظير النفس ، لأن الموجود بالقوة (بالطاقة ـــ بالإمكان) لا يخرج إلى الفعل ، إلا بموجود بالفعل ، فلا معلول بلا علة . وعلى ذلك ، فالمبدأ الأول موجود بالفعل دون القوة ، وهو خال من التركيب ، وبسيط . (المطالب النظرية ص ٢٩٥ ، ٢٩٣ ، ٢٩٤) .

وجاء فى كتاب علم اللاهوت النظامى للكنيسة الإنجيلية . عن حضور الله فى كل مكان : إنه موجود مع كل خلائقه فى كل زمان ومكان ، وذلك بجوهره التام ، لا بمجرد صفاته فقط ، كعلمه وقوته ، وإلا فيكون جوهره محدوداً . فتعليم البعض أن الله موجود بجوهره فى السماء فقط وفى بقية الأماكن بمجرد صفاته ، مناقض لكمال اللاهوت والتعليم الإلهى . أما من جهة حضوره باعتبار إظهار ذاته أو إجراء قوته ، فذلك يختلف زماناً ومكاناً ، لأنه يظهر قوة عجيبة فى زمان ومكان لا يظهرها فى غيرهما . وبهذا المعنى ، الله يحضر فى كنيسته دون العالم ، ويحضر فى جهنم بإجراء القصاص على الشياطين والأشرار ، على هيئة تختلف عن حضوره فى السماء حيث يظهر محبته ومجده (ص ٢٤٣) .

(٢) الأب جبرائيل فرح : نفس المرجع ـــ ص ١٣٨ ـــ ١٣٩ .

+ وحسب المدرسيين ، هناك أنواع ثلاثة لحضور الله :

١ — Localiter (أو Circumscriptive) مكانى . وهو الحصر فى مكان أو موضع أو دائرة مخصوصة . جعل الشيء محليا . حد . تحديد .

٢ — definite محدد .

٣ — repletive مالىء .

وفى هذا المعنى الثالث ، يكون الله حاضراً فى كل مكان . فالله حاضر ولكن ليس مكانيا localiter ، مثل الجسم الذى يملأ كل جزء من أجزائه امتداد ما . وليس حضوراً محدداً محصوراً ، مثل حضور النفس فى الجسد ، فهى توجد بكاملها فى كل جزء من أجزاء الجسم ، كما توجد بكاملها فى الجسم كله . ولكن لا يمكن أن يقال هذا عن الله ، وإن كان بصورة ما ، يُشبّه وجود الله فى العالم بوجود النفس فى الجسم . وحقيقة ، مثل النفس فى الجسد ، هكذا الله فهو حاضر فى كل مكان بكامل جوهره . على ان النفس ليست أيضا خارجه عن الجسم ، بينما أن لا محدودية الله ، وعدم تحديده ، لا يقبل أن يكون الله مثل النفس — محصوراً فى مكان — لأن الله يسمو ويعلو عن العالم ولا يمكن أن يحصر فيه . ان الله فى حضوره يملأ كل شيء (replitive) دون أن يحصر فى مكان ما . والواقع ان هذه الحقيقة الخاصة بحضور الله — قد نبه عليها — قبل المدرسيين — يوحنا الدمشقى :

Damas. A, 13, M. 94, 856

+ ان حضور الله فى كل مكان — كما قلنا — يجب أن لا يدرك حسب المفهوم الرواقى ، أو حسب قول أصحاب مذهب وحدة الوجود ، الذين ينظرون إلى الله كأنه نفس العالم ، ويكون فى هذه الحالة محصوراً بالعالم . إن الله حسب العلامة أوريجينوس ، روح ، ويجب أن لا يفهم فهما ماديا :

Orig. against Cels VI, 71, B, 10, 114.

وعلى الرغم من أن الله حاضر فى كل مكان ، فإن جوهره يظل نقيا غير مختلط بشيء آخر . انظر :

1- Cyril of Alex. Thys. Log. VI, M. 75, 73.

2- Chrys Ps. 143, 2 Monf. 5, 556.

+ عندما نقول ان الله حاضر بقوته ، يجب أن لا ننسى أن الله بسيط فى جوهره وليس مركبا أو مكونا من صفات . وعلى هذا النحو ، فحيث تكون قوة الله ، هناك بالضرورة أيضا يكون جوهره . وإذا قلنا أن الله حاضر فى كل مكان بجوهره ، فيجب أن نحذر من الإنزلاق فى رأى أصحاب مذهب وحدة الوجود الذى يخلط الله بالمادة ، وهكذا نعطى الله معنى الكمية والمقدار . وبحسب القديس كيرلس الاسكندرى ، فإن الله لا يحصر فى مكان ولا يخضع للكم ، وليس هو جسداً .

Cyril Alex. Abbakoum XXXX, 1, M. 71, 897.

+ وعندما نقول ان الله يسكن فى السموات ، وهناك يوجد عرشه ، فإن الكلمات هنا لا تؤخذ بالمعنى الحرفى ، بل بما ترمز إليه ، من حيث أنها تشير إلى سمو الله وإلى قوته . ففى السماء يعمل الملائكة حسب مشيئة الله ويمجدون اسمه . انظر :

1- Chrys. Ps. 9, 6 Monf. 5, 122.
2- Damas. mnym. A, 13, M. 94, 852.
3- Athanas. against Hellen. 42, M. 25, 84.

٧ ــ الله لا يرى ولا يدرك :

ان الله باعتباره جوهراً روحياً خالصاً ، فهو لا يدرك ولا يرى . ولقد تحدثنا فيما سبق ، بما يكفى عن عدم القدرة على إدراك الله إدراكاً تاماً . وبالنسبة لعدم رؤية الله ، فهذا أمر طبيعى ، بسبب طبيعة الله الروحية .

والقديسان أثناسيوس الرسولى وأغريغوريوس النزينزى ، يشيران إلى أن الله روح لا جسم ، لا يرى ولا يحد . انظر :

1- Athanas. against Hellen. 26, M. 25, 56.
2- Greg. Naz. Log. 28, 7, M. 36, 33.

إن الله ليس شبيها « ***بذهب أو فضة أو حجر نقش صناعة واختراع إنسان*** » (أع ١٧: ٢٩) ، ولأجل هذا ، شدد الله على بنى إسرائيل قائلاً « ***لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً ولا صورة ما ، مما فى السماء من فوق وما فى الأرض من تحت وما فى الماء من تحت الأرض . لا تسجد لهن ولا تعبدهن*** » (خر ٢٠: ٤،٥) .

هناك من أخطأ فنسب لله جسما مضيئا بسيطا لا يفسد :

Tertull. Adver. Masc 1, 16, m. 2, 289.

إن الله ليس له جسم على الإطلاق ، مهما أمكن تصور هذا الجسم . وهو لا يرى . ومن يطلب رؤية الله فهو يجهل طبيعة الله لأنه يجعل غير المرئى مرئياً :

Chrys. Ps. 143, 2 Monf. 5, 555.

وأكد السيد المسيح أن أحداً لم ير الله (و ١:‏١٨) . وما يشار فى الكتاب المقدس عن رؤية الله أو ظهوره ، فإن من يقال عنه أنه رأى الله ، فإنه لا يراه فى طبيعته اللاهوتية ، بل يرى ما هو على مثال الله ، أو يرى ما يظهر فيه الله على مثاله :

1- Zigabynos, M. 129, 1128.
2- Theoph. M. 123, 1164.

وهكذا فإن إبراهيم لم ير الله كإله ، بل رآه كإنسان . وعلى هذا النحو ، يمكن أن يقال عن يعقوب وإيليا وإشعياء وحزقيال ، فهؤلاء لم يروا الرب نفسه . لقد رأى حزقيال ما يشبه مجد الرب لا مجده الحقيقى نفسه . انظر :

1- Greg. Naz. Log. 28, 18, 19, M. 36, 49.
2- Cyril Jer. Catech. IX, 1 M. 33, 637.

إن عيون البشر المحدودة لا تستطيع أن ترى الله . وإذا كان يستحيل علينا أن نرى الشمس بصورة مباشرة ، فكيف يكون الأمر بالأكثر بالنسبة لله . إن حزقيال النبى لم ير مجد الله نفسه ، بل رأى ما يشبهه ، ومع ذلك سقط من الخوف (حز ١:‏٢٨) ، فكيف نجرؤ على القول بإمكانية رؤية الله ، وقد قال الله نفسه « ***لا تقدر أن ترى وجهى لأن الإنسان لا يرانى ويعيش . وقال الرب . هوذا عندى مكان فتقف على الصخرة ، ويكون متى اجتاز مجدى أنى أضعك فى نقرة من الصخرة وأسترك بيدى حتى أجتاز . ثم أرفع يدى فتنظر ورائى ، وأما وجهى فلا يرى*** » (حز ٣٣:‏٢٠ــ٢٢) . وحتى الملائكة ، على الرغم من سمو طبيعتهم ، فإنهم لم يروا الله إلا بقدر ما تسمح لهم قدراتهم وإمكانياتهم . فقط الابن مع الروح القدس ، يرى كما ينبغى ، ويكشف لكل من البشر بالروح القدس حسب ما يمكن للإنسان وحسب ما تسع إمكانياته :

Cyril Jer. Catech. VI, 7. M. 33, 545.

ومن أجل هذا ، ظهر الملائكة ، فى رؤيا إشعياء النبى ، وهم يغطون وجوههم « ***السرافيم واقفون فوقه ، لكل واحد ستة أجنحة ، باثنين يغطى وجهه وباثنين يغطى رجليه ، وباثنين يطير*** » (إش ٦:‏١ــ٢) .

إن الله لا يكشف جوهره ، ولكنه يظهر نفسه بقدر ما يستطيع الإنسان :

Chrys: akatalyps. 111, 3. Monf. 1, 569.
John 1, 18 homil. 15, 1, Monf. 8, 98.

٨ ـ غبطة الله :

بلا شك ، إن الكائن ذو الكمال المطلق ، يكون على الدوام فى حالة اغتباط ، فهو لا يحزن ولا يتألم ولا يحتاج « ***المبارك ـ أى المغتبط ـ العزيز الوحيد ملك الملوك ورب الأرباب ، الذى وحده له عدم الموت ، ساكنا فى نور لا يدنى منه ... الذى له الكرامة والقدرة الأبدية*** » (١تى ٦:١٥،١٦) .

ويقول النبى داود « ***أمامك شبع سرور ، فى يمينك نعم إلى الأبد*** » (مز ١٦:١١) . وفى الرسالة إلى فيلبى يقول الرسول بولس « ***وسلام الله الذى يفوق كل عقل ...*** » (فى ٤:٧) .

الله محبة . وهو يحب ابنه الوحيد حباً كاملاً ، وهو مغتبط اغتباطاً مطلقاً . وهذه هى الغبطة الذاتية لدى الله . انظر :

Chrys. 1 Tim. hom. 18, 1 Monf. 11, 704.



٤ ـ صفات الله فى صلتها بأعماله

يُظهر الله جلاله وعظمته البالغة من خلال أفعاله ، التى تتجه إلى خارج ، سواء ما يتصل منها بفكر الله أو إرادته .

وترتبط بفكر الله صفات : المعرفة الشاملة والحكمة الكاملة .

وترتبط بإرادة الله صفات : القدرة الكاملة ــ القداسة ــ البر ــ الصلاح أو المحبة ــ الحق أو الصدق .

وعلى الدوام يجب أن نضع فى اعتبارنا ، ان التمييز بين الفكر والإرادة فى الله ، هو من قبل التصور الإنسانى . أما عند الله ، فإن الفكر والإرادة لا يتتابعان كما هو عند الإنسان . وعلى العموم ، فإن أعمال الله إلى الخارج تتميز فقط فى أذهاننا المحدودة ، فتبدو لنا مختلفة متميزة ، بينما هى فى الحقيقة غير متميزة ، لأن فعل الله هو فعل واحد بسيط لا ينقسم .

والصفة الأولى التى ترتبط بفكر الله هى : المعرفة الشاملة . فالله يعرف نفسه بمعرفة وفكر مطلق ، لأن جوهره مطلق . كذلك يعرف كل ما هو خارج عنه ، ليس فقط ما هو موجود ، بل أيضا ما يمكن أن يوجد ، وذلك بمعرفة لا تعتمد على التقدم والنمو وحركة الفكر من القوة إلى الفعل كما يحدث مع الإنسان . إن الله يعرف معرفة أزلية أيضا تلك الأفعال الحرة التى تصدر من كائنات مستقلة مختارة ، مهما كانت تبدو لنا هذه المعرفة غامضة وغير مفهومة .

وترتبط مع هذه المعرفة الشاملة ، حكمة الله الكاملة التى تعنى الوسائل الممتازة لتحقيق أهداف ممتازة ، لتدبير الخليقة كلها ، وقبل كل شىء ملكوت النعمة .

وهناك أيضا صفة الحرية والاستقلال . الله ليس مجبراً على الصلاح ، ولكنه يفعل كل شىء حسب مشيئة إرادته . إن إرادته أبدية . وهى إرادة خالصة ، بمعنى أنها لا تخضع لأى عامل آخر .

وترتبط مع حرية الله وإرادته ، قدرته المطلقة . فليس عند الله شىء مستحيل أو غير

مستطاع . كل ما يريده الله فإنه يفعله . بإرادة سامية خلق العالم ولم يحقق ما هو ضد طبيعته ، لأن مثل هذا الشيء لا يشاؤه الله ولا يريده . وبالطبع فهذا لا يدل على ضعف بل على قوة الله العظيمة . ثم ان التمييز فى القوة الإلهية هو فقط تمييز بشرى . أما بالنسبة لله فلا يجوز مطلقاً الأعتقاد بأن قوة الله تنتقل من حالة القوة إلى الفعل والتنفيذ .

وتلى القدرة ، صفة القداسة الإلهية . والتى تعنى أن الله بالطبيعة وبصورة مطلقة قدوس ومصدر كل قداسة .

إن عبارات الكتاب المقدس عن قساوة قلب الخاطىء ، كأنها صادرة من الله بطريق مباشر « قسى قلب فرعون » ، يجب أن تؤخذ على أنها تعنى أن الله تخلى عن هذا الخاطىء بسبب انغماسه فى الخطيئة ، فترك الخاطىء لنفسه ، وهكذا يكون الخاطىء هو الذى يقسى نفسه وهو الذى يمتنع عن التوبة ويرفضها .

ويرتبط بالقداسة ، بطريق مباشر ، بر الله . ومن أجل هذا وصف الله فى الكتاب المقدس بالقاضى البار . ويظهر الله بره فى شريعته ، فيثبت الذين يحافظون عليها ويعاقب الذين يخالفونها .

ووصف الله فى كتابات القديس يوحنا بالمحبة . ومن أجل هذا فإن قوة الله توصف بأنها قوة المحبة . وكذلك معرفة الله الشاملة وحكمته ، ترتبطان برحمته وصلاحه . وبره يوصف بأنه بر المحبة . وغبطته ترتبط بمحبته . والله نفسه هو الصلاح (الخير) الأسمى الذى يفيض من كنز الصالحات على خليقته .

وأخيراً ، فقد قُدم الله فى الكتاب المقدس ، باعتباره إله الحق الصادق فى مواعيده ، والذى لا يحب الكذب ، والأمين فى كل شيء .

١ ــ المعرفة الشاملة :

+ إن الصفة الأولى التى ترتبط بالفكر الإلهى ــ كما قلنا ــ هى العلم الكلى الشامل . إن الله يعرف ذاته معرفة تامة ، وكذلك يعرف كل ما هو صادر عنه . والدليل على معرفة الله لذاته ، لا يقول به الكتاب المقدس فقط بل نستنتج ذلك أيضا ، من كون الله ، باعتباره هو الكائن الأسمى والجوهر غير المحدود ، والروح المطلق ، فلابد أن يرتبط مع هذا ، كونه يشعر بذاته . وكيف يمكن للشخصية الروحية المطلقة أن تنقصها المعرفة والشعور الشخصى . على أن هذه المعرفة الشخصية لله عن نفسه ، لا يترتب

عليها تحديداً ما فى شخصه ، وهى لا تتنافى مع عدم محدودية الله وعدم تحديده ، لأنه كما أن جوهر الله وكيانه غير محدود ، هكذا فإن المعرفة التى لدى الله عن ذاته ليست محدودة ، وكذلك تفكيره عن ذاته ليس محدوداً . وكما أكد السيد المسيح ، ليس أحد يعرف الابن إلا الآب ، ولا أحد يعرف الآب إلا الابن ، ومن أراد الابن أن يعلن له (مت ١١:٢٧) . والرسول بولس أكد أن الروح القدس وحده هو الذى يعرف الله ، لأنه من طبيعة الله وجوهره . انظر :

1- Damasc. A, 14, M. 94, 860.
2- Clem. Alex. Strom. VI, 17, B. 8, 238.

وفى كلمات أخرى : فى مقابل المعرفة البشرية التى تقوم على التجريد والانتقال من الجزئى إلى الكلى والقياس المنطقى والاستنتاج .... ، فإن الله يرى كل شيء ويعرف كل شيء معرفة مباشرة كما لو بنظرة واحدة .

يقول الأب جبرائيل فرح :

إن الله يعرف كل شيء . ذاته والكائنات الموجودة حقا والكائنات الممكنة . يعرف كل هذا **بحس** واحد لا تتابع فيه ، وبدون أدنى خضوع للحواس والعالم الخارجى ، وبدون أدنى لجوء للأحكام والاستدلال والبرهنة وعرض الصعوبات وتحليلها (ص ١٤) .

إن معرفة الله لا تتم على نحو المعرفة البشرية بإيقاظ ملكة التفكير والانتقال بها من القوة إلى الفعل . لكن الله بفعل خالص يعرف كل شيء معرفة كاملة ، وهى معرفة لا تقع فى زمن بل هى معرفة أبدية ، على الرغم من أن المخلوقات ليست أبدية ، بل زمنية ومتغيرة . بالنسبة لله ، فهو يعرف منذ الأزل كل مخلوقاته ، وليس هناك جديد بالنسبة له ، بل منذ البدء ، منذ الأزل « ***معلومة عند الرب جميع أعماله*** » (أع ١٥:١٨) . أنظر :

Chrys. Hom. Acts 33, 1 Monf. 9, 280.

وجاء فى نبوة إرميا « ***أنا الرب فاحص القلب مختبر الكلى لأعطى كل واحد حسب طرقه حسب ثمر أعماله*** » (أر ١٧:٧) .

« ***إذا أختبأ إنسان فى أماكن مستترة أفما أراه يقول الرب . أما أملا أنا السموات والأرض يقول الرب*** » (أر ٢٣:٢٤) .

وفى الرسالة إلى العبرانيين يقول الرسول بولس « **وليست خليقة غير ظاهرة قدامه ، بل كل شىء عريان ومكشوف لعينى ذلك الذى معه أمرنا** » (عب ٤: ١٣) .

إن الله من حيث أنه أزلى ، تتكشف له كل الأمور واضحة عارية ولا يفلت شىء من معرفته . والله ايضا من حيث أنه لا زمن فيه ، فليس له ماض ولا مستقبل ــ بل هناك حاضر دائم ، لذلك فإنه يعرف كل الأمور معرفة سبقية ، دون أن تعنى هذه المعرفة الغاء الحرية الشخصية أو تحديد المصير الإنسانى ، سواء للخير أو للشر . فالمعرفة السابقة لا تعنى مطلقا ان الله يفرض سلوكاً معينا على الإنسان ، وأن الإنسان ليس حراً فى تصرفه وإنما يسلك بحسب ما تفرضه هذه المعرفة السابقة عليه .

ولقد سبق ان عالجنا هذا الموضوع بالتفصيل وباسهاب فى بحثين لنا ، نرجو الرجوع إليهما ، وهما :

١ ــ مشكلة الاختيار فى ضوء الأصحاح التاسع من الرسالة إلى رومية (انظر تفسيرنا لرسالة رومية : الأصحاح التاسع) .

٢ ــ تعيين الله السابق (من مذكرات الكلية الإكليريكية) .

ويعالج الأب جبرائيل فرح ، الصلة بين المعرفة السابقة والحرية البشرية فيقول :

١ ــ المهم أولاً أن نتفق على معانى الكلمات أو العبارات :

ــ إن العبارة « معرفة سابقة أو نظرة سابقة » ليست من الاصطلاحات المناسبة حين تطبق على الله . فالله ليس له ماض ولا مستقبل ، بل حاضر دائم . فالله إذن لا يسبق ويعرف بل يرى ويعرف .

ــ والعبارة « إن كل ما يراه الله مسبقا سوف يحدث بالضرورة » ليست أكثر صحة . إن علم الله هو ، بلا شك ، متصف بالعصمة من الضلال ، وكل ما يراه الله منذ الأزل ، سوف يحدث بكل تأكيد فى الزمن . ولكن لا نضل ، فإن الشىء يحدث بنوع ضرورى ، إذا كان الموضوع الكائنات المحرومة من العقل والخاضعة خضوعا أعمى لقوانين طبيعتها . وبنوع اختيارى إذا كان الموضوع ، الكائنات العاقلة الروحية .

٢ ــ ولكن لنسلم جدلا ان الاصطلاح « المعرفة السابقة » هو صحيح ، فى حال تطبيقه على الله ، أفلا يكون من الواضح أن « الرؤية السابقة » لحادث ليست سبب هذا

الحادث . ها أن أحد المراقبين يرى أعمى يتجه شطر هوة ، سيقع فيها ويقتل ، فهل يقال إن معرفة المراقب السابقة كانت علة سقوط الأعمى فى الهوة وموته فيها ، فمعرفة الله السابقة إذن ، رغم أزليتها ، ليست هى سبب أعمالنا بل نتيجة لها[1] .

والأسقف ايسيذوروس ، يعرض أيضا لمشكلة الصلة بين المعرفة السابقة وحرية الإنسان . وقد أثير الإشكال على هذا النحو :

يشك المتسائل ويقول :

أعلم أن علم الله بالأمور المزمعة بحسب الحال والزمان والمكان ، لا سيما أفعال الإنسان ، يضاد الحرية البشرية . فإنه لو قدر أنه تعالى يعلم أن بطرس ينكره ويهوذا يسلمه لأيدى القاتلين ، ثم يقتل نفسه ، لكان فعل كل منهما ما هو لازم ومحتم ومقدر ، وكل من يفعل مضطرا لا لوم عليه ولا عتب ولا عقاب فى الآخرة .

ويجيب الأسقف إيسيذوروس على هذا الشك ويقول :

أسلم أن علم الله يضاد الحرية البشرية فى ما إذا كان سبحانه يعلم كل ما يصدر من الطبيعة البشرية ويريده . وأما إذا كان تعالى يعلم ما يصدر منها ولا يريده ، فلا أسلم بأن علمه بما يصدر منها يضاد حريتها . فإنه تعالى لا يريد المعلومات التى تضاد كمالاته الإلهية ولا يجبر الإنسان على العمل بعكسها .

ويشير إلى قول الشيخ اسحق ابن العسال فى كتاب أصول الدين فى الرد على هذا الشك ، على النحو التالى :

لا يلزم من كونه تعالى عالما بأن فلانا يموت مؤمنا وفلانا آخر يموت كافرا ، أن يكون مريدا لذلك أو محركا له على فعله ، لأنه يوجد فرق بين العلم بالشيء وبين الإرادة لذلك الشيء . والدليل على عظم إنكاره للقبائح وفعل مالا يجوز شرعا وعقلا ، ووصفه تعالى لذاته بالبراءة منه ، وذلك بقوله « وعملوا أعمالا لم آمرهم بها » وقال إرميا « ***وعملوا مذابح ليحرقوا بنيهم للشياطين ، مالم آمرهم به . لكن فعلوه من تلقاء أنفسهم*** » .

ويواصل الأسقف ايسيذوروس رده على هذا الشك فيقول :

إن المولى كما أنه يعلم هذه المعلومات المصنوعة ، يعلم أيضا الحرية الإنسانية المطلقة الصانعة لها . وكما أن هذه الحرية لا تخل بعلمه بها ولا تضاده ، كذلك لا تضاد أفعال

(١) نفس المرجع — ص ١٤٢ — ١٤٣ .

الإنسان علمه بها . ان علم البارى ليس هو علة معلوماته ، لأنه تعالى سبق فعلمها ، **بل معلوماته علة علمه** ، فإنه كما أن العلم بالأمور الماضية ليست علة كونها ماضية ، بل حدوثها هو علة العلم بها ، كذلك علم البارى السابق بالمعلومات المستقبلة ، فإنه ليس علة كونها مستقبلة[(١)] .

+ نعود فنقول : إن معرفة الله معرفة بسيطة . وهو لا يعرف الأمور على التتابع ، فيعرف أمراً ما قبل معرفة أمر آخر ، أو يعرف هذا أولاً وذاك ثانياً . كما يحدث بالنسبة إلى الإنسان ، ولكن ينظر إلى جميع الأشياء التى حدثت وسوف تحدث ، كما لو كانت حاضرة أمامه ، لأن الله كما قلنا « حاضر دائم » .

+ يجب ان نفرق بين معرفة الله وإرادة الله . فكون ان الله يعرف سابقاً ان فلانا سوف يكون شريراً ، فإن هذا لا يعنى أنه أراد لهذا الإنسان أن يكون شريراً . كذلك كونه أنه يعرف أن فلانا سوف يكون خيرا ، لا يعنى ذلك أنه فرض الخير على هذا الإنسان . أى أن معرفة الله السابقة لا تحدد مصير الإنسان .

+ بما أن الله سرمدى أى أزلى ودائم ، فيلزم أنه يعرف كل حوادث الأزمنة **معرفة واحدة** وتامة . فلو قدر أنه لا يعلم ما حدث فى الزمان الماضى لما كان أزليا ، ولو قدر أيضا أنه يجهل حوادث الزمان الآتى لما كان أبديا ولا قتصر وجوده على الزمان الحاضر واقتصرت معلوماته على ما يحدث فيه فقط ، ولكان لا فرق بينه وبين الإنسان المحدود فى الزمان والمكان . والحال ان البارى سرمدى ، والذى هو كذلك تكون كل الأزمنة فى نظره باعتبار واحد . ويكون كل ما حدث ويحدث فيها ، يعلمه بحال واحدة ، فليس عنده ماض أو حال (حاضر) أو مستقبل (الأسقف ايسيذوروس ، المطالب النظرية ـــ ص ٣٠٤) .

+ الحرية البشرية ، هى التى تحدد المصير الذى يختاره الإنسان . فالإنسان حر فى أن يختار الخير أو الشر ، الملكوت السماوى أو العذاب الأبدى ، أى أن الإنسان مسئول عن نفسه وتصرفاته ومصيره . انظر :

1- Orig: against Cels. 11, 20, B. 9, 141.
Prayer 6, 4, B. 10, 244.
2- Damas: dialog. against Manich. 79, M. 94, 1577.

(١) المطالب النظرية ـــ ص ٣١٠ ـــ ٣١١ .

٢ ــ حكمة الله الكلية :

+ ترتبط بمعرفة الله الشاملة ، حكمته الكلية . وهذه الصفة تعنى أن الله يضع أهدافا (غايات) سامية . ويختار لها الوسائل الممتازة التى تعمل على تحقيق هذه الأهداف . وعلى ذلك يمكن النظر إلى الحكمة الإلهية باعتبارها هى نفسها المعرفة الإلهية . منظورا إليها فى علاقتها بالأهداف أو الغايات ، وبهذه الوسائل التى يضعها الله لتحقيق هذه الأهداف . وبصورة ما ، يمكن أن يقال ان الحكمة الإلهية هى الجانب العملى الأخلاقى للمعرفة الإلهية .

وهناك البعض ، مثل سبينوزا . الذى ينكر ان تكون هناك غاية فى العمل الإلهى . على أن هذا الإنكار لا يرتبط بفكرة وحدة الوجود التى توحد الله بالعالم وتنكر على الله نفسه الشعور الذاتى .

الذين ينكرون إذن وجود غاية فى الخليقة ، ينكرون أن يكون الله روحاً مطلقاً له فكر وإرادة . ولكن الذين ينظرون إلى الله باعتباره العقل غير المحدود والذى يعرف كل شىء ، فإنهم بالضرورة يقبلون ليس فقط القول بحكمة الله ، بل بأنه الحكيم الوحيد بالمقارنة بالحكمة البشرية الهزيلة الناقصة .

+ ويشير الكتاب المقدس لحكمة الله كما يبدو من الأمثلة التالية :

« لله الحكيم وحده بيسوع المسيح له المجد إلى الأبد »

(رو ١٦:٢٧)

« الإله الحكيم وحده له الكرامة والمجد إلى دهر الدهور »

(١تى ١:١٧)

« وإنما إن كان أحدكم تعوزه حكمة فليطلب من الله الذى يعطى الجميع بسخاء ولا يعير فسيعطى له » (يع ١:٥)

« بحكمة الله المتنوعة » (أف ٣:١٠)

وانظر أيضا (دا ٢:٢١ ، أم ٢:٦ ، مز ١٠٤:٢٤) ، كذلك انظر :

Didymos, Rom. 11, 33, Theop. M. 124, 496.

٣ ـ حرية الله :

الله ، من حيث هو روح كامل مطلق وكائن شخصى مطلق ، هو بالضرورة كائن حر مستقل . فهو بحرية يريد ، وبحرية يفعل ما يريد ، وليس هناك ما يحده أو يحدده . انظر :

Damas: 3.1, 13,14, M. 94, 1033, 1041.

لقد أنكر أصحاب مذهب وحدة الوجود ، هذه الصفة على الله . وليس هناك أسوأ يقال على الله ، أكثر من سلب حريته والنظر إليه ككائن فاقد الشعور بذاته . وإن الخلقة تمت بدوافع طبيعية ضرورية ، نحو أهداف وغايات مجهولة . إن النظر إلى العالم كأنه يخضع لقوانين طبيعية عمياء ، يسلب الله من صفات الكمال الإلهية . ولا يعد هناك حاجة للدين والتدين ، ولا مجال للأمل والرجاء .

على أن الأمر لا يجرى على هذا النحو . فإن الله يهب من يسأل ويعطى لمن يطلب ويفتح لمن يقرع . إن الله لا يتصرف بدافع من الضرورة ، ولا يفعل الخير بدافع من الحتمية ، ولا تقوده قوانين طبيعية عمياء ، ولكنه يفعل بمشيئة حرة مريدة مستقلة :

+ Clem. Alex. who is the rich man 10, 2, Strom. VII, 7, 11, 16, B. 8, 355, 264 + 7, 335

والرسول بولس يقول « ***الذى فيه أيضا نلنا نصيبا معينين سابقا حسب قصد الذى يعمل كل شىء حسب رأى مشيئته*** » (أف ١:١١) . « ***لأنه من يقاوم مشيئته ، فإنه هو يرحم من يشاء ويقسى من يشاء*** » (رو ٩:١٨،١٩) ، ولكن بالطبع ، هو يفعل كل شىء فى بر ودون محاباة .

+ إن الحرية كصفة أو كعمل داخلى للمشيئة ، تتحد مع الجوهر الإلهى الذى هو بسيط ولا يقبل أى تقسيم أو تجزئة فالمشيئة الإلهية بسيطة سرمدية غير متغيرة ، مستقلة . وليس فى الله تمييز ، ولكن هذا التمييز هو من قبلنا نحن بسبب محدودية الذهن البشرى .

المشيئة الإلهية مطلقة ولها أساسها فى الله ذاته ، ولا تحدد بأى عامل أو علة خارجية . إنها لا تتحرك بموجب دافع آخر ، وهى فوق كل تغير وفوق الزمن وأحواله .

ويتكلم الكتاب المقدس ، وعلى الأخص العهد القديم عن غضب الله وحزنه ومحبته

ورضاه ، ولكن هذه كلها انفعالات وتصورات بشرية ، مرجعها إلى محدودية العقل البشرى ومحدودية إدراكه . فالله لا يتأثر ولا ينفعل :

Chrys. to theodoros 1, 4, Monf. 1, 6.

ونحن نضطر لاستعمال الصور والتشبيهات البشرية ، حتى يمكننا بقدر ما أن ندرك الله .

Damasc. 1, 11, M. 94, 841.

وهكذا فإن الحديث عن مشيئة الله وحريته لا يمكن أن يخلو من الانفعالات البشرية . فإذا كنا نتكلم عن محبة الله وكراهيته ، أو عن رضاه وحزنه ، فيجب على الدوام أن نضع فى اعتبارنا أن المشيئة الإلهية تظل دائما فعلا خالصاً أو فعلا محضا (actus purus) لا تعتمد على أى أمر آخر .

+ وعلى الرغم ــ كما قلنا ــ من أنه لا يوجد أى تمييز أو تركيب فى الجوهر الإلهى البسيط . فإننا بسبب ضعف الذهن البشرى وقصور إدراكه تحدثنا عن التمييز فى المعرفة الإلهية ، وكذلك نتحدث الآن عن تمييز فى المشيئة الإلهية على النحو التالى :

أ ــ طبيعية (أو ضرورية) وحرة :

لما كانت المشيئة الإلهية لا تنفصل عن المعرفة الكلية التى لدى الله ، فإن الله إذ يعرف أيضا الممكنات ، فإنه لا يريدها ، لأنه لو أرادها ، فإنها سوف تتحقق . وعلى ذلك فإن المشيئة الطبيعية أو الضرورية لدى الله ، تشير من ناحية إلى الضرورة المطلقة لوجود الله ، ومن ناحية أخرى تشير إلى مجال الممكنات ، وهو معروف لدى الله معرفة أزلية . وله أساس كفكرة أزلية فى الجوهر الإلهى . وتشير حرية المشيئة الإلهية إلى ما قد أوجده الله فى الخليقة حسب مشيئته .

يقول الأسقف ايسندوزوس :

الله يريد ذاته بالضرورة بسبب كونه الخير الأسمى ، إذ لو أمكنه ألا يريد ذاته لأمكنه ألا يريد الخير السامى ، ولأمكن أن تكون إرادته غير كاملة ومحدودة . وبما أن علم الله بسيط وواحد وكلى الكمال ، فكذلك إرادته بسيطة وواحدة وكلية الكمال . فإذن لا يمكن أن تكون إرادته ناقصة وغير كاملة ، وبالتالى لا يمكنه ألا يريد الخير السامى الذى هو ذاته .

والله يريد ، ما سواه بالحرية ، لان كل الموجودات يمكنه أن يريدها ويخلقها ، وأن لا يريدها ولا يخلقها ، فيقدر أن يفعل الأول لأنه يقدر أن يريد بتفضله واحسانه ابداع الموجودات ويظهر فيها خيراً هو مبدأه وقد فعل ويفعل ذلك ، ويقدر أن يفعل الثانى لأنه لا حاجة به إلى غيره إذ يحوى بذاته السعادة الكاملة لأنه الخير السامى (المطالب النظرية — ص ٣١٤) .

ب — مشيئة سابقة ولاحقة :

ونجد هذا التمييز عند آباء الكنيسة . فالله يريد سابقا أن الجميع يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون ، لأن الله لم يخلقنا للعقاب والدينونة بل للأشتراك فى غبطة الأبدية . ولكن حيث أن الناس يخطئون بإرادتهم ، فإن الله كبار وعادل ، يعاقبهم على خطاياهم . وهذه هى المشيئة اللاحقة :

Damasc. 11, 29, M. 94, 969.

حـ — مشيئة مطلقة ومشيئة نسبية (مشروطة) :

والمشيئة المطلقة تتصل بالخليقة غير العاقلة التى يوجهها الله نحو غاية سامية . وأما المشيئة النسبية فهى التى تتصل بالكائنات الحرة . فهؤلاء أيضا يريد الله لهم أن يحققوا غاية وجودهم . ولكن هذا يتوقف على مدى استجابتهم للمشيئة الإلهية وتعاون إرادتهم الحرة مع الإرادة الإلهية .

د — مشيئة فعالة وغير فعالة :

فالمشيئة المطلقة تعتبر فعالة ، والنسبية تعتبر غير فعالة . وفى هذا يقول الأسقف ايسيذوروس : الفعالة هى التى يقصد بها تعالى المعلول ، بحيث يزيل من أمامه كل الموانع ، والثانية هى التى يشاء بها أمرا بدون أن يدفع من أمام فاعله ما يعترضه ويعيقه مقتصرا على تفويض الأمر إلى فاعله (ص ٣١٤) .

٤ — قدرة الله الكلية :

قدرة الله قدرة مطلقة . الله يقدر على كل شىء ، وليس هناك شىء يعجز الله عنه أو لا يقدر عليه . فكل ما يشاؤه الله يصنعه ، سواء فى السماء أو فى الأرض . وإليك بعض شواهد كتابية للتدليل على قدرة الله المطلقة : (لو ١:٣٧ ، تك ١٨:١٤ ، مز ١٣٥:٦ ، تث ١٠:١٧ ، مز ١٤٨:٤،٥ ، ١٣٣:٦—١١ ، إش ٤٠:١٢) .

الله يدعو غير الموجود كأنه موجود (رو ٤:١٧) وبكلمته يهب الوجود للعدم . انظر :

1- Oik oum, ilbid. M. 118, 404.
2- Theophil. ibid. M. 124, 397.

« والقادر أن يفعل فوق كل شىء أكثر جداً مما نطلب أو نفتكر بحسب القوة التى تعمل فينا » (أف ٣:٢٠) .

ما يشاؤه الله يفعله ، ولا يجوز أن يقال أن هناك بعض أمور يقدر عليها الله ، وبعضها لا يقدر عليها . الله خلق العالم وهو يحفظه فى قوته غير المحدودة . والواقع أن كلمة الله "Theos" تشتق من الفعل Tithenai أو Theein ، ولذلك فهى تتضمن المدلولات التالية :

أ ـــ دعى الله Theos لأنه « يضع » (Tithenai) كل شىء فى ضمانه وأمنه .

ب ـــ والفعل Theein يعنى : يركض ويحرك ويعمل ويطعم ويعتنى ويحكم ويحيى كل شىء ويضبط كل شىء ، ولذلك سمى بضابط الكل :

1- Clem. Alex: exhortation IV, B. 7, 49.
Proph. 16, 3, B. 8, 340.
2- Chrys. akatalyp. Log. B, 4 Monf. 1, 560.
3- Theophil. ibid A, 4.

+ فإذا كان كل ما يشاؤه الله يقدر عليه ، فإننا يجب من ناحية أخرى أن لا نغفل أنه ليس هناك ما يبرر أن يفعل الله شيئاً يضاد طبيعته وصفاته . وبكل بساطة لأنه من المستحيل أن يشاء الله هذا الأمر . وعلى ذلك فإن كل ما يشاؤه الله يقدر عليه ولكن ليس كل ما يقدر عليه يشاؤه . ولذلك فهناك فى الكتاب المقدس يشار إلى أمور لا يقدر عليها الله مثل الكذب أو ان ينكر ذاته . على أن الكتاب المقدس هنا لا ينسب ضعفا لله بالنسبة لهذه الأمور ، ولكنه يتحدث عنها باعتبارها أموراً لا تناسب الله ، فالله الحق لا يناسبه أن يكذب ، والله الأمين لا يمكن أن يخلف مواعيده ، أى أن عدم القدرة على فعل هذه الأمور المشينة ، هو دليل القوة الفائقة لدى الله . يقول الرسول بولس ***« حتى بأمرين عديمى التغير*** (المواعيد والقسم) ***لا يمكن إن الله يكذب فيهما ، تكون لنا تعزية قوية ، نحن الذين التجأنا لنمسك بالرجاء الموضوع أمامنا »*** (عب ٦:١٨) ، ***« إن كنا غير أمناء فهو يبقى أمينا ، لن يقدر أن ينكر***

نفسه » (٢تى ٢:١٣) . انظر :

1- Clem. Alex. Strom. VII, 7, B. 8, 263.
2- Isid. Pylous. III, epist. 335, M. 78, 993.

وهكذا عندما نقول : ان الله لا يقدر أن يخطىء ، فنحن هنا لا نحكم بضعف الله ، بل على العكس ، نشهد بقوته التى لا يمكن أن يعبر عنها :

Chrys. John 4 hom. 38 Monf. 8, 255.

ويقول زيكوس الروسى : إن عدم قدرة الله على أن يفعل ما هو مضاد للعقل والأخلاق ، ليس هو دليل الضعف بل دليل القوة ، ذلك أن عمل ما هو مضاد للعقل والأخلاق هو بعينه الضعف .

ومعنى هذا أن قدرة الله المطلقة ، تحد بمشيئة الله الذاتية ومسرته ، حتى أنه لا يفعل كل ما يقدر عليه ولكن فقط ما يريده . أن ما يريده هو الذى يفعله ، كما يقول النبى داود « ***كل ما شاء الرب صنع فى السماوات وفى الأرض ، فى البحار وكل اللجج*** » (مز ١٣٥:٦) .

إن الله يتصف بالكمال المطلق ، ولذلك لا يناسب هذا الكمال المطلق فعل ما هو ناقص . وعلى ذلك يمكننا أن نقول ان الله لا يستطيع أن يكون شريراً أو أن يخطىء أو أن يكذب أو ينكر ذاته . كما قال الرسول بولس . لأن كل هذه من أعمال النقص . وإذا أراد الله أن يكون شريراً أو أن يكذب أو أن ينكر نفسه ، فإن معنى هذا أنه لم يرد أن يكون قادراً قدرة مطلقة ، لأن هذه الأعمال هى أعمال ناقصة لا تدل على القدرة المطلقة . يقول القمص ميخائيل مينا فى كتابه علم اللاهوت « لا يوجد شيء غير مستطاع عند الله إلا الذى لا يريده ، كالنقائص والرذائل ، لأنها من أعمال الضعف » (المجلد الأول ص ١٣٠) .

وبسبب هذه القدرة المطلقة ، فإن الله لا يقدر ــ فيما يقول القديس أوغسطينوس ــ أن يموت أو أن يكذب أو أن يخدع ، ذلك لأنه لو كان من الممكن أن يموت ، فإنه لن يكون قادراً قدرة مطلقة . وكذلك لو كان من الممكن أن يكذب أو يخدع ، فلن يكون قادراً قدرة مطلقة . أن الله يفعل ما يريده . هذه هى القدرة المطلقة . أنه يفعل

الخير الذى يشاؤه ، أما الشر الذى يحدث فإنه لا يريده :

August, Serm. ad Catech. de Symbolo 2, m. 40, 627.

+ لما كانت قدرة الله المطلقة ، يعبر عنها فى مناحى مختلفة ، فإن اللاهوتيين يميزونها إلى قدرة مباشرة وقدرة غير مباشرة ، قدرة مطلقة وقدرة نسبية ، قدرة معجزية وقدرة اعتيادية يعبر عنها فى القوانين الطبيعية . وبلا شك فإن هذا التمييز يفيد فى البحث وفى فهم قدرة الله غير المحدودة ، مع ملاحظة أن هذا التمييز ليس هو من جانب الله ، بل من جانب الإنسان . ويجب أن نأخذ فى الاعتبار أن هذه القدرة الإلهية المطلقة ، تميز عن الجوهر الإلهى فقط منظورا إليها كفعل يتجه إلى الخارج ، يخلق ويحكم العالم ، ولكن تظل هذه القدرة الإلهية على الدوام فعلا محضا (خالصا) وليست مجرد قوة أو طاقة فى الإرادة الإلهية ، تتحول بعد اتخاذ قرار ، من القوة أو الطاقة إلى الفعل ، لأنه كما قلنا سابقا ، أن هذا يقتضى علة فاعلة تحول القوة أو الطاقة إلى فعل ، لأن الموجود بالقوة لا يخرج إلى الفعل إلا بموجود بالفعل .

٥ ــ قداسة الله :

القداسة هى تلك الصفة الإلهية التى بموجبها يكون الله متحرراً من كل نقص أخلاق ، ويحب فقط كل ما هو بار وصالح . وعلى ذلك فإن إرادة الله المطلقة تتحرك نحو الصالحات ، وقوته غير المحدودة تعمل على الدوام فى مجال القداسة . وكلمة « قديس » فى الكتاب المقدس ، استعملت أولاً لتدل على كل ما يفرز لهدف مقدس ويكرس لله . وعلى ذلك فيفترض بصفة مبدئية أن هذا الشيء لم يكن مقدساً ، ولكنه تقدس عندما أفرز وكرس لله . وعندما يوصف الله بالقداسة ، لا يجب أن تتخذ الصفة معنى سلبيا ، فيفهم منها أن الله قد تنقى من الشر أو مما هو غير مقدس . بل وأيضا لا يجب أن تؤخذ الصفة بالمفهوم الإيجابى ، بمعنى أن الله يحاول أو يجاهد ليكتسب الصلاح وينمو فيه . ولكن فقط ، بالمماثلة لما فى عالم البشر ، يمكننا أن نتكلم عن قداسة الله منسوبة إليه فى صورتها الأكمل أو فى كمالها غير المحدود ، بالقياس إلى كمال الإنسان المحدود . وبالنسبة للإنسان ، فالقداسة هى هبة معطاة له من فوق ، تنقيه من الخطية وتطهره من حالات الدنس والنجاسة ، بينما ان الله هو قدوس بذاته وبجوهره . الله هو القداسة المطلقة الحقيقية . هو بالطبيعة قدوس وهو مصدر كل قداسة . منه يأخذ الجميع قداستهم

ويصيرون قديسين . أما نحن فلسنا قديسين بالطبعية ولكن نوهب القداسة من الله ونشارك فيها . نحن البشر نخطيء ونتعرض للخطأ . أما الله فإنه من غير الممكن أن يخطيء . أنظر :

1- Clem. Alex. Strom. VI, 7, B. 8, 199.
2- Cyril Jer. myst, Catech. 5, 19, M. 33, 1124.
3- Tatian. Hellen. 11, B. 4, 249.

+ فى الكتاب المقدس ، آيات كثيرة تتحدث عن قداسة الله :

يقول الرسول يعقوب « **لا يقل أحد إذا جرب أنى أجرب من قبل الله ، لأن الله غير مجرب بالشرور وهو لا يجرب أحدا** » (يع ١:١٣) .

ولما كانت الخطية ترتبط بالعقاب كما يتضح لنا من قصة السقوط ، ومما أصاب البشرية فى أيام الطوفان ، وما أصاب سدوم وعمورة ، فقد وصف الله فى موقفه تجاه الخطية والخطايا بأنه « **نار آكلة** » (عب ١٢:٢٩) ووصف أيضا بأنه « **نور وليس فيه ظلمة البتة** » (١يو ١:٥) . ويكمل الرسول يوحنا فيقول « **إن قلنا إن لنا شركة معه ، وسلكنا فى الظلمة نكذب ولسنا نعمل بالحق . ولكن أن سلكنا فى النور كما هو فى النور فلنا شركة بعضنا مع بعض ، ودم يسوع المسيح ابنه يطهرنا من كل خطية** » (١يو ١:٦،٧) .

وجاء فى سفر اللاويين « **إنى أنا الرب الذى أصعدكم من أرض مصر ليكون لكم إلهاً ، فتكونون قديسين لأنى أنا قدوس** » (لا ١١:٤٥) .

وفى نبوة إشعياء « **قدوس قدوس قدوس رب الجنود . مجده ملء كل الأرض** » (إش ٦:٣) .

وفى المزامير « **رنموا للرب ترنيمة جديدة لأنه صنع عجائب . خلصته يمينه وذراع قدسه** » (مز ٩٨:١) .

وفى الرسالة إلى رومية « **إذا الناموس مقدس والوصية مقدسة وعادلة وصالحة** » (رو ٧:١٢) .

وفى الإنجيل للقديس يوحنا « **قدسهم فى حقك . كلامك هو حق . كما أرسلتنى إلى العالم أرسلتهم أنا للعالم . ولأجلهم أقدس أنا ذاتى ليكونوا هم أيضا مقدسين فى الحق** » (يو ١٧:١٧ــ١٩) .

وفى الرسالة الأولى إلى بطرس « **وأما أنتم فجنس مختار وكهنوت ملوكى أمة مقدسة شعب اقتناء ، لكى تخبروا بفضائل الذى دعاكم من الظلمة إلى نوره العجيب** » (١بط ٢:٩) .

+ هناك بعض الآيات ، يبدو كما لو أنها تنسب الشر إلى الله ، فكيف نفهمها ؟ ومن هذه الآيات :

« **وقال الرب لموسى عندما تذهب لترجع إلى مصر انظر جميع العجائب التى جعلتها فى يدك واصنعها قدام فرعون . ولكنى أشدد قلبه حتى لا يطلق الشعب** » (خر ٤:٢١) (وانظر أيضا خر ٧:٣ ، ٩:١٦) .

« **لأنه يقول الكتاب لفرعون أنى لهذا بعينه أقمتك لكى أظهر فيك قوتى ولكى ينادى باسمى فى كل الأرض** » (رو ٩:١٧) .

« **والآن هوذا قد جعل الرب روح كذب فى أفواه جميع أنبيائك هؤلاء ، والرب تكلم عليك بشر** » (١مل ٢٢:٢٣) .

« **وبكل خديعة الإثم فى الهالكين لأنهم لم يقبلوا محبة الحق حتى يخلصوا ، ولأجل هذا سيرسل إليهم الله عمل الضلال حتى يصدقوا الكذب** » (٢تس ٢:١٠،١١) .

« **فى ذلك الوقت أجاب يسوع وقال أحمدك أيها الآب رب السماء والأرض ، لأنك أخفيت هذه عن الحكماء والفهماء وأعلنتها للأطفال** » (مت ١١:٢٥) .

« **فقال لهم قد أعطى لكم أن تعرفوا سر ملكوت الله ، وأما الذين هم من خارج فبالأمثال يكون لهم كل شىء ، لكى يبصروا مبصرين ولا ينظروا ويسمعوا سامعين ولا يفهموا ، لئلا يرجعوا فتغفر لهم خطاياهم** » (مر ٤:١١،١٢) .

« **كما هو مكتوب ، اعطاهم الله روح سبات وعيونا حتى لا يبصروا ، وآذانا حتى لا يسمعوا إلى هذا اليوم** » (رو ١١:٨) .

على أن هذه الآيات ، لا تشير إلى الله كفاعل ، بل تشير إلى سماح الله بوقوع الشر ، انظر :

Damas. mnym. 4, 19, M. 94, 1192.

عندما يصر الخاطىء على خطيئته ، وتبوء معه جميع المحاولات بالفشل . يترك الله الخاطىء ويتخلى عنه . وما يصدر عن الخاطىء فى هذه الحالة من خطيئة ، اعتاد الكتاب المقدس أن يتكلم عنه ، بأسلوب قد يعنى أن الله هو علة الخطية ، بينما يراد فى حقيقة الأمر أن الله سمح فقط بالخطيئة دون أن يكون هو علتها ، كما يقول الرسول بولس فى رسالته إلى رومية « **اسلمهم الله إلى أهواء الهوان** » (رو ١:٢٦) « **وكما لم يستحسنوا أن يقوا الله فى معرفتهم ، اسلهم الله إلى ذهن مرفوض ليفعلوا مالا يليق** » (رو ١:٢٨) . وفى الأصحاح التاسع من الرسالة إلى رومية ، يتحدث الرسول عن سلطان الله المطلق الذى « **يصنع من كتلة واحدة إناء للكرامة وآخر للهوان** » (رو ٩:٢١) .

إن التوفيق بين هذه الآيات يوضح أن الخطيئة هى من عمل الإنسان وليس من فعل الله ، وإن كان بسماح من الله . وحتى فى هذه الآية الأخيرة ، فإن الرسول بولس يكمل ويقول « **فماذا إن كان الله وهو يريد أن يظهر غضبه ويبين قوته احتمل بأناة كثيرة آنية غضب مهيأة للهلاك** » (رو ١:٢٢) ، فالدليل على أن الإنسان هو علة هلاكه لنفسه بنفسه ، وإن الإنسان هو الذى يهيىء آنيته (نفسه) للهلاك ، ما يقال عن الله هنا من أنه « احتمل بأناة كثيرة » فلو ان الله هو علة هذا الهلاك لما قيل عنه ذلك . ويتضح هذا بالأكثر فى الرسالة الثانية إلى **تيموثاوس** حيث يؤكد الرسول حرية الإنسان ومسئوليته تجاه نفسه فيقول « **ولكن فى بيت كبير ليس آنية من ذهب وفضة فقط ، بل من خشب وخزف أيضا ، وتلك للكرامة وهذه للهوان . فإن طهر أحد نفسه من هذه يكون إناء للكرامة مقدساً نافعاً للسيد ومستعداً لكل عمل صالح** » (٢تى ٢:٢٠،٢١) . انظر :

M. Basil, about God being not responsible of evils, 5, M. 31, 340.

٦ ــ بر (عدل) الله :

من الضرورى ان ينبثق عن قداسة الله ، أيضا بره ، كما هو واضح مما ذكرناه سابقاً ، عن مقت الله وكراهيته وعقابه للخطيئة والإثم ، ويتم ذلك دون محاباة ودون أن يأخذ بالوجوه (رو ٢:١١) . وهو البار الوحيد الذى يقيس كل شىء ويزنه بمقاييس العدل . انظر :

Clem. exhort. VI, 69, B. 7, 52-53.

ولقد وصف الكتاب المقدس الله ، باعتباره « **قاضٍ عادل** » (مز ٧:١١) ، « **الرب**

عادل ويحب العدل » (مز ١١:٧) « **الرب بار فى كل طرقه** » (مز ١٤٥:١٧) ، « **يدين الشعوب بالإستقامة** » (مز ١٩٦:١٣) ، وهو « **يقضى للمسكونة بالعدل** » (مز ٩:٨) و« **ناموس الرب كامل يرد النفس . شهادات الرب صادقة تصير الجاهل حكيماً ، وصايا الرب مستقيمة تفرح القلب . أمر الرب طاهر ينير العينين . خوف الرب نقى ثابت إلى الأبد . أحكام الرب حق عادلة كلها . أشهى من الذهب والإبريز الكثير وأحلى من العسل وقطر الشهاد** » (مز ١٩:٧ـــ١٠) .

وقد أرسل الله ابنه إلى العالم « **لإظهار بره فى الزمان الحاضر ، ليكون باراً ويبرر من هو من الإيمان بيسوع** » (رو ٣:٢٦) ، وأعطى الدينونة للابن « **لأن الآب لا يدين أحداً بل قد أعطى كل الدينونة للابن** » (يو ٥:٢٢) ، « **فإن ابن الإنسان سوف يأتى فى مجد أبيه مع ملائكته ، وحينئذ يجازى كل واحد حسب عمله** » (مت ١٦:٢٧) « **لأنه لابد أننا جميعا . نظهر أمام كرسى الله لينال كل واحد ما كان بالجسد بحسب ما صنع خيرا كان أم شرا** » (٢كو ٥:١٠) « **الذى يحكم بغير محاباة حسب عمل كل واحد** » (١بط ١:١٧) « **فى اليوم الذى فيه يدين الله سرائر الناس حسب إنجيلى بيسوع المسيح** » (رو ٢:١٦) « **واستعلان دينونة الله العادلة الذى سيجازى كل واحد حسب أعماله . أما الذين بصبر فى العمل الصالح يطلبون المجد والكرامة والبقاء فبالحياة الأبدية ، وأما الذين هم من أهل التحزب ولا يطاوعون الحق بل يطاوعون للإثم فسخط وغضب** » (رو ٢:٥ـــ٨) ، فالرب « **ديان عادل** » (٢تى ٤:٨) .

+ وكما قلنا سابقاً ، فإن ما ينسب إلى الله من سخط وغضب ، يجب أن لا يؤخذ إلا كمجرد تعبيرات بشرية ، لأن الله عديم التأثر لا ينفعل لشىء ما . ويقصد بهذه التعبيرات ، الإشارة إلى أن الله كقدوس مطلق يمقت الشر ويعاقب عليه . وبدون هذا الغضب ، لا يكون الله مطلق الكمال ولا يمكن أن يدعى قدوساً بل ولا يكون الله محبة . ان المحبة التى لا تغضب بل تظل غير مكترثة بالشر ، لا تكون محبة . وماذا يكون إنجيل المسيح إذا لم يكن المسيح قد جاء ليرفع عنا الغضب الآتى (١تس ١:١) . وإذا كان يقال أن الله فى العهد القديم ، يظهر أكثر غضبه ، بينما فى العهد الجديد ، يظهر أكثر أبوته ورحمته ، فإنه يجب أن يضاف إلى هذا ، ان الغضب فى العهد القديم ، كان يظهر بالأكثر فى الحياة الحاضرة ، أما فى العهد الجديد ، فيبدو بالأكثر مرتبطاً بالحياة الأخرى .

+ وعلى كل ، فإن دينونة الله لا تسير حسب مقاييس بشرية ، بل إلهية . فهو لا يرى الأمور من زاوية البشر المحدودة « **ما أبعد أحكامه عن الفحص وطرقه عن الاستقصاء** » (رو ١١:٣٣) .

وهذا يمكن أن يقال ، بالنسبة للعقاب الأبدى ، على الخطايا الزمنية ، مما سوف نتناوله — بمشيئة الله — بالتفصيل فيما بعد ، عندما نبلغ الحديث عن الأمور الاسخاتولوجية (الخاصة بالمستقبل) ، وأما الآن فيكفى أن نقول أن عقاب الخطايا يكون أبدياً ، لأن الخطية تخلق فى النفس الخاطئة غير التائبة حالة ثابتة ، تجعل الخطية أبدية ، بالصورة التى يكون فيها العقاب الأبدى ، هو نتيجة لخطايا أبدية وبقاء مستمر فيها .

٧ — محبة الله وصلاحه :

من خلال عقلنا المحدود ، الذى يعجز عن تكوين فكرة واضحة عن بساطة الله ، نعتبر المحبة — التى هى رباط الكمال بالنسبة للفضائل البشرية — نعتبرها أيضا ، بالنسبة لله ، رباط الكمالات الإلهية . كل صفة من صفات الله ، يمكن أن نعتبرها — من خلال عقلنا المحدود — كصفة لمحبته . وهكذا فإن قوته هى قوة محبته . والمعرفة الشاملة والحكمة الكلية ، هى أيضا معرفة وحكمة صلاحه ورحمته ، يهدفان لأن يقودا كل شيء نحو تحقيق هدفهما الكامل ، الذى هو بالنسبة للكائنات العاقلة ، التمتع والمشاركة فى الغبطة الإلهية . وبر (عدالة) الله ، هو أيضا بر محبته ، يهدف لأن يقود البشرية فى طريق السعادة والسلام . والغبطة غير المحدودة تهدف لأن تصير ميراثا للبشرية .

وفى كلمات قليلة ، الله هو الخير الأسمى الذى لا يظل محدودا فى نفسه ، ولكن ، كما ينتشر النور ، وتمتد الحياة وتتسع ، وهو الذى خلقهما ، هكذا أيضا يشاء لصلاحه أن يمتد خارجاً عنه ، ولغبطته أن تتسع ، لكى يفيض من غنى مجده على المخلوقات التى خلقها ، من أجل أن يشركها فى نعمه وخيراته الوفيرة ، تماماً كما تبعث الشمس بضيائها وحرارتها إلى كل المسكونة .

1- Dionys. Divine names IV, 1, M. 3, 694.
2- Strom. VII, 7, B. 8, 264

والرسول يوحنا ، الذى تعمق سر تجسد الابن وحيد الجنس أكثر من غيره ، يصف الله بالمحبة فيقول « **الله محبة ، ومن يثبت فى المحبة يثبت فى الله . والله فيه** » (١يو ٤:١٦) .

+ عندما نتكلم عن محبة الله وصلاحه ، يجب أن نأخذ فى أعتبارنا . أن صلاح الله هو فريد فى نوعه ، ويختص به وحده فقط ، وهو الصلاح الأسمى وبدء ومصدر كل صلاح . وصلاح البشر لا يقاس بصلاح الله ، لأن الصلاح يوجد جوهرياً فقط عند الله . فهو صالح بطبيعته . انظر :

1- Greg. Nys. about Moses, M. 44, 301.
2- Didym. Act 11, 24, M. 118, 192.
3- Theoph. Math. 19, 17, M. 123, 353.
4- Orig. De Princip, 1, 2, 2.

+ عندما نصف الله بالصلاح وبالرحمة ، وعلى العموم بالمحبة ، لا يجب أن ننظر إلى هذه الصفات كعواطف ، فالله كما قلنا لا ينفعل ولا يتغير ، بل ينظر إليها جميعها كفعل خالص (actus Purus) صادراً عنه .

+ إن محبة الله تتجه أولاً نحو نفسه ، كمركز ومصدر للكمال غير المحدود وللجمال الأخلاقى . وهنا يكون الابن الوحيد ، موضوع محبة الآب ، ولذلك سمى « ***بالمحبوب*** » (أف ١ :٦) ، و« ***ابن محبته*** » (كو ١ :١٣) . وفيما يقول القديس أوغسطينوس عن الابن : لقد أحبه الآب « أما بالنسبة لطبيعته اللاهوتية ، لقد ولده الآب مساوياً له ، وهو يملك كل الكمال الذى فى الآب وفى الجوهر الإلهى » « وأما بالنسبة للطبيعة الناسوتية » فى زمن « لأن الكلمة الوحيد صار جسداً ، وبسبب اتحاد هذا الجسد بالكلمة ، صار الجسد فى الزمن محبوباً من الآب » :

August. Joan. Tract, 110, 5m. 35, 1923.

+ أما بالنسبة لصلاح الله ومحبته فى اتجاهها نحو الخارج ، أى نحو المخلوقات ، فإن محبة الله بدت كصلاح ، لأن الله خلق ما شاء هو أن يخلقه ، ولم يكن هناك أى دافع آخر للخلقة إلا ذاته ، أى صلاحه :

Orig. De Princip. 11. 9, 6.

وإليك ما يقوله الكتاب المقدس عن صلاح الله ومحبته نحو خليقته التى شاء أن يخلقها ، فخلقها بدافع صلاحه :

« ***الرب صالح للكل ومراحمه على كل أعماله*** » (مز ١٤٥ :٩)

« تفتح يدك فتشبع كل حى رضى » (مز ١٤٥:١٦)
« الأشبال تزمجر لتخطف ولتلتمس من الله طعامها »
(مز ١٠٤:٢١)
« كلها إياك تترجى لترزقها قوتها فى حينه ، تعطيها فتلتقط ، تفتح يدك فتشبع خيراً »
(مز ١٠٤:٢٧،٢٨)
« المعطى للبهائم طعامها ، لفراخ الغربان التى تصرخ »
(مز ١٤٧:٩)
« انظروا إلى طيور السماء ، أنها لا تزرع ولا تحصد ولا تجمع إلى مخازن ، وأبوكم السماوى يقوتها . ألستم أنتم بالحرى أفضل منها »
(مت ٦:٢٦)
« إذ هو يعطى الجميع حياة ونفسا وكل شىء » (أع ١٧:٢٥)
« الرب عاضد كل الساقطين ومقوم كل المنحنين »
(مز ١٤٥:١٤)
« أحمدوا الرب لأنه صالح ، لأن إلى الأبد رحمته »
(مز ١١٨:١)

(انظر أيضا : مز ١٠٧:١ ، ١٠٦:١ ، مز ١٣٦) .

وحتى الخطاة والأشرار لا يتركهم الله . ولكن فى صبر وطول أناه يظهر رحمته عليهم .

« فإنه ينعم على غير الشاكرين والأشرار » (لو ٦:٣٥)
« يشرق شمسه على الأشرار والصالحين ويمطر على الأبرار والظالمين » (مت ٥:٤٥)

(انظر أيضا : ١تى ٢:٤ ، رو ٨:٣٢ ، يو ٣:١٦،١٧ ، ١يو ٤:١٠،١٩ ، رو ٥:٦ــ١٠) .

على هذا النحو ، تتعاظم رحمة الله فى معاملته مع البشر .

« لأن رحمتك قد عظمت فوق السماوات » (مز ١٠٨:٤)
« امتلأت الأرض من رحمة الرب » (مز ٣٣:٥)

(انظر أيضا : يع ١:١٧ ، أف ١:٧،٨) .

ويشير القديس يوحنا ذهبى الفم ، إلى عظم محبة الله ، فيبين أنها تفوق كل محبة أخرى نتقبلها من أب أو صديق :

Chrys. Mat. hom. 19, 7, hom. 46, 1. Monf. 7, 291, 542, Ps. 113, 3 Monf. 5, 355.

+ وهكذا فإن صلاح الله ومحبته ، تبدو بلا قياس وبلا حدود ، وتفوق كل قياس وإدراك بشرى . ولا يجب أن نضع حداً لهذه المحبة ، كما يحدث بالنسبة للذهن البشرى أن يحد المحبة بالبر الإلهى ، أى أن البشر يتصورون أن محبة الله تحد ببر الله وعدله . فالمحبة هنا توضع على نقيض العدل الإلهى وفى مقابله . وأما من ناحية الله ، فإن البر والرحمة يتحدان معا فى اسمى صورة من التوافق والانسجام والهارمونية . وقد ظهر هذا جليا واضحاً فى عمل المسيح الخلاصى ، فقد قدمت المحبة الإلهية ، الابن وحيد الجنس ، لكى يموت نيابة عن البشر ، حتى فى نفس الوقت يوفى بر الله وقداسته ، الحق المهان ، بسبب عصيان البشر ومخالفتهم .

٨ ــ صدق (حق) الله وأمانته :

ومن الصفات الأخرى التى تنسب إلى الله ، الصدق والأمانة . وكما يقول القديس يوحنا « ***الله صادق*** » (يو ٣:٣٣) . وقيل عن المسيح أيضا « ***الحق*** » (رؤ ٣:٣٣) . وقيل عن كلام الله « ***هو حق*** » (يو ١٧:١٧) . وفى العهد القديم ، يقول النبى داود فى مزاميره « ***يارب إله الحق*** » (مز ٥:٣١) « ***الرب حافظ الأمانة*** » (مز ٢٣:٣١) « ***كل سبل الرب رحمة وحق*** » (مز ١٠:٢٥) .

ومن أجل ذلك فقد نفى الكتاب المقدس عن الله الكذب أو عدم الأمانة فى ايفاء عهوده ومواعيده . فالله كما قلنا قادر قدرة مطلقة غير محدودة ، وكذلك هو صالح صلاحاً مطلقاً غير محدود ، وهو أيضا يتصف بالمعرفة المطلقة غير المحدودة . وكل هذا ينتهى بنا إلى القول ، بان الله صادق وأمين فى أقواله ومواعيده ، فهو أولاً يعرف ما يعد به وهو يرغب ويريد ما يعد به . ثم هو له القوة لأن يحقق وينفذ ما يعد به ، فلا تقوم أمامه عوائق أو معطلات . ولقد أكد الكتاب المقدس كل هذه المعانى . وعلى سبيل المثال نذكر بعض الآيات :

« ***الله المنزه عن الكذب*** » (تى ١:٢) .

« ***فهو يبقى أميناً ، لا يقدر أن ينكر نفسه*** » (٢تى ٢:١٣) .

(وانظر أيضا : عب ٦:١٦ــ١٨ ــ سفر العدد ٢٣:١٩) .

ان مواعيد الله هي مواعيد صلاح الله وحكمته . أنها مواعيد ذلك الذى فيه النعم والآمين (٢كو ١:٢٠) فهى مواعيد صادقة وأمينة ولا يمكن أن يغير الله قضاءه أو يخلف وعده . انظر :

1- Clem: 1 Cor., 27, B. 1, 24.
2- Chrys: Ps. 11, 2, Monf. 5, 145.
Mat. hom. 77, 1, Monf. 7, 836.

ولكن كيف تتفق أمانة الله مع ما ينسب إليه فى الكتاب المقدس ــ فى بعض الأحيان ــ من أنه يدفع للخداع والتضليل ، كما فعل مع أنبياء آخاب الذين جعلهم يتنبأون بالكذب (١مل ــ ص ٢٢:١٣ ــ الخ) .

على أن هذا لا يعنى ان الله هو سبب الضلال ، بل كما قلنا سابقاً ــ إن الله يترك الاشرار ، بعد أن تبوء كل المحاولات معهم بالفشل ، وبعد أن يستمرئوا الخطية ويرفضوا التوبة . وعند ذلك يسمح الله بأن يخدعوا ويضلوا . وهذا السماح بالخداع والضلال ، هو ما يعبر عنه الكتاب المقدس بلغة ، قد توحى بنسبة الخداع والتضليل إلى الله . ففى قصة آخاب ، ما يقال من أن الرب أرسل روح الكذب لكى تغوى آخاب ، لا يعنى ان الله أراد الخداع ، بل يعنى أن الله سمح لهذه الروح الكاذبة أن تقوم بخداع أنبياء آخاب . فسماح الله بوقوع الضلال ، لا يجب أن يؤخذ على أن الله هو علة هذا الضلال . وشبيه بهذا ما جاء فى الرسالة الثانية إلى تسالونيكى ، حيث يقول الرسول بولس : « ***وبكل خديعة الإثم فى الهالكين ، لأنهم لم يقبلوا محبة الحق حتى يخلصوا . ولأجل هذا سيرسل إليهم الله عمل الضلال حتى يصدقوا الكذب ، لكى يدان جميع الذين لم يصدقوا الحق بل سروا بالإثم*** » (٢تس ٢:١٠ــ١٢) .

وواضح من هذه الآية ان الهالكين كانوا هم السبب فى هلاك وتضليل أنفسهم ، فهم « ***لم يقبلوا محبة الحق حتى يخلصوا*** » ، وهم « ***لم يصدقوا الحق بل سروا بالإثم*** » ، ولذلك فإن كلمة « سيرسل » فى عبارة « سيرسل إليهم الله عمل الضلال » تعنى ان الله سيسمح بعمل الضلال ، ولا تعنى مطلقاً إن الله أراد هذا الضلال ودبره . انظر :

Oikoum. 2 Thess. 2, 10-12, Theodor. M. 82, 66, 8, Theod. Mops, M. 66, 936.

وفى ختام الحديث عن الصفات الإلهية ، لنا ملاحظتان :

الملاحظة الأولى :

ان ما قلناه عن الصفات ، هو محدود بمحدودية العقل البشرى وضعف إمكانياته ، ولا نستطيع أن نزعم أننا يمكن أن نبلغ إلى أعماق الذات الإلهية ، فهذا أمر مستحيل . ولكن مع ذلك ، فإن هذا لا يمنعنا ، من أجل فائدة حياتنا الروحية ، ان نحاول بقدر الإمكان ان نتفهم الوجود الإلهى فى علاقته بخليقته .

الملاحظة الثانية :

هذا التقسيم والتمييز للصفات الإلهية التى درسناها فى الصفحات السابقة ، هو من تصنيف عقولنا البشرية المحدودة . أما حقيقة الأمر ، فإن الذات الإلهية بسيطة غير مركبة ، لا تقبل التقسيم ، ولا توجد فيها هذه الصفات متميزة تميزاً موضوعياً .



الباب التاسع

الثالوث القدوس

- التوحيد والتثليث
- التعاليم المضادة للثالوث
- عقيدة الإله الواحد فى العهد القديم
- التوحيد والتثليث فى العهد الجديد
- تعاليم الكنيسة عن التوحيد والتثليث
- الحدود (الاصطلاحات) الخاصة بالثالوث
- العلاقة بين الأقانيم الثلاثة
- تقديم عقيدة الثالوث للفكر المعاصر

١ـ التوحيد والتثليث

إن ما قلناه حتى الآن ــ فى دراساتنا السابقة ــ عن وحدانية الله وصفاته ، لا يتضمن كل التعاليم المسيحية عن الله . فالاعتقاد بوحدانية الله ، أمر لا تنفرد به المسيحية ، فهكذا كانت أيضا عقيدة الديانة اليهودية ، بل ويقر بهذه الوحدانية الكثيرون من العقليين والفلاسفة ، سواء من الأقدمين أو المحدثين .

أما الأمر الذى يختص بالمسيحية ، فهو إدراك أن الله واحد فى ثالوث ، وثالوث فى واحد . ويمكن أن يعبر عن هذه العقيدة بالعبارات التالية :

الإله الواحد والثالوث ــ الله الواحد المثلث الأقانيم ــ توحيد الذات الإلهية وتثليث الأقانيم ــ جوهر واحد وثلاثة أقانيم ــ جوهر واحد كائن فى ثلاثة أقانيم ــ إله واحد فى ثلاثة أقانيم .

فالله واحد من جهة جوهره الواحد غير المنقسم ، وهو ثلاثة من جهة اقانيمه التى تتميز عن بعضها ولكنها تشترك جميعها من حيث أنه ليس لها بداية وإنها أزلية وهى غير منفصلة وغير منقسمة ، ولها جوهر واحد وعمل واحد .

يقول القديس أثناسيوس الرسولى :

إن الإيمان المستقيم هو مؤسس على أن الأقانيم تتميز عن بعضها بالخواص الأقنومية فقط ، أعنى خاصة أقنوم الآب أنه غير معلول وله الأبوة ، وخاصة أقنوم الابن أنه معلول وله البنوة ، وخاصة أقنوم الروح القدس الأنبثاق . وهذه هى الخواص التى فيها فى كل أقنوم ، وفى الآخرين بمفرده ، ما ليس فى الأقنومين الآخرين . وفى الآخرين ما ليس فيه . ثم تشترك الأقانيم الثلاثة بالجوهر الإلهى ، ومن ثم لهم إرادة واحدة وذات واحدة وطبيعة واحدة ، أى أن لكل من الآب والابن والروح القدس ما للآخر من الألقاب والصفات الإلهية . وكل ما ينسب إلى أحدهم من السرمدية ، وعدم التغير ، والعدل ، والجودة ، والحق ، والعلم ، والمشيئة ، والقوة ، وأى صفة من صفات اللاهوت الكاملة ينسب إلى الآخر بمعنى واحد ، وعظمة واحدة ، وذلك لأن الطبيعة واحدة ، وكلها لكل من الأقانيم

الثلاثة خلوا من تفصيل وتقسيم . وإن كلا من الأقانيم الثلاثة واحد مع الطبيعة الإلهية خلوا من تركيب أو تأليف . وإلا كان فى الذات الإلهية ثلاثة آلهة . وذلك هو الذى تجحده المسيحية وتنكره وتتبرأ منه وترفضه وتعترف بالإله الواحد الوحيد الفرد السرمدى الذى تنطق كل النصوص الإلهية بوحدانيته .

هذه الوحدة لا تمنع وجود ثلاثة أقانيم فى جوهره ، لأن الوحدة الحقة لا تصدق إلا على ما كان ذا تنوعات وصلات وانتسابات كالإنسان مثلا ، فهو ذو وحدة كاملة ولكن فيه نفس وعقل ونطق ، وكالشمس ، فإنها واحدة ، ولكنها ذات قرص وشعاع وحرارة (علم اللاهوت للإيغومانس ميخائيل مينا ــ المجلد الأول ــ ص ١٦٩ ــ ١٧٠) .

وعلى ذلك فالخواص الأقنومية يتفرد بها كل أقنوم ، بينما تشترك الأقانيم الثلاثة فى الخواص الجوهرية . ومن ناحية أخرى فهناك أعمال تنسب لكل أقنوم دون أن يعنى ذلك ــ عدم اتصال هذه الأفعال بالأقنومين الآخرين ، فمثلاً التجسد ينسب للابن ، والاختيار ينسب للآب والتبرير والتقديس ينسبان للروح القدس ، ولكن من ناحية أخرى ، فإن كل فعل من هذه الأفعال ، هو فعل القدرة الإلهية التى تخص الأقانيم الثلاثة معا .

هذه الحقيقة عن الثالوث وعن وحدانية الله ، تكشفت على الأخص فى العهد الجديد . والعهد القديم تحدث أيضا عن الإله الحق ، ولكن كان التشديد بالأكثر على وحدانية الله . ونجد فقط دلالات ورموزا عن سر الثالوث تقدم فى شكل غير واضح ، وقد كان من الممكن أن تظل مبهمة غير مدركة لو لم تكشفها شمس الإعلان الإلهى فى العهد الجديد . ونشير هنا على الأخص إلى ضمير المتكلم الجمع الذى استعمل من قبل الخالق عندما قال « *نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا* » والذى فسره خطأ بعض اليهود ، على أنه حديث بين الله والملائكة . ويدخل أيضا فى هذه المدلولات بعض الظهورات الإلهية وبعض التنبؤات عن المسيا . على أن مبادىء التعليم التى تختص بالثالوث ، قدمت مباشرة من البداية وبشكل واضح ، فى العهد الجديد ، وفيها يكون التشديد من ناحية على وحدانية الله ومن ناحية أخرى على تثليث الأقانيم . وسارت الكنيسة على نفس النهج ، وأدخلت التعليم عن التثليث فى العبادة ، وقاومت كل البدع والهرطقات التى اساءت إلى المفهوم السليم **للتثليث** وانحرفت به .

٢ ـ التعاليم المضادة للثالوث

من هذه البدع والهرطقات نذكر :

١ ـــ الاعتقاد بوحدانية مطلقة ورفض التثليث : أى أن التثليث فى نظر هؤلاء باطل لا أصل له . ومن أصحاب هذا الرأى من قال بأن المسيح ملاك أو مجرد إنسان لكنه متعلم من الله ومسترشد من الروح القدس ومفوض السلطان على العالم بعد صعوده جزاء على فضله وأمانته ، كالسوسينيين والعقليين الذين حذوا حذوهم ، وأنكروا لاهوت المسيح وحسبوه إنساناً فقط فائق الفضل والصلاح (علم اللاهوت النظامى للكنيسة الإنجيلية ـــ ص ٢٩٧) . وحسب مذهب السوسينيين الذين يعتقدون فى ناسوت المسيح دون لاهوته ، أن المسيح دعى ابن الله لمجرد كونه مولودا ولادة غير اعتيادية بواسطة الروح القدس على كيفية فائقة للطبيعة (ص ٢٩٧ ، ٣٠٧) .

٢ ـــ هرطقة آريوس ، وملخصها كالآتى :

الله الآب وحده هو الإله الحقيقى بالمعنى الخاص الصارم ، وابن الله والروح القدس كائنات إلهية بالدرجة الثانية فقط ، لها طبيعة تتميز عن طبيعة الآب ، وفى حالة خضوع له ، كما لسبب ومصدر وجودهما . وإذ كان الآب ولد الابن ، إذن فالمولود له بداية كيان ، ومن هنا ينتج بأنه كان وقت لم يكن فيه الابن ، وان الابن فى زمن وليس منذ الأزل . وقد رأى آريوس بكلمة مولود ليس من المناسب أن تستعمل بنسبتها إلى الألوهة لأنها بشرية تماماً ، وكان يؤكد بأنه من الأحسن التعبير ان الابن صدر بإرادة الله ليس من الجوهر ، بل من العدم أو مبروء ـــ مخلوق . وعلى هذه الصورة الابن هو خليقة الآب ، ومع هذا خليقة أولى ممتازة ، وبواسطته خلق الله العالم . وحيث أنه خليقة فليس مساوياً للآب وليس واياه جوهراً واحداً .

وحيث أنه مخلوق فهو معرض لشروط المحدودية ، حتى ان الكلمات الإلهية ـــ كلى القدرة كلى المعرفة وسواها لا تختص به . واخيراً بما أنه خليقة فهو معرض للتغيير ، وبموجب طبيعته يمكن أن يميل إلى الخير أو إلى الشر . وإذا كان غير متغير فليس بالطبيعة

بل بالتوطيد فى الصلاح والنعمة . ومع كل هذا فإبن الله إذا لم يكن إلهاً حقيقياً ، فيمكن ان يسمى إلهاً بمعنى الكلمة المجازى ، بالتبنى لله الآب ، حيث أنه صورة وتعبير كمالاته . وقد شرح آريوس آراءه بنوع خاص بشأن شخص ابن الله . ولكن ينتج من هذا الزعم بان الأقنوم الثالث من الثالوث القدوس ـــ الروح القدس ـــ هو مخلوق ويشغل مكانا أوطأ من الابن ، مع أنه مثل الابن له طبيعة إلهية محدودة[1] .

قال آريوس : إن سليمان الحكيم تكلم بلسان المسيح قائلاً خلقنى أول طرقه (أم ٨:٢٢) ، وان الابن قال ابى أعظم منى (يو ١٤:٢٨) فعلى هذا يكون الابن أصغر من الآب ولا يساويه بالجوهر ، وان المسيح قال : أعطيت كل سلطان فى السماء وعلى الأرض (مت ٢٧:١٣) أى أنه نال السلطان من أبيه لأنه أعظم منه وغير مساو له ، ثم ان المسيح نسب لذاته عدم معرفة ساعة الدينونة بقوله لتلاميذه **« وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعرفها أحد ولا ملائكة السموات إلا الآب وحده »** فإذا كان الابن لا يعرف وقت الدينونة فكيف يكون إلهاً . وقال آريوس أيضا أن المسيح قال أنا لا أقدر أن أصنع مشيئتى بل مشيئة من أرسلنى (يو ٥:٣٠) فإذن هو عبد للآب ودونه . ثم أضاف آريوس بان يوحنا قال فى بشارته عن الابن **« كل به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان »** (١:٣) أى أن الابن آلة استخدمها الآب لصنع الخلائق ، فالابن إذن ليس إلهاً خالقاً . (الخريدة النفيسة للأسقف ايسيذوروس ـــ المجلد الأول ـــ ص ٢٨٩ ـــ ٢٩٢) .

لقد كانت هرطقة آريوس مريعة ، لأنها تقود إلى نكران فداء الجنس البشرى ، وبالنتيجة كل المسيحية (المطران الكسندروس ـــ نفس المرجع ـــ ص ٢٢٣) .

٣ ـــ أبو ليناريوس : كان شديد المناضلة والدفاع عن لاهوت السيد المسيح ، لكن مقاومته للحزب الأريوسى كانت بجهل وعدم فطنة ، فساقته إلى السقوط فى الهرطقة ، لأنه باثباته اللاهوت ، كاد ينكر الناسوت ، بقوله ان الكلمة أخذ جسداً نامياً فقط بلا نفس وان اللاهوت مارس وظيفة النفس الناطقة وامتزج بالناسوت ، حتى أنه احتمل معه الصلب والموت . وقيل أنه لم يعتقد مستقيما بسر الثالوث الممجد ، بل أعتقد بوجود تفاوت بين الأقانيم ، وهو أن الروح عظيم والابن أعظم منه والآب أعظم من كليهما . (الخريدة النفيسة ـــ ص ٤٤٢) .

---

[1] **سمير نوف** : تاريخ الكنيسة المسيحية . تعريب المطران الكسندروس ، حمص ١٩٦٤ ـــ ص ٢٢١ ـــ ٢٢٣

٤ ــ **هرطقة سابليوس** : اعتقد سابليوس أن التثليث كناية عن ثلاثة **تجليات** مختلفة لإله واحد مفرد الأقنوم . أى أن الألفاظ : الآب والابن والروح القدس ، ليست أسماء أقانيم متميزة ، بل أسماء ظهورات لأقنوم واحد ، سمى الآب لأنه الخالق ، وسمى الابن لأنه الفادى ، وسمى الروح القدس لأنه المعزى والمقدس (المرجع السابق ــ ص ١٦٢) .

٥ ــ **هرطقة مكدونيوس (بطريرك القسطنطينية)** : اعتقد أن الروح القدس مخلوق كمثل الملائكة ، وليكون خادماً آلة للابن ، مرتكزا على الآية القائلة « ***كل شىء به كان*** » . وزاد على ضلاله بانه قال أن الروح القدس صدر من الآب بعد الابن ، أى أنه صدر فى زمن . كما أنه صدر عن إرادة الآب والابن ، فصار صدوره من الأفعال الخارجية وليست الباطنية ، ومن ثم يكون مخلوقا (لأن كل ما صدر عن الإرادة الإلهية فهو مخلوق وأشتركت فيه الأقانيم الثلاثة ، وفقا لقول القديس أثناسيوس بان الأقنوم هو الذى يلد ويبثق ، وأما الرأى والإرادة فهى التى تخلق وتبدع) وبهذا الاعتقاد أنكر كون الله فى ثلاثة أقانيم متساوية فى الجوهر (الأصل) . (الايغومانوس ميخائيل مينا ــ ص ١٦٦ ــ ١٦٧) .

+ وفى الجهاد ضد هذه الهرطقات ، حددت الكنيسة المفاهيم الخاصة بالثالوث تحديداً دقيقاً كاملاً ، وقضت على الإنحرافات الفكرية ، وما ظهر من ضلال وفساد فى العقيدة والإيمان المسيحى . وفى الغرب ، ظهرت للتعبير عن الجوهر الواحد فى اللاهوت ، المفاهيم التالية :

Natura - Substantia - essentia

وفى الشرق ، للتعبير عن نفس المعنى ، استعملت المفاهيم التالية :

proswpor - ousia.

وللحديث عن الأقانيم الثلاثة لله الواحد ، استعملت المفاهيم التالية :

prosuon - hypostasis

وأكثر من هذا ، فقد ساد الاصطلاح omoousios (من الجوهر نفسه ــ واحد فى الجوهر) . ولذلك فقد صار توضيح للكلمات التالية :

agennytos (غير مولود) — agenytos (غير مخلوق)

وكذلك للكلمات التالية :

gennytos (مولود) — genytos (مخلوق)

وفى الحديث عن الثالوث ، فيما عدا التمييز بين الأقانيم الثلاثة فى خاصية كل منهم الأقنومية ، فإن الأقانيم الثلاثة لها نفس العمل الواحد ، ولها غنى الكمالات الإلهية التى للجوهر الواحد الذى للاهوت . وهكذا فإن الآب ، بواسطة الابن ، فى الروح القدس يفعل كل شيء ، « ***إله وآب واحد للكل ، الذى على الكل ، وبالكل وفى كلكم*** » (أف ٤:٦) . فهو « على الكل » كآب وكمبدء و« بالكل » بواسطة الابن و« فى الكل » بالروح القدس . ثلاثة ليس كمجرد أسماء وتصورات ، بل للأقانيم الثلاثة وجود حقيقى ، لأنه كما أن الآب كائن ، هكذا أيضا الأمر بالنسبة للابن وبالنسبة للروح القدس ، فالابن كائن ، والروح القدس له وجود حقيقى .

يقول القديس أثناسيوس الرسولى :

ان الله ، الآب والابن والروح القدس ، لا يختلط معه شيء غريب أو خارجى ، لا يتكون من واحد يخلق وواحد مبدع ، بل الكل يخلقون ، وهو متماثل ، وفى الطبيعة غير قابل للتجزئة ؛ ونشاطه واحد . الآب يعمل كل الأشياء بالكلمة فى الروح القدس . وهكذا تحفظ الوحدة فى الثالوث القدوس . وهكذا ينادى بإله واحد فى الكنيسة « الذى على الكل وبالكل وفى الكل » على الكل « كآب ، كبداءة ، كينبوع » . « بالكل » أى بالكلمة ، « وفى الكل » أى فى الروح القدس . هو ثالوث ، ليس فقط بالاسم وبالكلام ، بل بالحق والفعل ، لأنه كما أن الآب واحد وإله على الكل ، هكذا أيضا كلمته واحد وإله على الكل ، والروح القدس ليس بدون وجود فعلى ، بل هو كائن وله وجود فعلى (رسائل أثناسيوس الرسولى عن الروح القدس — فقرة ٢٨) .

+ عقيدة الثالوث — كما يرى القديس أغريغوريوس النزينزى — تمثل رأس الإيمان . فهى كما تمثل اساس التعليم بالخلاص ، وأساس الاعتقاد بالخلق والتجديد . ذلك لأن الخلق والتدبير الخلاصى الذى بواسطته تتقدس البشرية ، وكذلك الرجاء بالأمور المستقبلة ، كل هذه الأمور تعلن عن الجوهر الإلهى ، بل وعن الأقانيم الثلاثة . وبدون عقيدة الثالوث ، فلن يكون هناك مجال للحديث عن الفداء وخلاص البشرية ، ولا عن الحياة الجديدة بفاعلية الروح القدس .

٣ ـ عقيدة الاله الواحد فى العهد القديم

مع الاشارة الى الثالوث القدوس

ان حقيقة التثليث العظمى ، بل وحقيقة وحدانية الله ، كشفت على الأخص فى العهد الجديد . بلا شك فقد أعلن العهد القديم الإله الواحد الحق ، وهو ما بلغه موسى للشعب الإسرائيلى (خر ٢٠ :١ــ٥ ، تث ٦ :٤) . على أن بنى إسرائيل أرتدوا إلى الضلال **« وعند موت القاضى كانوا يرجعون ويفسدون أكثر من آبائهم بالذهاب وراء آلهة أخرى ليعبدوها ويسجدوا لها »** (قض ٢ :١٩) . وبسبب هذه الميول الشريرة للشعب الإسرائيلى ، وعدم نضجه بالدرجة التى تمكنه من تقبل سر الثالوث القدوس ، استحسن الله أن تظل عقيدة الثالوث محجوبة حتى تعد العناية الإلهية البشرية لتقبل الإعلان الإلهى الكامل عن الثالوث القدوس .

العهد القديم إذن يمثل مرحلة إعداد لتقبل الإعلان الإلهى الكامل فيما بعد فى العهد الجديد ، ولذلك فقد انحصر الاهتمام فى مرحلة الإعداد هذه فى التأكيد على الإله الواحد الحق أو على وحدانية الله . أما فيما يتصل بالثالوث ، فقد تضمن العهد القديم ما يشير إليه إشارات غامضة ، أصبحت واضحة جلية فى العهد الجديد ، فى ضوء شمس الإعلان الإلهى ، التى بدونها ما كان يمكن لهذا الغموض ان تُفك رموزه ومدلولاته .

+ فى العهد القديم أشير إلى ملاك يهوه ، الذى تكلم ليس فقط باسم الله ، بل كأنه هو الله .. ولقد فسره فيلون بالكلمة ، وفسره كثير من الكتاب الكنسيين وعلى الأخص ثيؤدوريتوس ، على أنه يشير إلى الأقنوم الثانى فى الثالوث القدوس .

جاء عن ملاك يهوه ما يلى **« وقال لى ملاك الله فى الحلم يايعقوب . أنا إله بيت إيل حيث مسحت عمودا ، حيث نذرت لى نذرا »** (تك ٣١ :١١، ١٣) **« وبارك** (إسرائيل) **يوسف وقال : الله الذى سار أمامه أبواى إبراهيم وإسحق . الله الذى رعانى منذ وجودى إلى هذا اليوم . الملاك الذى خلصنى من كل شر يبارك الغلامين ، وليدعى عليهما اسمى واسم أبوى إبراهيم وإسحق ، وليكثرا كثيراً فى الأرض »** (تك ٤٨ :١٥، ١٦) .

+ واستعمال ضمير المتكلم الجمع فى العهد القديم مرتبطا بالله . فُسّر على أنه يشير إلى الثالوث القدوس ، كأنه نوع من المحادثة بين الأقانيم الثلاثة . فعند خلقة الإنسان ، لم يقل الكتاب « ليكن الإنسان » كما حدث بالنسبة للمخلوقات الأخرى ، بل قال « لنصنع الإنسان » . فالله خلق العالم بكلمة قوته . انظر :

M. Basil., hex. hom. 9, 6, M. 29, 205.

+ ولقد أفاض القديس ساويرس بن المقفع ، أسقف الأشمونين ، فى شرح الثالوث ، من خلال خلقة العالم .

+ والرسول برنابا يقدم الله ، كمن يقول للابن « ***نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا*** » :

Barnaba VI, 12, + V, 5.

+ **ثيوفيلس** الانطاكي يرى أن الله يتكلم إلى ابنه وإلى حكمته عندما يقول « نعمل » :

Theoph. 2, Autol. 18, B.2, 232, 230, 5, 34.

+ والقديس كيرلس الاورشليمى يؤكد وهو يشير إلى عبارة « نعمل الإنسان » إن المسيح كان مع الآب قبل التأنس ، أى أن الإنسان ليس هو صنعة الله فقط ، بل هو عمل ربنا يسوع المسيح أيضا :

Cyril of Jer. Catech. X, 7. M. 33, 668.

+ والقديس أثناسيوس الرسولى أيضا ، يرى أن كلمة « نعمل » تشير إلى الحديث بين الله وكلمته :

Athanas against Hellen. 46, M. 25, 93.

+ وهذا أيضا ما يلاحظه القديس أغريغوريوس النيصى ، من أن كلمة « نصنع » تشير إلى أن الآب عمل بواسطة ابنه :

Greg. of Nys. M. 44, 260.

وعلى هذا النحو أيضا فهم كثير من الآباء كلمة « نعمل » . انظر :

1- Irenaeus. elen. IV, 20, 1, M. 7, 1032.
2- Epiphan. Panar. Heres. 23, 3.
3- Cyril of Alex. Thysaur. Log. 1, M. 75, 25.
4- Theodoryt. genes. Zytyma 19.

وليس من اللائق القول ـــ كما زعم اليهود ـــ ان الله كان يتكلم مع ملائكته ، عندما قال « نعمل الإنسان » لأن الملائكة يخدمون الله فى خوف ورعدة . انظر :

1- M. Basil, hex. hom. 9, 6, M. 29, 205.
2- Chrys. hom. genes. 8, 2, M. 53, 71.

وعلى هذا النحو يجب ان تفهم العبارات الأخرى التى تتحدث بضمير الجمع ، مثل قول الله « ***قال الرب الإله ، هوذا الإنسان قد صار كواحد منا*** » (تك ٣:٢٢) ، « ***هلم ننزل ونبلبل هناك لسانهم*** » (تك ١١:٧) . فهذه العبارات لا تفهم إذا اعتبرنا الله أقنوما واحدا فقط ، وكذلك لا يمكن تصور أن الملائكة قد بلغوا هذا الحد الذى يقفون فيه مع الله على نفس المستوى من الكرامة والقدرة ، كأنهم متساوون معه :

Basil., against Eunom. V, 4, M. 29, 756.

+ ويلاحظ أيضا ثيؤدوريتوس أن عبارة « ننزل ونبلبل » تشير إلى الوحدة فى الكرامة والمساواة ، وهى حديث للابن وللروح القدس » :

Theod. Hellen. Therap. Pathym. 11, M. 83, 845-848.

+ هناك مواضع كثيرة فى العهد القديم يمكن أن نجد فيها إشارات وتلميحات للثالوث :

١ ـــ ففى إشعياء ٦:٣ ، يتضمن تمجيد الله تقديساً مثلثاً ، حيث يقول « ***قدوس قدوس قدوس رب الجنود ، مجده ملء كل الأرض*** » .

٢ ـــ وفى الأصحاح الثامن عشر من سفر التكوين يتحدث عن ظهور الرب لإبراهيم وهو جالس عند بلوطات ممرا « ***وإذا ثلاثة رجال واقفون لديه . فلما نظر ركض لاستقبالهم من باب الخيمة وسجد إلى الأرض . وقال ياسيد إن كنت قد وجدت نعمة فى عينيك فلا تتجاوز عبدك . ليؤخذ قليل ماء واغسلوا أرجلكم واتكئوا تحت الشجرة ، فآخذ كسرة خبز فتسندون قلوبكم ثم تجتازون لأنكم قد مررتم على عبدكم ، فقالوا هكذا نفعل كما تكلمت*** » (تك ١٨:١ـــ٥) .

+ وفى الأمثال ، الأصحاح الثانى ، تشخص الحكمة ، وتشير إلى الأقنوم الثانى (انظر أم ٨: ٢٢—٣١) .

+ ولقد أشار القديس أثناسيوس الرسولى إلى أن التقديسات الثلاثة المذكورة فى سفر إشعياء ، تشير إلى الأقانيم الثلاثة الآب والابن والروح القدس :

Athanas. Incarn. 10, M. 26, 1000.

ومهما يكن من أمر ، فقد كانت مدلولات الثالوث التى تضمنتها كتابات العهد القديم ، كانت بالتأكيد مجهولة للإسرائيليين الذين كانوا قبل المسيح ، وحتى لكتاب الأسفار المقدسة الموحى بها من الله ، ولذلك فإن القديس أوغسطينوس يرى أن العهد القديم يفسر ويصبح واضحا فى ضوء العهد الجديد .

(Vetus Testamentum entum in Novo Patet).

+ وكذلك الأمر بالنسبة للنبوات التى قيلت عن المسيح ، فقد كان من الصعب فهمها إلا فى ضوء تحققها فى العهد الجديد . ومن هذه النبوات تسمية المسيح بعمانوئيل ، والحديث عن ميلاد السيد المسيح من عذراء ، وعن مسيح الرب وغير ذلك . (انظر مز ٢:٢ ، إش ١٤:٧ ، ٦:٩ ، مز ٧:٢ ، ١:١٠) .

+ وعلى العموم فإن الكلمات : حكمة — كلمة — روح — ابن الله — مسيح الرب ، فهذه لم تؤخذ فى العهد القديم بنفس المعنى الذى أخذته فى العهد الجديد . وكانت هذه الكلمات تفهم بدون رابطة بينها ، ولم يكن قد ظهر بعد هذا الشخص الذى يوحد كل هذه الكلمات ويربط بينها فى شخصه ، أى المسيح الذى هو ابن الله وهو المسيا وصانع السلام والملك الأبدى لشعبه ، وعلى العموم يمكننا أن نقول أن العهد القديم كان يعد ويمهد لتقبل الثالوث .

٤ ـ التوحيد والتثليث فى العهد الجديد

فى العهد الجديد ، وبصورة مباشرة ، وضعت منذ البداية مبادىء التعليم عن التثليث . وفى نفس الوقت التأكيد على وحدانية الله وعدم الانقسام فى الطبيعة الإلهية . وانظر فى ذلك الآيات التالية :

(لو ١:٣٥ ، مت ٣:١٣ـ١٧ ، مر ١:٩ـ١١ ، لو ٣:٢١ ، يو ١:٣٣ـ٣٤ ، ١٤:١٦ ، ٢٦ ، ١٥:٢٦) . وانظر :

1- Chrys. John 75, 1 Monf. 8, 502.
2- Cyril of Alex. ibid, M. 74, 257.

والواقع ان النص المستعمل فى المعمودية ، لا يشير إلى الثالوث القدوس فقط ، بل أيضا إلى الوحدة وعدم الانقسام ، أى فيه تأكيد لوحدة الطبيعة أو الجوهر أو الذات الإلهية ، ذلك لأننا نقول : باسم الآب والابن والروح القدس ، ولا نقول باسماء الآب والابن والروح .

ولقد لاحظ امبروسيوس هذه الملاحظة ، مشيرا إلى أن السيد أوصى أن تتم المعمودية ليس باسماء ، بل باسم « الآب والابن والروح القدس » :

Ambros. De Spisit, S. 1C. 3, 40 + 44.

كذلك انظر :

Greg. Naz. Log 33, 17.

ويقول القديس أوغسطينوس :

Iste unus Deus, quia non in nominibus Patris et Fillii et Spiritus sancti, sed in nomini Patris et Fillii et Spiritus Spiritus Sancti, ubi unim nomen audis unus est Deus.

وترجمتها كالآتى :

هو إله واحد ، لأنه ليس باسماء الآب والابن والروح القدس ، بل باسم الآب والابن والروح القدس . وحيث تسمع اسما واحداً فهو إله واحد .

+ وفى رسائل بولس الرسول نجد تعليماً واضحاً عن الثالوث . انظر ١كو ٦:١١ (وانظر كتابنا عن : الروح القدس فى رسائل بولس الرسول ـ ص ٦٠ ـ ٦١) . وفى غير الأناجيل ، وغير رسائل بولس الرسول ، انظر :

(١بط ١:٢ ، ١يو ٣:٢٣،٢٤ ، ٤:٢ ، ٥:٧ ، يه ٢٠،٢١) .

وانظر ملاحظة ثيؤدوريتوس فى تأكيد هذا المعنى : Theod. M. 82, 457.

٥ـ تعليم الكنيسة عن التوحيد والتثليث

اعتمدت الكنيسة فى تعليمها عن التوحيد والتثليث ، بصفة مباشرة على الإعلانات الإلهية . وقد كرزت بهذه العقيدة منذ البداية ، فى المجالات الثلاثة التالية :

أولاً : فى العبادة .
ثانياً : فى أقوال الآباء وتعاليمهم وفى ردودهم على البدع والهرطقات .
ثالثاً : فى قوانين الإيمان .

أولا ـ فى العبادة :

جاء فى الديداكية « تعليم الرب للأمم بواسطة الرسل الأثنى عشر » :

عمدوا كما يأتى : باسم الآب والابن والروح القدس ، بماء جار . فإذا لم يكن هناك ماء جار ، فعمدوا بماء آخر . إذا لم تستطع أن تعمد بماء بارد فعمد بماء حار . إذا كنت لا تملك كلاهما . فاسكب الماء فوق الرأس ثلاثا على اسم الآب والابن والروح القدس . (الياس معوض : الآباء الرسوليون ـ منشورات النور ـ بيروت ـ ١٩٧٠ ـ ص ٦٥) .

وشرح يوستينوس فى آخر الدفاع الأول المعمودية فقال :

سأذكر كيف نكرس نفوسنا لله بعد التجدد بالمسيح .... يُجمع الذين يقتنعون ويعتقدون أن ما نعمله ونقوله هو الحق ، ويأخذون على أنفسهم السلوك بموجب ذلك ويعلمون كيف يصلون ويبتهلون إلى الله صائمين لمغفرة خطاياهم السابقة . ونصلى نحن ونصوم معهم . ثم نأخذهم إلى مكان فيه ماء ونجددهم بالطريقة نفسها التى تجددنا بها ، إذ أنهم ينالون الغسل بالماء **باسم الله الآب سيد الكون ـ وباسم مخلصنا يسوع المسيح وباسم الروح القدس** . والسبب فى ذلك تعلمناه من الرسل . فإنه لما كنا فى ولادتنا

الأولى قد ولدنا من أبوين بدون علمنا واختيارنا ، وكنا قد نشأنا نشأة شريرة ، وتعودنا عادات سيئة ، ولكى لا نبقى أبناء ظروفنا الاضطرارية وجهلنا ، ولكى نصبح أبناء بعلمنا وملء اختيارنا وننال بالماء غفران خطايانا السابقة ، فإن من يقود إلى المغسلة يستخير الله الآب سيد الكون لأجل من يختار أن يولد ثانية بعد التوبة عن الخطايا . ويسمى هذا الغسل إنارة ، لأن من يتعلم هذه الأمور يصبح مستنيرا بالروح . ويغسل المستنير أيضا باسم يسوع المسيح الذى صلب على عهد بونطيوس بيلاطس وباسم الروح القدس الذى نطق بالأنبياء عن كل ما جرى ليسوع » (أسد رستم : آباء الكنيسة فى القرون الثلاثة الأولى ــ ص ٧٢) .

وأيضا يذكر يوستينوس فى الفصل الخامس والستين من دفاعه الأول ، أنه بعد غسل الخطايا بالمعمودية « يقاد المتعمد إلى الأخوة المجتمعين معا لكى نصلى مشتركين من كل قلوبنا لأجل أنفسنا ولأجل من نال الإنارة وجميع الآخرين فى كل مكان ، ولكى نعتبر بعد أن علمنا الحقيقة وبعد حفظ الوصية مواطنين لائقين ، فننال الخلاص . وبعد الانتهاء من الصلوات نحيى بعضنا بعضا بالقبلة . ثم يقدم خبز وكأس خمر وماء إلى رئيس الإخوة فيقبلها . ويأخذها فيشكر **ويمجد آب كل شيء باسم ابنه والروح القدس** . (المرجع السابق ــ ص ٧٣) .

وجاء فى التقليد الرسولى للقديس هيبوليتس عن ممارسة المعمودية ما يلى :

عندما يذهب الشخص المتعمد إلى الماء ، كان يضع الشخص الذى يعمده يده عليه ويسأله : هل تؤمن **بالله الآب** القادر على كل شيء ؟ فيجيب المعمد : أؤمن . وعندما يمسك المعمد بيد المتعمد ليغطسه مرة ، ثم يسأله . هل تؤمن **بيسوع المسيح ابن الله الذى ولد بالروح القدس** من العذراء مريم وصلب على عهد بيلاطس البنطى ومات ودفن وقام ثانية من بين الأموات وصعد إلى السماء وجلس عن يمين الآب وسوف يأتى ليدين الأحياء والأموات ؟ وعندما يجيب : نعم أؤمن ، يغطسه مرة ثانية ، ثم يقول له : هل تؤمن **بالروح القدس** والكنيسة المقدسة وقيامة الجسد ؟ فيجيب المتعمد : أؤمن . عندئذ يغطسه مرة ثالثة (تاريخ الكنيسة للدكتور جون لوريمر ــ الجزء الثانى ــ دار الثقافة المسيحية بالقاهرة ١٩٨٥ ــ ص ٩٦) .

ثانيا – فى أقوال الاباء وتعاليمهم :

اكليمنضس الرومانى : يشير اكليمنضس الرومانى فى رسالته الأولى إلى كورنثوس ، ما يكشف عن عقيدة الثالوث ، فيشير إلى الله الخالق والابن المخلص ، والروح القدس الذى يوحى ويلهم ويقدس النفوس ويطهر الكنيسة . ومن الأمثلة على ذلك قوله :

« حى هو **الله** ، وحى هو **يسوع المسيح** وحى هو **الروح القدس** » .

« حمل الرسل بشارة اقتراب الملكوت السماوى بعد أن استمدوا معرفتهم من قيامة السيد المسيح ، وتأكدوا من **كلام الرب بالروح القدس** ، وخرجوا يبشرون » .

« اليس لنا **إله واحد ومسيح** واحد ، **وروح نعمة** واحد ، انسكب علينا ؟ ودعوة واحدة فى المسيح » .
(انظر ترجمة المطران الياس معوض . ١كو ٢٨ ، ٢ + ٤٢ ، ٣ + ٤٦ ، ٦) .

برنابا : وقد جاء فى رسالته قوله : إذا كان **السيد** قد احتمل أن يتألم من أجل نفوسنا ، وهو رب **المسكونة** ، وله قال **الله** « لنصنع الإنسان على صورتنا ومثالنا » . (برنابا ٥:٥) .

أغناطيوس (الحامل الإله) : يقول فى رسالته إلى **أفسس** :

« متذكرين أنكم حجارة لهيكل الرب معده للبناء الذى يشيده **الله الآب** ، ترتفع إلى الأعالى بآلة **يسوع المسيح** ، بصليبه ، مستعملة من أجل ذلك حبال **الروح القدس** » .

وكتب فى رسالته إلى مغنيسية « حاولوا ان تثبتوا فى عقائد الرب والرسل حتى تنجحوا فى أفعالكم ، فى الجسد والروح ، فى الإيمان والمحبة ، فى **الآب والابن والروح القدس** . اطيعوا أسقفكم وبعضكم بعضا كما أطاع **المسيح بالجسد الآب** ، وكما أطاع الرسل **المسيح والآب والروح القدس** ، حتى تكون الوحدة جسدية وروحية » (١٣:١،٢) .

وقال أيضا فى نفس الرسالة « خدمة يسوع المسيح الكائن قبل الأجيال بالقرب من الله والذى ظهر فى آخر الأجيال » (٦:١) .

وفى فقرة أخرى من نفس الرسالة ، يقول القديس أغناطيوس :

كما أن **السيد** لم يعمل شيئا بذاته ، أو بواسطة رسله بدون **الآب** المتحد به ، كذلك أنتم لا يجب أن تفعلوا شيئا بدون الأسقف والكهنة . إذ لا شىء حسن إلا إذا كان صادرا عنكم مجتمعين : صلاة واحدة ، وطلبة واحدة ، وروح واحد ، ورجاء واحد ... كل

هذا هو **يسوع المسيح** .... تسارعوا إلى هيكل **الله الواحد** ، إلى المذبح الأوحد ، إلى يسوع المسيح الذى خرج من **الآب الواحد** وبقى متحدا به والذى إليه يعود . (٧:١ــ٢) .

بوليكربس : يقول فى مقدمة رسالته إلى أهل فيلبى :

من بوليكربس .... إلى كنيسة الله المقيمة فى فيلبى . سلام ورحمة من **الله** الكلى القدرة ومن **يسوع المسيح** مخلصنا ، ولتكن معكم » .

ويقول أيضا فى نفس الرسالة « **الله الآب أبو ربنا يسوع المسيح ، ويسوع المسيح** ، رئيس الكهنة الأزلى ، ابن الله .... » (١٢:٢) .

وجاء فى رسالة استشهاد بوليكربس :

نرجوكم أيها الإخوة ان تسلكوا حسب كلام **يسوع المسيح** المحفوظ فى الإنجيل الذى به المجد **للآب والروح القدس** (٢٢:١) .

كذلك جاء فى خاتمة الرسالة : له (أى **الرب يسوع المسيح**) الممجد مع **أبيه وروح قدسه** .

أرستيدس الاثينى : وهو يرى أن الرأى الصحيح فى الله هو عند المسيحيين وحدهم ، فإنهم يقولون **بإله خالق** صنع كل شىء **بالابن الوحيد وبالروح القدس** ، وغيره لا يعبدونه (اسد رستم : المرجع السابق ــ ص ٦٢) .

القديس يوستينوس الشهيد ، يقول : ولكن أبا الجميع الذى لم يولد ، لم يعط اسم ، لأنه مهما كان الاسم الذى يدعى به يظل المسمى أكبر من المسمى . والألفاظ أب وإله وخالق وسيد ، ليست اسماء وإنما هى ألقاب مأخوذة من أعماله الخيرة ومهماته . واللقب الله ليس اسما بل رأيا غرس فى طبيعة البشر عن الشىء الذى لا يفسر (٦:٢) ومن هنا أيضا ما جاء فى الفصل الستين من الحوار « وأقل الناس إدراكا لا يقدم على القول أن الخالق وأبا الجميع ترك ما فوق السماويات وظهر فى بقعة صغيرة من الأرض » . وكذلك ما جاء فى الفصل المئة والسابع والعشرين من هذا الحوار : « أن أبا الجميع وسيدهم الذى لا يوصف لم يأت إلى أى مكان ، فهو لا يمشى ولا ينام ولا يقوم ، بل يبقى فى مكانه حيث هو سريع الملاحظة والسمع ، بدون أعين أو آذان ، ولكن بسطوة لا توصف . وهو عالم بكل شىء ولا يفوته شىء . وهو لا يتحرك ولا يحصر فى بقعة من العالم كله لأنه كان قبل أن صنع العالم . فكيف إذن يمكنه أن يكلم أحدا أو ان يراه أحد أو ان يظهر فى اصغر بقاع الأرض ، فأهل سيناء لم يتمكنوا من النظر إلى مجد من

أرسل » . وبما أن الله يسمو فوق كل البشر ، فلا بد من الوصل بينه وبين الإنسان عبر الهوة السحيقة التى كانت تفصلهما . وهذا ما فعله الكلمة فهو الوسيط بين الله الآب وبين العالم . والله يتصل بالعالم به فقط . وهكذا فإن الكلمة هو الطريق الحق إلى الله وهو معلم الإنسان » (اسد رستم ــ ص ٦٨ ، ٦٩) .

أثيناغوراس الاثينى : وكلام اثيناغوارس فى وحدانية الثالوث أوضح من كلام يوستينوس وادق واضبط . فقد جاء فى الفصل العاشر من الالتماس ، ما محصله : « وإذ شئت أن تسأل بذكائك الفائق ما المقصود من الابن ، فإنى أقول باختصار أنه من نتاج الآب . ولا أقصد بهذا ان الآب أوجده ، فإن الله الذى هو العقل (nous) الخالد حوى الكلمة فى نفسه منذ البدء . إنه كان من البدء محمولا بطبيعته على الكلمة "Logikos" . فالكلمة كان الفكر وراء المادة ومنشط كل ما كان مادة . وقد جاء فى النبوات ان الله جعلنى بدء طرقه . والروح القدس الناطق بالأنبياء هو فيض من الله يشع عنه ويعود إليه كشعاع الشمس (أسد رستم ــ ص ٨٠ ، ٨١) .

ثيؤفيلس الأنطاكى : سبق ثيؤفيلس غيره ، إلى استعمال اللفظ اليونانى "trias" للتعبير عن الثالوث القدوس . وجعل الأيام الثلاثة الأولى التى سبقت صنع الشمس والقمر تمثل الثالوث (٢:١٥) . وسبق ثيؤفيلس غيره أيضا إلى التفريق بين الكلمة المستقر فى الله (logos endiathetos) ، والكلمة الذى لفظه الله logos prophorikos فهو يقول فى الرسالة الثانية (٢:١٠) : والله الذى حوى الكلمة فى داخله ولده فى أنه لفظه مع الحكمة قبل جميع الأشياء . فكان الكلمة له عونا فى ما خلق وبه خلق كل الأشياء . والكلمة هو الذى خاطب آدم (٢:٢٢) . « ان الله أبا الكل لا يسعه مكان ولا يوجد فى مكان ما لأنه ليس هنالك أى مكان يستقر فيه . ولكن كلمته الذى هو قوته وحكمته الذى به خلق الآب كل الأشياء . أخذ على عهدته شخصية الآب سيد الكل وخاطب آدم . فإن الأسفار الإلهية نفسها تعلمنا ان آدم قال أنه سمع الصوت . وماذا يمكن أن يكون هذا الصوت إذا لم يكن كلمة الله وابنه ؟ وهو ليس ابنا كأبناء الآلهة الذين ذكرهم الشعراء والكتاب نتيجة توالد ، وإنما هو الكلمة الكائن دائماً ، فإنه قبل أن يكون شيء أتخذ الله كلمته مستشاراً لأنه هو عقله وفكره . ولكنه عندما شاء الله أن يصنع ما شاء ولد كلمته ، ولفظ (prophorikos) بكر الخليقة . ولم يخل هو من الكلمة ولكنه بعد أن ولد العقل خاطبه دائما » (المرجع السابق ــ ص ٨٤) .

ايريناوس : اتجه ايريناوس شطر الربط بين الإله الواحد وخالق العالم وإله العهد القديم وأبى الكلمة ، وذلك فى سبيل الرد على الغنوسيين . ومع أنه لم يبحث علاقة الأقانيم الثلاثة فإنه كان واثقاً من وجودهم قبل الدهور ولا سيما قبل الخلق لأن العبارة « فلنصنع الإنسان على صورتنا ومثالنا » كانت وجهت من الآب إلى الابن والروح القدس « يدى الرب » على حد تعبير ايريناوس (المرجع السابق — ص ٩٩) .

هيبوليتس : فرق بين الكلمة الكائن فى الله الآب (Logos endiathetos) ، والكلمة الملفوظ (Logos prophorikos) . وقال ان الإله الكلمة اتخذ جسد آدم ليجدد الإنسان ويعيد له خلوده . وهكذا فإن المخلص صار إنساناً حقاً ، وبالولادة الثانية جدد تكوين الإنسان ، وكان أيضا إله حقا فجدد الإنسان العتيق . (المرجع السابق — ص ١٦٦) .

ترتليانوس : قال بإله واحد كلى القدرة خالق الكون وبابنه يسوع المسيح المولود من العذراء مريم المصلوب فى عهد بونطيوس بيلاطس . وذكر الروح القدس فى رسالة الاحتجاج (De praescr. 13) فقال ان المسيح بعد جلوسه عن يمين الآب ، ارسل الروح القدس ليقود المؤمنين . وسبق ترتليانوس غيره من الآباء الغربيين إلى استعمال لفظ الثالوث باللاتينية "trinitas" ويؤكد أن الجوهر واحد فى ثلاثة متحدين[1] . وقد سبق ترتليانوس أيضا إلى استعمال اللفظ اللاتينى "persona" على الأقنوم . فالكلمة غير الآب فى الشخص "persona" لا فى الجوهر وذلك للتمييز لا للتفريق . ويستعمل ترتليانوس اللفظ "persona" فى الاشارة إلى الروح القدس ، وهو الأقنوم الثالث عنده . ومما قاله ترتليانوس فى رده على براكياس : وإذا كان الجمع فى الثالوث لا يزال يزعجك لأنه ينفى الوحدة البسيطة ، فإنى أسألك كيف يمكن لكائن واحد مفرد ان يتكلم بصيغة الجمع فيقول : لنصنع الإنسان على صورتنا ومثالنا ؟ أو لم يكن الأجدر له أن يقول إذا كان هو واحدا مفردا : لأصنع الإنسان على صورتى ومثالى ؟ وقوله « هوذا آدم قد صار كواحد منا » كيف يُفسر إذا كان هو واحد فرد فقط ؟ هل أراد الله خداعنا أو تسليتنا ، أو أنه كان يخاطب الملائكة كما يقول اليهود الذين لا يعترفون بالابن ؟ أو أنه تعمد استعمال الجمع لأنه فى آن واحد الآب والابن والروح ؟

---

(١) من عبارات ترتليانس :

+ جوهر واحد وثلاثة أقانيم tres personae una substantia

+ ثالوث لإله واحد الآب والابن والروح القدس

Trinitas unius divinitatis. Pater et Filius et Spiritus Sanctus.

وإذا كانت الطوائف المسيحية تختلف فيما بينها فى بعض العقائد ، فإنه لا اختلاف بين الطوائف المسيحية فيما يتصل بعقيدة التثليث .

ثالثا ــ عقيدة التثليث فى قوانين الايمان :

تضمنت قوانين الإيمان الإشارة إلى الثالوث القدوس : الآب والابن والروح القدس .

ويشير الأب القمص تادرس يعقوب ، إلى قائمة بأهم قوانين الإيمان ، فى بحث له عن القوانين الكنسية ، على النحو التالى :

١ ــ ايريناوس	ليون	سنة ١٨٠ م
٢ ــ العلامة ترتليان	قرطاجنة	سنة ٢٠٠ م
٣ ــ كبريانوس	قرطاجنة	سنة ٢٥٠ م
٤ ــ نوفتيان	روما	سنة ٢٥٠ م
٥ ــ اوريجينوس	الاسكندرية	سنة ٢٥٠ م
٦ ــ غريغوريوس	قيصر الجديدة	سنة ٢٧٠ م
٧ ــ لوقيانوس	انطاكية	سنة ٣٠٠ م
٨ ــ يوسابيوس	قيصرية	سنة ٣٢٥ م
٩ ــ مارسيليوس	انقرا	سنة ٣٤٠ م
١٠ ــ كيرلس	أورشليم	سنة ٣٥٠ م
١١ ــ ابيفانيوس	قبرص	سنة ٣٧٤ م
١٢ ــ روفينوس		سنة ٣٩٠ م

١٣ ــ القانون الوارد فى القوانين الرسولية Apostolic Constitutions .

١٤ ــ القانون النيقاوى	سنة ٣٢٥ م
١٥ ــ القانون النيقاوى القسطنطينى	سنة ٣٨١ م

ويشير Kelly فى كتابه "Early Christian Creeds" إلى القوانين التالية :

Western Creeds

1- The Old Roman Creed.

2- The baptismal questionnaire of St. Hypolytus.

3- of Remesiana (in yugoslavia).

4- of Hippo.
5- of Carthage.
6- of Ruspe (part of modern Tunisia).
7- Two Spanish Creeds: 1- of Priscillian.
2- of Mozarabic liturgy.
8- Three Gallic Creeds: 1- of Riez. 2- of Arles. 3- of Toulon.

Eastern Creeds

1- Caesares.
2- Jerusalem.
3- Antioch.
4- Syrian Creed.
5- of Mopsuestia (in Cilicia).
6- of Alexandria.
7- of Arius and Euzoius.
8- of St. Macarios.
9- of Nicea.
10- of Constantinopole.[1].

وفى قانون الإيمان النيقاوى ــ القسطنطينى ، **نقول**[1] :

عن الآب : نؤمن بالإله الواحد ، الآب ، ضابط الكل ، خالق السماء والأرض ، كل ما يرى ومالا يرى .

وعن الابن : وبالرب الواحد يسوع المسيح ، ابن الله الوحيد ، المولود من الآب قبل كل الدهور . نور من نور . إله حق من إله حق . مولود غير مخلوق ، وهو من الجوهر نفسه الذى للآب . وبه كان كل شىء . الذى من أجلنا نحن البشر ، ومن أجل خلاصنا ، نزل من السماوات وتجسد متأنسا بالروح القدس ، ومن مريم العذراء . وصلب عنا فى عهد بيلاطس بونطيوس . وتألم ومات وقبر وقام فى اليوم الثالث ، محققا ما جاء فى الأسفار المقدسة . وصعد إلى السموات ، وجلس عن يمين الآب ، ويجىء ثانية بمجد ليدين الأحياء والأموات ، وهو الذى لا نهاية لملكه . **وعن الروح القدس** ، وبالروح القدس ، الرب المحيى ، المنبثق من الآب ، المسجود له والممجد مع الآب والابن ، الناطق بفم الأنبياء .

---

(١) انظر : دكتور موريس تاوضروس ــ دكتور طارق مترى : نحو نص عربى موحد لقانون الإيمان النيقاوى القسطنطينى (اصدار : قسم الإيمان والوحدة بمجلس كنائس الشرق الأوسط ــ تقرير عن لقائى عمل بلا ترس (١٩٨٧) والاسكندرية (١٩٨٨) .

وثمة ملاحظات تختص بقانون الإيمان نشير إليها[١] :

١ ــ قانون الإيمان يستند فى صياغته إلى نصوص العهد الجديد .

٢ ــ فى عبارة « نؤمن بإله واحد الآب » الوحدانية هنا هى وحدانية الآب بصفته هو مصدر اللاهوت والألوهية .

٣ ــ فى القداس القبطى نقول « ثالوث الآب المساوى » أى أن الثالوث القدوس هو ثالوث الآب ، أى الآب وكلمته وروحه ، فينظر للآب باعتباره المصدر فى الثالوث . قال ديونيسيوس الأريوباغى : ان الآب وحده ينبوع اللاهوت الفائق الجوهر (المطالب النظرية ــ ص ٢٥٥) . ويقول القديس أثناسيوس الرسولى : أما الآب فإنه حاوى الكمال بوجوده من غير نقص وهو الأصل وينبوع الابن والروح (المرجع السابق ــ ص ٢٥٨) .

الفهم الصحيح للثالوث إذن ، هو النظر إلى الثالوث باعتباره الآب بكلمته وروحه . الابن هو ابن الآب والروح القدس هو الروح المنبثق من الآب ، وعلى هذا الوضع نتكلم عن الوحدانية والثالوث فى آن واحد . عندما نتكلم عن ثالوث الآب ، نكون قد فهمنا الثالوث فهما دقيقا صحيحا ، فنحن لا نتحدث عن الآب والابن والروح القدس كمنفصلين ثم نكون منهم وحدانية ، ولكن بالأحرى ننظر إلى الابن مرتبطا بالآب ، وكذلك للروح القدس مرتبطا بالآب ، وفى نفس الوقت يكون لكل أقنومه الخاص .

عندما نقول الإله الواحد الآب الذى منه يولد الابن ، ومنه ينبثق الروح القدس ، فمن الواضح ، أننا نؤكد هنا على وحدانية الله ، وضد ما يفهم خطأ من تعددية حينما نتحدث عن الأقانيم الثلاثة . عندما نقول : الآب بكلمته وروحه ، لا يبقى مجال للتحدث عن التعددية فى الثالوث .

٤ ــ يفضل استعمال عبارة « من الجوهر نفسه الذى للآب » بدلا من العبارات التى تستعمل حاليا فى قانون الإيمان . مثل عبارة « مساو للآب فى الجوهر » ، أو عبارة « واحد مع الآب فى الجوهر » . فأما بالنسبة لعبارة « مساو للآب فى الجوهر » فإن الذين لا يستحسنون هذه العبارة ، يقولون أن هذه العبارة قد تعنى أنه يوجد

جوهر للابن وجوهر للآب ، وأن الجوهرين متساويان . ولكن إذا كانت عبارة « مساو للآب فى الجوهر » تثير التخوف من التعددية فى الجوهر ، فإن عبارة « واحد فى الجوهر » قد تثير التخوف من وحدانية الأقنوم فى الذات الإلهية . لو أن الأمر الأساسى الذى أراد أن يؤكده القديس أثناسيوس الرسولى هو وحدة الجوهر فقط ، لا ستعمل كلمة أخرى غير كلمة « هومووسيوس » كما ورد فى مجموعة الشرع الكنسى ، فى فصل خاص عن كلمة « هومووسيوس » لهنرى برسيفال ، قال فيه « قد أفاض فى بحث هذه المسألة بشىء من الاسهاب فاسكز فى مناقشاته ، وأظهر أن أبيفانيوس بين بكل جلاء الفرق بين الكلمتين « سينوسيوس Synousios و« هومووسيوس Homoousios » ، فالكلمة الأولى « سينوسيوس » تعنى وحدة فى الجوهر بحيث لا متسع لأى تمييز ، وأما الثانية « هومووسيوس » فتعنى أن الجوهر واحد والطبيعة واحدة مع وجود تمييز بين شخص وآخر فى الأقانيم الثلاثة . لذلك أصابت الكنيسة فى اتخاذ هذه العبارة ، كأفضل ما يرد على بدعة آريوس[1] .

فيجب أن نحذر هنا فكر سابليوس الذى كان يرى أن الله أقنوم واحد بثلاثة اسماء أو بثلاثة وجوه . إن فكر سابليوس ، يمكن أن يتقبل عبارة « واحد فى الجوهر » ولا تكون لديه مشكلة . ولكن عندما أقول « مولود من جوهر الآب » فإنى هنا لا أعطى معنى الأقنوم الواحد بل معنى الجوهر الواحد مع أقنومين ، لأن أقنوم ولد من أقنوم من نفس جوهره ، فهما لهما نفس الجوهر ، مع وضوح لتميز الأقانيم ، ووضوح لفكرة الولادة . فنحن إذن عندما نقول « واحد فى الجوهر » قد نوحى بالاقتراب من فكر سابليوس . والقديس أثناسيوس كان بالطبع يريد أن يؤكد أن المسيح مساو للآب فى الجوهر ، بمعنى أنه لم يكن أقل من الآب ، فهو ليس شبيها به ، ولكن من نفس جوهره ، أو من الجوهر نفسه الذى للآب[1] .

٥ ــ إن السيد المسيح لم يكن فى البداية شيئا آخر ، ثم أخذ نفسا إنسانية ليصير إنسانا ، لكن الروح القدس هيأ الناسوت الكامل للسيد المسيح بجسد ونفس إنسانية عاقلة ، فلم يحدث أن التجسد كان فعلا ، والتأنس كان فعلا آخر ، لأن السيد المسيح أخذ طبيعة إنسانية كاملة (ماعدا الخطية) . وعندما قال القديس يوحنا فى إنجيله « والكلمة صار جسدا » فقد كان يقصد « صار بشرا أى صار إنسانا » . ولذلك

---

(١) مجموعة الشرع الكنسى ، جمع وترجمة وتنسيق الارشمندريت حنانيا الياس كساب ــ منشورات النور ١٩٨٥ ــ ص ٤٥ .

فمن الناحية اللاهوتية يمكن أن نقول « إنسانا » أو « بشرا » أو « جسدا » أو نقول « تأنس » . وجميع هذه المفاهيم تعنى نفس الشيء أى « تجسد الكلمة » .

٦ ــ ان عمل الروح القدس فى التجسد ، ليس هو السبب الوحيد فى تسمية المسيح « ابن الله » ، ذلك لأن السيد المسيح دعى ابن الله قبل التجسد ، فولادة الابن من الآب أزلية . هذا كان لقبه قبل التجسد ، وهو أيضا لقبه بعد التجسد . المولود من العذراء هو أقنوم الكلمة الذى تجسد ، ومن الخطأ القول أن لقب « ابن الله » أخذه لمجرد أنه ليس له أب جسدى ، ذلك لأن هذا اللقب ــ كما قلنا ــ هو لقبه منذ الأزل ، فالمسيح دعى ابن الله لأنه هو الكلمة المولود من الآب قبل كل الدهور . هذا الابن الكلمة أخذ جسدا . وبعد التجسد لقب نفسه ابن الإنسان . فلقب « ابن الله » إذن كان لقب السيد المسيح قبل التجسد ، ولقب ابن الإنسان كان لقبه بعد التجسد .

٧ ــ ان دور الروح القدس فى التجسد يختلف عن دور العذراء ، ولابد من تبديد أى التباس ممكن لجهة اعتبار الروح القدس صاحب دور الأب فيما العذراء مريم هى الأم .

ان الروح القدس لم يعمل خارج مريم العذراء ، بل عمل آخذا منها نسل آدم أو الطبيعة البشرية ، ولكن بدون الخطيئة الجدية ، ولذلك كان يسمى نفسه « ابن الإنسان » .

نحن لا نقول أن السيد المسيح أخذ لاهوته من الروح القدس . اللاهوت هنا لا يدخل فى هذا الموضوع . الحديث يدور فقط حول الناسوت . أقنوم الكلمة اتحد بالناسوت . لا نقول : أقنوم الروح القدس اتحد بالناسوت . أقنوم الكلمة اتحد بالناسوت دون أن ينفصل ، لا من أقنوم الآب ولا من أقنوم الروح القدس . جوهريا الأقانيم متحدة .

فى التجسد حدثان تما فى لحظة واحدة : تهيئة الناسوت واتحاده باقنوم الكلمة . الروح القدس قام بتهيئة الجسد . مصدر ناسوت السيد المسيح هو العذراء مريم . الروح القدس لم يكن مصدرا بل كان فاعلا . الجسد نفسه مأخوذ من العذراء مريم . لا نقول أن الجسد مأخوذ من الروح القدس . هذا مستحيل . لكن تحقق التأنس هو بلا شك من فعل الروح القدس ومن فعل العذراء . إذا تساءلت : ما هو فعل الروح القدس ، وما هو فعل العذراء مريم ، وما هو دور الروح القدس وما هو دور العذراء مريم ، فلا يجب أن تكون الإجابة

بالأقل أو الأكثر أو بالأهم والأصغر أهمية . الدوران إيجابيان والدوران مهمان ، ولا يمكن لأى دور منهما بمفرده ، يحقق التجسد . ان الروح القدس هيأ الجسد ، ولكن ليس معنى ذلك أنه جزء من الناسوت نفسه . عندما نقول « من الروح القدس » لا نقصد أن الناسوت جزء من الروح القدس لكن هو من فعل الروح القدس . الحبل المعجزى الذى تم لم يكن من الممكن أن يحدث بدون تدخل الروح القدس . الروح القدس أخذ الطبيعة البشرية من مريم وأعطى هذه الطبيعة أن تصير ناسوتا كاملا ، وليس مجرد جزء من اللحم لا يصلح أن يكون إنسانا . عندما نقول « من الروح القدس ومن مريم العذراء » فنحن نساير النص اليونانى فى قانون الإيمان ، وأيضا النص الكتابى ، حيث قيل « الذى حبل به فيها هو من الروح القدس » أى أن كلمة « من » اسندت إلى الروح القدس ، و « به فيها » اسندا إلى مريم العذراء ، أى أنه يقول « تجسد متأنسا من الروح القدس فى مريم العذراء » ولكن الحرف « فى » يبقى اثناء الحمل فقط ، أما بعد الولادة فيستعمل الحرف « من » .

إن الذى تم هو بفعل الروح القدس ، وليس بجوهره ، فالروح القدس لم يمتزج بإنسانية السيد المسيح ولم يبق جزءا من الناسوت ، وبمعنى آخر ، فإن الناسوت ليس جزءا من العذراء مريم وجزءا من الروح القدس .



٦ ـ الحدود (الاصطلاحات) الخاصة بالثالوث

+ اهتم الآباء بشرح الاصطلاحات المختلفة المرتبطة بالثالوث ، وإجلاء معناها ، وإبعاد ما يعلق بها من عدم فهم . فلقد حدد ترتليانس اصطلاحى : "natura" ، "Substantia" ، على أنهما يشيران إلى الجوهر الذى هو مشترك فى الثالوث القدوس ، ثم أضاف عليهما اصطلاح "essentia" كمرادف لهما . ولقد سادت هذه الاصطلاحات الثلاثة فى الغرب فى مقابل اصطلاحى "physis" ، "ousia" ، اللذان سادا فى الشرق .

وهناك بعض قليل من الكتاب استعمل اصطلاحى "physis" ، (Natura - Substantia) "ousia" للدلالة على الأقانيم ، أى فى المعنى الذى استعملت فيه فيما بعد كلمة "hypostasis" .

وقد استعمل البعض الاصطلاحين "ousia" و"hypostasis" كاصطلاحين مترادفين . انظر :

Theod. C. H. ch. 6 (8) + ch. 17 (22), M. 82, 1012, 1053.

وكذلك ، فإن القديس أثناسيوس الرسولى ، فى رسالته إلى أساقفة أفريقيا ، استعمل الكلمتين فى معنى واحد . انظر "M. 26, 1036" .

كذلك انظر : Greg. Naz. Log. XXI, ch. 36, M. 35, 1124.

وكذلك أيضا فى حرم أريوس ، فى المجمع المسكونى الأول ، حسب ملاحظة سقراط المؤرخ ، استعملت فى معنى واحد ، الكلمات التالية :

Substantia - hypostasis - ousia.

ثم بعد ذلك ، عندما تحدد الـ hypostasis فى معنى الشخص "prosopon" ، صعب على الغرب قبول هذا ، لأنه وحد فى المعنى بين الـ hypostasis والـ Substantia والـ ousia .

وفى القرن الخامس فسر اورينموس الـ hypostasis فى معنى الـ "ousia" ، ولم يجرؤ على استعماله كمرادف للفظ "prosopon" انظر :

Epist. 57, ad Damasum.

ونلاحظ أن القديس كيرلس الاسكندرى ، استخدم فى الحرم الثالث الـ "hypostasis" فى نفس المعنى الذى استخدم فيه كلمة "physis" .

وفى النهاية صار تمييز واضح لاستعمال "hypostasis" (Substantia) من الـ (Natura) "physis" والـ "ousia" (essentia) ، بحيث صار عدم الإعتراف بوحدة الـ "ousia" فى الثالوث ، يعنى القول به تعدد الآلهة ، ويكون للآب والابن والروح القدس طبيعة (physis) واحدة ، فالله واحد فى الطبيعة (physis) أو الجوهر (ousia) ، ثلاثة فى الأقانيم . انظر :

M. Bosil. Epist. 2, 10, 5 + 4, M. 32, 776, 773, Isid. pyl. Book. 111, epist. 112, M. 78, 817, Theod. C. H. 5, 9, M. 82, 1216.

وبالنسبة لاستعمال اللفظ prosopon ، فقد وجد اعتراضات ، لأن سابيليوس استعمله ليشير به إلى نوع من التجلى لله الواحد . وانظر فى حديث الآباء عن هذا اللفظ :

1- Greg. Naz. Log. 42, ch. 16, M. 36, 477.
2- M. Basil. epist. 210, M. 32, 776.

+ اما الاصطلاح "omoousios" ، فقد صادف فى البداية اعتراضات كثيرة ، خاصة وأن بولس السمساطى قد استعمله وشوه به عقيدة التثليث ، وفضلا عن هذا ، فإن هذا الاصطلاح لم يرد فى الكتاب المقدس . ولكنه فى النهاية استعمل فى قانون الإيمان ليشير إلى ان الابن هو من الجوهر نفسه الذى للآب . انظر :

1- Athanas., Arimin 41, M. 26, 765, 45, M. 26, 772-773.
,Dionys. Epis. C ch. 17 + 18, M. 25, 505.
,Nicene Council ch. 19-20, M. 25, 449, 452.
2- ILarion, De Synod. 81, m. 10, 534.

+ وهناك الاصطلاح « شبه الجوهر » "omoiousios" الذى قبله الأريوسيون ، لأنه أيضا يمكن أن يقال علينا نحن البشر ، فالإنسان هو صورة ومجد الله . أما القديس أثناسيوس الرسولى ، فقد اشار إلى التحفظات فى استعمال هذا اللفظ ، لأن « شبه الجوهر » لا يعنى « نفس الجوهر » فالقصدير يشبه الفضة ، ولكنه ليس بالفضة . انظر :

1- Athanas: Nic. Council, M. 25, 452.
: Arimin 41, M. 26, 765.

كذلك انظر ملاحظات القديس باسيليوس على هذا الاصطلاح

M. Basil. Epist, 9, M. 32, 272.

+ كذلك فقد شرح الآباء الاصطلاحين agenytor (غير مخلوق) وagennytos (غير مولود) اللذين خلط بينهما الاريوسيون ، وانتهوا إلى القول بان الآب فقط هو غير مخلوق ، أما الابن فهو فى نظرهم مخلوق . وقد اعترض عليهم القديس أثناسيوس ، مؤكدا أن الابن أيضا غير مخلوق . ولو كان الابن مخلوقا — كما يقول الاريوسيون — ولم يكن أزليا مثل الآب ، فإنه لن يكون الصورة الحقيقية للآب . انظر :

Athanas. against Arian. 1, 31 + 20-21, M. 26, 76, 53.

ثلاثة فى واحد ، وواحد فى ثلاثة

وخلاصة هذا ، يمكن أن نقول ، ان جوهر الله أو طبيعته بسيطة غير منقسمة ، وهو إله واحد فى ثالوث ، ولا يليق أن نمثله بخلائقه .

Athanas. against Arian. 1, 18, M. 26, 48.

فهناك إذن إله واحد وثلاثة أقانيم ، أو هناك ثلاثة أقانيم فى جوهر واحد . وأقنوم الابن لا يمثل جزءا من الالوهية ، بل هو ملء اللاهوت . وكذلك الأمر بالنسبة للروح القدس ، فهو الله . الله الآب ، الله الابن ، الله الروح القدس ، ولكن ليسوا ثلاثة آلهة بل إله واحد ، وجوهر واحد وطبيعة واحدة وذات واحدة فى ثلاثة أقانيم. انظر :

Athanas. against Arian. 111, 4, M. 26, 328, 332.

جوهر الله غير منقسم ، فليس هناك أجزاء فى الذات الإلهية ، ولا يمكن تصور أقنوم الآب بدون الابن أو أقنوم الابن بدون الآب ، أو أقنوم الآب أو أقنوم الابن بدون أقنوم الروح القدس . وكما أن الأقانيم الثلاثة لا تؤدى إلى تقسيم فى الجوهر ، فكذلك وحدة الجوهر لا تلغى الخصائص الأقنومية . انظر :

1- M. Basil. epist. 38, 4, M. 332.
2- Greg. Theol. Log. 31. ch. 14, M. 36, 148.
3- Greg. Nys. not being three Gods, M. 45, 125.
4- Dam. about the two thelymata in Christ, 8, M. 95, 136.
5- M. Basil. Hom. 24, agaimst Sabel. 4, M. 31, 609.

الآب والابن والروح القدس إله واحد

مقدمة عامة :

إن « أبوة » الله لم تكن مجهولة حتى فى العهد القديم ، حيث دعى الله « أب » على الأخص للشعب الإسرائيلى . لقد اهتم الله بالشعب الإسرائيلى اهتماما أبويا ، وكأب ، يرحم كل الذين يخافونه .

وفى العهد الجديد ، فإن أبوة الله قدمت فى نور جديد ، لأن الله كأب ، تمتد رحمته إلى الناس جميعا ، وعلى الأخص ، نحو هؤلاء الذين يسلكون فى الفضيلة ، والذين آمنوا بالمسيح وولدوا من جديد بفعل الروح القدس ، وهم الذين يعتبرون الأبناء الحقيقيين لله .

على ان هؤلاء الذين صاروا أولادا بالنعمة ، على الرغم من ميلادهم الروحى الفائق للطبيعة ، فهم مخلوقات محدودة ، ويجب أن نميز بين هذه البنوة التى للبشر وبين بنوة المسيح لله . فالمسيح ، هو وحده ابن الله بالطبيعة ، ولذلك فهو يسمى وحيد الجنس ، وله وجود أزلى أبدى . وهو واحد مع الآب فى الجوهر .

وهكذا فإن الأقنوم الأول من الثالوث القدوس ، يتكلم عنه العهد الجديد من حيث أنه « ***إله واحد الآب*** » (١كو ٨:٦) « ***الذى منه تسمى كل عشيرة فى السماوات وعلى الأرض*** » (أف ٣:١٥) .

ومنذ البداية ، فى التقليد الرسولى ، وصف بأنه الآب الوحيد غير المولود . إنه وحده الذى لا يرد إلى علة خارجة عن ذاته . ولم يحدث أنه كان ابنا ثم صار أبا ، على نحو ما يحدث فى عالم البشر . وهو يوجد على الدوام أبا ، لأنَّ له على الدوام الابن وحيد الجنس .

والأقنوم الثانى من الثالوث ، هو ابن الله ، ليس فى معنى البنوة التى نجدها فى العهد القديم عن الشعب الإسرائيلى أو عن الملائكة . وفى العهد الجديد أيضا ، هناك بنوة النعمة والفضل ، التى يحصل عليها المؤمنون ، بالميلاد الثانى . وهذه ـــ كما قلنا ـــ تختلف عن بنوة المسيح ، الذى هو ابن بالطبيعة وليس بالتبنى ، وله الجوهر نفسه الذى للآب ، وهو

وحده الذى يعرف الآب ، ويعرف من الآب فقط . وهو من حيث أنه يساوى الآب ، وهو رسم جوهره وبهاء مجده ، لذلك يسجد له ويعبد مثل الآب ، وله نفس الكرامة الموجهة للآب . كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان .

وأما بالنسبة للأقنوم الثالث ، فإن أقنوميته لم تكن واضحة فى العهد القديم ، بالقدر الذى اتضحت به فى العهد الجديد . ولقد شهد له بوضوح من الابن كأقنوم خاص من الأقانيم الثلاثة . وقيل إن التجديف على الروح القدس ، لا يغفر لا فى هذا الدهر ولا فى الدهر الآتى ، وسُمى بالمعزى الآخر . واشير إلى انبثاقه من الآب ، وارسل إلى العالم بواسطة الابن . وهو فى رسائل بولس الرسول ، يفحص أعماق الله ، ويهب المؤمنين مختلف المواهب والعطايا ، ويسكن فينا ، ويتخذ من الجسد الإنسانى هيكلا له ، وبه نحصل على الميلاد الثانى ، وهو يوحى للرسل ويتكلم على لسان الأنبياء . ولقد حملت الكنيسة ، منذ عصر الرسل ، هذه التعاليم الكتابية ، وكرزت بها ، ووقفت فى مواجهة الهرطقات والبدع التى انكرت لاهوت الروح القدس ، وعلى الأخص هرطقة مكدونيوس والذين تبعوه .

أولاً ــ الله الآب :

١ ــ إن أبوة الله ــ كما قلنا ــ لم تكن مجهولة فى العهد القديم . وقد جاء عن هذه الأبوة فى العهد القديم ما يلى :

« أليس هو أباك ومقتنيك . هو عملك وأنشأك »

(تث ٦:٣٢)

« أليس أب واحد لكلنا . أليس إله واحد خلقنا »

(ملا ١٠:٢)

« لما كان إسرائيل غلاما أحببته ، ومن مصر دعوت ابنى »

(هو ١:١١)

« فإنك أنت أبونا . أنت يارب أبونا ولينا منذ الأبد اسمك »

(إش ١٦:٦٣)

« والآن يارب أنت أبونا . نحن الطين وأنت جابلنا ، وكلنا عمل يديك » (إش ٨:٦٤)

« كما يترأف الأب على البنين ، يترأف الرب على خائفيه »

(مز ١٣:١٠٣)

« أبو اليتامى وقاضى الأرامل ، الله فى مسكن قدسه »

(مز ٥:٦٨)

« فاعلم فى قلبك أنه كما يؤدب الإنسان ابنه ، قد أدبك الرب إلهك » (تث ٥:٨)

« لأن الذى يحبه الرب يؤدبه ، وكأب بابن يُسر به »

(أم ١٢:٢)

٢ ــ وفى العهد الجديد ، فإن الله كآب ، يُعلن فى نور جديد وبأسلوب خاص لأن الله يقدم كآب ، ليس من حيث أنه خلق العالم ويهتم به ويعتنى بشعب خاص ، بل على الأخص فى المعنى الأخلاق ، فهو أب للجميع ، دون تمييز بين اليهود والأمميين . وفى هذا المعنى الأخلاق ، فإن هؤلاء الذين يقاومون الحق ، هم بعيدون عن الآب السماوى ، ولهم الشيطان أب ، ليس لأن الشيطان هو علة وجودهم ، بل من حيث مسلكهم الشرير . قال يسوع لليهود ***« أنتم تعملون أعمال أبيكم ، فقالوا له ، إننا لم نولد من زنا . لنا أب واحد وهو الله . فقال لهم يسوع : لو كان الله أباكم لكنتم تحبوننى لأنى خرجت من قبل الله وأتيت . أنتم من أب هو إبليس ، وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا . ذاك كان قتالا للناس من البدء ولم يثبت فى الحق لأنه ليس فيه حق »*** (يو ٨:٤١ــ٤٤) . انظر :

1- Ammonios: M. 85, 1452.
2- Theoph. M. 124, 29.

على أن هؤلاء الأشرار ، إذا تابوا وعادوا إلى الله ، فإنهم يعودون يتمتعون بأبوة الله ، كما حدث بالنسبة للابن الضال ، الذى عندما رجع عن شره وقام وجاء إلى أبيه ، تحنن عليه أبوه وركض ووقع على عنقه وقبله (لو ١٥:١٧) ، وانظر :

Greg. Nys., Log. 7, M. 44, 1289.

فالأبوة فى العهد الجديد ، تتخذ معنى أخلاقيا . وعلى الأخص فإن هؤلاء الذين آمنوا بالمسيح وولدوا من جديد بالروح القدس ، فإنهم يصيرون أبناء الله ، وفى قلوبهم يصرخ الروح القدس قائلا : ياأبا الآب .

هؤلاء يتكلم عنهم الكتاب فيقول :

« طوبى لصانعى السلام لأنهم أبناء الله يدعون »

(مت ٥:٩)

« وأما أنا فأقول لكم ، أحبوا أعداءكم ، باركوا لاعنيكم ، احسنوا إلى مبغضيكم ، وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم ، لكى تكونوا أبناء أبيكم الذى فى السموات ، فإنه يشرق شمسه على الأشرار والصالحين ويمطر على الأبرار والظالمين ، فكونوا أنتم كاملين كما أن أباكم الذى فى السموات هو كامل »

(مت ٥:٤٤—٤٨)

« وأما كل الذين قبلوه ، فأعطاهم سلطانا أن يصيروا أولاد الله أى المؤمنون باسمه ، الذين ولدوا ليس من دم ولا من مشيئة جسد ولا من مشيئة رجل ، بل من الله »

(يو ١:١٢—١٣)

« فأجاب يسوع : الحق الحق أقول لك ، إن كان أحد لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله . المولود من الجسد جسد هو ، والمولود من الروح هو روح . لا تتعجب أنى قلت لك ينبغى أن تولدوا من فوق »

(يو ٣:٥—٧)

« ثم بما أنكم أبناء ، أرسل الله روح ابنه إلى قلوبكم صارخا ياأبا الآب . إذن لست بعد عبدا بل ابنا ، وإن كنت ابنا ، فوارث لله مع المسيح » .

٣ — ولكن من بين هؤلاء الأبناء الذين هم مخلوقات الله ، لا يوجد واحد له نفس طبيعة الله ، أو هو بالطبيعة ابن الله . إن الابن وحيد الجنس (يو ١:١٨) هو وحده من طبيعة الله ومن جوهره ، وفى هذا لا يشترك معه أحد من البشر . انظر :

1- Greg. Naz., Log. 30, 20, M. 36, 128.
2- Orig., apospasmata, 9, B. 12, 341.
3- M. Basil., Hom. 15, 2, M. 31, 468.
4- Cyril., John, 1, 14, M. 73, 164.

وقد أفصح السيد المسيح عن العلاقة الخاصة بينه وبين الآب ، وميز بين أبوة الآب بالنسبة له وبالنسبة لغيره من البشر ، فقال مخاطبا السامرية **« لا تلمسينى ،**

لأنى لم أصعد بعد إلى أبى . ولكن أذهبى إلى اخوتى وقولى لهم ، إنى أصعد إلى أبى وأبيكم وإلهى وإلهكم . فجاءت مريم المجدلية واخبرت التلاميذ أنها رأت الرب وأنه قال لها هذا » (يو ٢٠ :١٧، ١٨) . وقد فهم اليهود من هذه الأبوة الخاصة التى تحدث عنها السيد المسيح ، على أنها تضع المسيح فى موضع معادل لله ، فقالوا « ***لم ينقض السبت فقط ، بل قال أيضا ان الله أبوه معادلا نفسه بالله*** » (يو ٥ :١٨) .

وقال الرسول بولس « ***لكن لنا إله واحد الآب الذى منه جميع الأشياء ونحن له ، ورب واحد يسوع المسيح الذى به جميع الأشياء ونحن به*** » (١ كو ٨ :٦) . وانظر فى هذا :

Theod., Ephes. 3, 15, M. 82, 529.

ويقول أيضا الرسول بولس عن الله الآب :

« ***نعمة لكم وسلام من الله أبينا والرب يسوع المسيح . مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح أبو الرأفة وإله كل تعزية*** »

(٢ كو ١ :٢، ٣)

« ***بسبب هذا أحنى ركبتى لدى أبى ربنا يسوع المسيح*** »

(أف ٣ :١٤)

٤ ــ وعلى هذا الأساس ، دعى الأقنوم الأول من الثالوث ، من قبل الآباء والكتاب الكنسيين « الله أب الكل » ، « علة الوجود » ، « مصدر الحياة » ، « مبدأ كل شيء » ، « مبدأ الابن » ، « علة الابن » ، وغيرها من العبارات التى تشير إلى الآب ، كعلة أو أصل أو مصدر . أنظر :

1- Justin, 1, apol., 45, 1, B. 3, 185.
2- Dam., 1, 8, M. 94, 820.

يقول الإيغومانس ميخائيل مينا :

إن حصر الأبوة فى الأقنوم الأول لا تدل على الفاعلية ، ولا البنوة فى الأقنوم الثانى تدل على المفعولية . لأن الأقنوم الأول ليس علة للأقنوم الثانى بالحالة التى يكون فيها الوالد علة لإبنه . لأن الوالد المخلوق يمنح ابنه طبيعة جديدة غير طبيعته بالعدد ، وإن كانت واحدة

مع طبيعته بالنوع . فمن ثم يدعى علة وسببا لإبنه ، لأنه يوجد جوهرا جديدا ، وطبيعة غير طبيعته ، أما الأقنوم الأول فلا يعطى الابن جوهرا وطبيعة غير طبيعته ، بل يعطيه طبيعته عينها » (علم اللاهوت ــ المجلد الأول ــ ص ٢٠٨) .

وإذا قيل عن الآب أنه مبدأ أو علة الابن والروح القدس » ، فإنه ــ فيما يقول ايضا الإيغومانس ميخائيل مينا :

بما أن المبدأ أو العلة ، متخذ من معنى التقدم ، وليس فى الأقانيم الإلهية متقدم ومتأخر ، فإذن المراد بالعلة أو المبدأ هنا ، هو ما يصدر عنه شيء بنحو من الأنحاء ، فلا يدل على التقدم ، بل **على الأصل فقط** (كالقرص والشعاع) ، ومن ثم لا يقال على الحصر ، إن الأقنوم الأول علة أو سبب للأقنوم الثانى والثالث . (ص ٢٠٨ ، ٢٠٩) .

وإذا قيل أن الابن والروح القدس قبلا اللاهوت من الآب ، فمن ثم يكون الآب اسمى فضلا منهما ، يرد على ذلك الإيغومانس ميخائيل مينا قائلا :

إن من يحصل على شيء من غيره لا يعتبر أنه أقل فضلا منه إلا إذا كان :

أولاً : حصل له ذلك الشيء ، دون ما هو لمن اقتبله منه بالفضل والحال أنه ليس للابن والروح القدس أقل مما للآب فى اللاهوت ، لأن الطبيعة اللاهوتية منزهة عن المادة ، فهى غير منقسمة ولا متجزئة ، ومن ثم لا يمكن أن يكون الابن والروح القدس قد منحا جزءا منها بل كلها .

ثانياً : إذا لم يحصل له بالضرورة التى هو حاصل بها لمن صدر منه . والحال ان الأقانيم الإلهية الثلاثة لهم اللاهوت بالضرورة على حد سواء .

ثالثاً : إذا لم يحصل له ذلك طبيعيا جوهريا كمن هو لمن أخذ منه . والحال ان اللاهوت للأقنوم الثانى والثالث هو طبيعى جوهرى كما هو للآب .

رابعاً : إذا كان صدوره وحصوله على ذلك الشيء بعد الذى صدر منه ، بالزمن . والحال ان الابن والروح القدس ليس هما بعد الآب بالزمن ، بل مساويان له بالأزلية (ص ٢٠٩) .

ويشير الرسول بولس إلى أن الآب هو رأس الابن « **_« ورأس المسيح هو الله »_** (١كو ٣:١١) . فهناك فى الثالوث ، بدء واحد فقط وليس هناك بدءان ، والآب لا يرجع إلى علة أخرى أو إلى مبدأ آخر . انظر :

1- Cyril of Jer., Catech. 11, 14 M. 33, 708.
2- Greg. Nys., against Eunom. 1, M. 45, 336.
3- M. Basil., epist. 38, 4, M. 32, 329.

وسمى الآب « بالإله الحقيقى » و« الإله بذاته » وهو إله وأب للجميع . وهو أب على الدوام فلم يكن ابنا وصار فيما بعد أبا .

يقول القديس أثناسيوس الرسولى :

لا يوجد إله آخر سوى الآب ، ولا يوجد ابن آخر غير الابن « لأنه هو الابن الوحيد » . لذلك فإن الآب ، إذ هو واحد وحيد ، فهو أب لابن واحد وحيد . أما اصطلاح « الآب » ، واصطلاح « الابن » ، فهما — فى اللاهوت فقط — ينحصران أبدا فى معنيهما فقط . لأنه فى حالة البشر ، لما يدعى أى رجل أبا ، فإنه مع ذلك ابن لرجل آخر ، وإن دعى ابنا ، فإنه مع ذلك أب لرجل آخر . ولذلك فإن اسم « الآب » واسم « الابن » فى اصطلاح البشر ، لا ينحصران ، فى معنيهما فقط . فإبراهيم مثلا ، وهو ابن تارح ، هو أب إسحق ، وإسحق ، وهو ابن إبراهيم ، هو أب يعقوب ، وهذا هو الحال فى طبيعة البشر ، لأنهم أجزاء بعضهم من بعض ، وعندما يولد كل منهم ، فإنه ينال جزءا من أبيه لكى يصير هو نفسه أبا لشخص آخر . أما فى حالة اللاهوت ، فليس الأمر كذلك ، لأن الله لا يماثل الإنسان ، وطبيعته لا تتجزأ . لذلك فإنه هو نفسه لم يلد ابنا بتجزئة نفسه ليصير أبا لغيره ، لأنه هو نفسه لم يأت من أب ، والابن ليس جزءا من الآب ، ولذلك فإنه لا يلد كما ولد هو ، بل هو صورة كاملة للكامل وشعاعه . وفى اللاهوت فقط نجد أن الآب ، أب بحصر المعنى ، والابن بحصر المعنى . وهكذا يصح القول أن الآب أب أبدا ، والابن ابن أبداً . وكما ان الآب لا يمكن أن يكون ابنا ، كذلك لا يمكن أن يكون الابن أبا . وكما ان الآب لن يكف عن ان يكون الأب الوحيد ، كذلك لن يكف الابن عن ان يكون الابن الوحيد . (رسائل أثناسيوس الرسولى عن الروح القدس — تعريب القس مرقس داود . فقرة ١٦ ص ٤٤ — ٤٥) .

وانظر أيضا :

1- Orig., John. Vol B, 3, B. 11, 289.
, against Cels. VI, 47, B. 10, 96.
2- Greg. Nys., against Eunom. 1, M. 45, 369.
3- M. Athanas. against Arian. 1, 14, M. 26, 41.
4- Cyril of Jer. Catech. 11, 7, M. 33, 700.
5- Dam. mnym. erg. 1, 8, M. 94, 812.

وعلى هذا النحو ، فإن الأقنوم الأول فى الثالوث القدوس ، هو « آب » للأقنوم الثانى . وقد ولد الابن ميلادا أزليا . والآب هو بدء ومصدر الألوهية ، لأن منه أيضا ، انبثق الأقنوم الثالث . انظر :

Cyril of Alex., ABBAKOUM XXXV, M. 71, 897.

يقول الإيغومانس ميخائيل مينا فى علة تسمية الأقنوم الأول بـ « الآب » ، والأقنوم الثانى بـ « الابن » :

حيث أن الأقنوم الأول هو بمنزلة ينبوع أو مبدأ « ولكن لا من مبدأ » أعطى الأقنوم الصادر عنه طبيعته وجوهره كله . حتى ان الأقنوم الثانى الذى هو صورة الأقنوم الأول الجوهرية مساو للآب بكمال المساواة ، أى له طبيعة الآب وجوهره نفسه ، وممثل له فى ذاته ، لا تمثيلا عرضيا خياليا ، بل ذاتيا حقيقيا تاما ، كما قال جل شأنه عن نفسه « ***من رآنى فقد رأى الآب*** » (يو ١٤ : ١٩) . ومن ثم صار حسنا ولائقا للغاية أن يدعى الأقنوم الأول « أبا » والأقنوم الثانى « ابنا » إيضاحا لوحدة الطبيعة ومشابهتها لكليهما ، لأن كل مولود يشبه أباه فى جوهره وطبيعته وكل خصائصه . فالطير يلد طيرا والوحش يلد وحشا ، والإنسان يلد إنسانا مشابها له فى كل شيء . كذلك ابن الله هو إله فى جوهره وطبعه كأبيه ،

وحيث أن حد الإتلاد هو صدور حى من حى بمبدأ مقارن (مشابه) يقتضى شبه طبيعته (شكله) ،

وحيث أن الأقنوم الثانى صدر من الأقنوم الأول حيا من حى بمبدأ ليس مقارنا (مشابها) فقط ، بل واحدا مع الذات الإلهية ، وهو بأبلغ نوع يستلزم شبه الطبيعة . لأن الوالد الطبيعى بفعل الإتلاد يوجد شخصا شبيها بطبيعته فقط ولا يمكن أن يمنحه طبيعته ذاتها ، أما الله الآب ، فإنه ولد الأقنوم الثانى ليس شبها له فى الطبيعة فقط ، بل له (الطبيعة الإلهية ذاتها) ولذلك صار فى أقصى حدود اللياقة والمناسبة أن يدعى الأقنوم الأول (بالآب) والأقنوم الثانى (بالابن) — ص ١٩٠ — ١٩١ .

ثانياً ـــ الله الإبن :

١ ـــ فى الجوهر الإلهى ، يتميز الابن عن الآب ، كأقنوم خاص ، ولو أن الإبن يظل غير منفصل عن الآب ، وهو واحد معه ، إلى الدرجة التى لا يمكن معها أن نتصور أننا أمام اثنين منفصلين ، أو أننا أمام إلهين ينفصل الواحد منهما عن الآخر . ويتميز الابن عن سائر الكائنات الأخرى ، باعتباره الابن وحيد الجنس ، الواحد مع الآب فى الجوهر ، فهو لا يوضع على مستوى أى من المخلوقات . فهو ليس ابنا فى المعنى الذى أطلق على الشعب الإسرائيلى فى العهد القديم ، حيث دعى ابن الله البكر ، أو فى المعنى الذى أطلق على الملائكة فى السماء ، كما يبدو من الآيات التالية :

« ***فتقول لفرعون ، هكذا يقول الرب : إسرائيل ابنى البكر*** »(خر ٢٢:٤)

« ***وكان ذات يوم أنه جاء بنو الله ليمثلوا أمام الرب ، وجاء الشيطان أيضا فى وسطهم*** » (١أيو ٦:١)

« ***عندما ترنمت كواكب الصبح معا وهتف جميع بنى الله*** » (أيو ٦:٣٨)

وكذلك فى العهد الجديد ، فإن بنوة المسيح تختلف عن أية بنوة أخرى ، فقد دعى آدم ابن الله (لو ٣٨:٣) وكذلك دعى صانعوا السلام ، بابناء الله (مت ٩:٥) .

ويفرق علماء اللاهوت بين بنوة المسيح ، وبين أية بنوة أخرى فى عالم البشر ، أو فى عالم المخلوقات .

يقول الإيغومانس ميخائيل مينا :

ليس من ينكر أن البنوة منها وضعية ومنها طبيعية : والوضعية كأن ينزل الإنسان عبده منزلة ابنه أو كأبوة الله جلّ شأنه للبشر (مت ٩:٦) ، وحيث تعنى أنه خالقهم وحافظهم . أما البنوة الطبيعية ، فمنها ما هو محسوس بوجع وألم وتفاعل كولادة الحيوان ، ومنها ما هو بغير ألم ولا انفعال ولا شهوة كتولد شعاع الشمس من جرمها . ولنعلم أن بنوة ابن الله الأزلية ، لم تدخل فى واحدة من هذه الأقسام جميعها ، وإنما نشبهها بولادة الشعاع من الشمس تقريبا لفهم هذا السر العظيم فقط . وذلك لأنه كما أن الشعاع يصدر

من الشمس طبيعيا ، فهكذا الابن يولد من الآب ، لا بتقدم الاختيار بل بحسب الطبيعة . على أنه وإن كان صدور الشعاع من الشمس يقرب فهمنا لصدور الابن من الآب ، إلا أنه لا يمثل ذلك التوليد الإلهى تمثلا وافيا . ولعمرى إنه وإن كان الأقنوم الثانى صدر من الأقنوم الأول كقول الوحى الإلهى ، إلا أننا نحذر كل الحذر من أن نعتقد فى ذلك الصدور بأنه حركة إلى الخارج على حسب ما هو فى الجسمانيات (كصدور الحرارة من المسخن إلى المسخن) ، أو كصدور المعلول من العلة كما فهم آريوس عن الابن أنه صدر عن الآب باعتباره خليقته الأولى ، بل هو صدور من الداخل ، كصدور الكلمة المقولة عن قائلها التى تبقى مستقرة فيه دائما أبدا غير مفارقة له . (ص ١٨٨ — ١٨٩) .

ويقول القديس أثناسيوس :

إن كان الله ينبوعا ونورا وأبا ، فليس من الصواب القول بأن الينبوع جاف ، أو ان النور ليس له شعاع ، أو أن الله ليس له كلمة ، لئلا يكون الله بلا حكمة ولا عقل ولا بهاء . وكما أن الآب أزلى ، يجب أن يكون الابن أيضا أزليا ، لأن كل ما نراه فى الآب يجب أن يكون بلا جدال فى الابن ، فالرب نفسه يقول « ***كل ما للآب هو لى وكل ما لى فهو لك*** » أى للآب (يو ١٧:١٠) . والآب أزلى ، فالابن أيضا أزلى ، لأنه به أتت الدهور إلى الوجود . والآب واحد كائن ، وبالضرورة يجب أن يكون الابن كائنا . الآب قادر على كل شىء ، والابن ايضا قادر على كل شىء . الآب نور والابن شعاع ونور حقيقى . الآب إله حق والابن إله حق . فليفحص إذن هؤلاء الفضوليون (الأريوسيون) إن كان هنالك أى شبه بين المخلوقات وبين الابن ... فمن ذا الذى لا يمكنه أن يدرك بان الابن ينبغى أن يكون مساويا للآب فى الجوهر ، نظرا لأنه لا يوجد أى شبه بينه وبين المخلوقات ، بل له كل ما للآب ؟ ... وهو الكلمة المماثل للآب .. ويمتلك كل الخواص التى تخص الآب ... « مساو للآب فى الجوهر ، ومن نفس جوهر الآب » (رسائل أثناسيوس الرسولى عن الروح القدس ، ص ٨٦ — ٩٦) .

لقد أفصح السيد المسيح — كما أشرنا سابقا — عن العلاقة الخاصة بينه وبين الآب ، فقال « ***أنا فى الآب والآب فى*** » (يو ١٤:١٠) . انظر :

Cyril of Alex. Thys. Log. 12, M. 75, 205.

وقال السيد المسيح أيضا « ***قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن*** » (يو ٥٨:٨) . ويجب

أن نلاحظ هنا ، الفرق بين الفعل « يكون » الذى استعمل بالنسبة إلى إبراهيم ، والفعل « كائن » (eimi) الذى استعمل عن المسيح . انظر :

1- Cyril of Alex.: ibid, M. 73, 937.
2- Chrys., John, Hom. 55, 2 Monf. 8, 371

فالسيد المسيح إذن ، لم يأخذ وجوده فى زمن ، مثل الكائنات الأخرى ، ولكن له وجود أزلى مع الآب لأن له طبيعة الآب ، وواحد معه فى الجوهر . انظر :

Cyril. John, 3, 16, M. 73, 253.

ولذلك فقد تفرد المسيح وحده ، دون سائر المخلوقات ، بمعرفته للآب ، ولذلك قال ***« ليس أحد يعرف الابن إلا الآب ، ولا أحد يعرف الآب إلا الابن ، ومن أراد الابن ان يعلن له »*** (مت ١١:٢٧) . انظر :

Cyril of Aex., Luk. 10, 22, M. 72, 672-673.

ومن أجل هذا ، فقد أكد السيد المسيح ان من رآه فقد رأى الآب (يو ١٤:٩) ، وانظر :

1- Cyril of Alex.: ibid, M. 74, 208.
2- M. Basil. epist. 38, 8, M. 32, 340

وقال السيد المسيح ايضا ، مؤكدا الوهيته : ***« أيها الآب ، قد أتت الساعة . مجد ابنك ، ليمجدك ابنك أيضا . والآن مجدنى أيها الآب عند ذاتك بالمجد الذى كان لى عندك قبل كون العالم ... وكل ما هو لى فهو لك ، وما هو لك فهو لى ، ليكون الجميع واحدا ، كما أنك أنت أيها الآب فى وأنا فيك ، ليكونوا هم أيضا واحدا فينا ... ليكونوا واحدا كما أننا نحن واحد ... »*** (يو ١٧:   ) .

وقال أيضا يسوع :

« لأنه كما أن الآب يقيم الأموات ويحيى ، كذلك الابن أيضا يحيى من يشاء ، لأن الآب لا يدين أحدا ، بل قد أعطى كل الدينونة للابن ، لكى يكرم الجميع الابن كما يكرمون الآب . من لا يكرم الابن لا يكرم الآب الذى أرسله » (يو ٥:٢١—٢٣) .

« لأنه كما أن الآب له حياة فى ذاته ، كذلك أعطى الابن أيضا أن تكون له حياة

فى ذاته » (يو ٥:٢٦) . انظر :

Chrys., John 5, 21, hom. John, 38, 4, Monf. 8, 257.

إن الكلمات التى وردت فى عبارات السيد المسيح ، أى « كما » ، « كذلك » ، « فى ذاته » ، وغيرها ، تدل على المساواة التامة ، والكرامة المتبادلة بين الآب والابن .

وبموجب هذا السلطان الإلهى الذى للابن ، يتحدث مع تلاميذه عن إرسال الروح القدس ، فيقول ***« ومتى جاء المعزى الذى سأرسله أنا إليكم من الآب ، روح الحق الذى من عند الآب ينبثق ، فهو يشهد لى »*** (يو ١٥:٢٦) . انظر :

1- Chrys. John, hom. 77, 3 Monf. 8, 519.
2- Cyril. Alex., ibid M. 74, 420.

واعترف الرسول توما بالوهية السيد المسيح قائلا : ***« فقال له يسوع ، لأنك رأيتنى ياتوما آمنت . طوبى للذين آمنوا ولم يروا »*** (يو ٢٠:٢٨) وانظر :

Cyril., John 20, 28 M. 74, 733.

٢ ـــ ومن العبارات القوية التى تؤكد الوهية السيد المسيح ، افتتاحية الإنجيل للقديس يوحنا ، حيث يقول ***« فى البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله ، وكان الكلمة الله . هذا كان فى البدء عند الله »*** (يو ١:١، ٢) .

ويلاحظ أن كلمة « عند » تشير إلى أقنوم الابن من حيث تميزه عن أقنوم الآب . وفى عبارة « وكان الكلمة الله » يؤكد الرسول يوحنا الوهية السيد المسيح والمساواة التامة بين الابن والآب . انظر ، باعتبار أن الابن واحد فى الجوهر مع الآب :

1- Greg. Nys., against Arian and Sabel., 10, M. 45, 1296.
2- Cyril Alex. John 1, 1 M. 73, 40.

ويضيف ثيؤدورتيس ، أن لفظ « الكلمة » يشير إلى الولادة بدون معاناة .

Theodor. Her. V, 2, M. 83, 452.

ولقد دعى المسيح بالكلمة « لأنه جل شأنه ، لا يولد من الآب كابناء الحيوان ، أو النبات الذى يخرج من الأصل أو الحب ، أو كالإنسان من امرأة ، بل يولد بفعل العقل

أى بتصنور الآب ذاته . ومن ثم تدعى تلك الصورة كلمة ، لأنها مفهومية العقل ونطقه المدعو أولا كلمة ، وعنه دعيت كلمة الفم كلمة ، لصدورها عن كلمة العقل ، أو بعبارة أوضح ، ان الأقنوم الثانى يدعى « كلمة » لأنه صورة الآب كاملة التى صورها على ذاته بمشاهدته نفسه ، وهذه الصورة التى تصورها هى أنه إله كمثله ، وهو على حد قول الوحى الإلهى « هو رسم جوهره » (عب ١ :٣) (الإيغومانس ميخائيل مينا : ص ١٩١) .

٣ — وفى رسائل الرسول بولس ، عبارات واضحة عن لاهوت السيد المسيح ، نذكر منها على سبيل المثال :

« الذى إذ كان فى صورة الله لم يحسب خلسة أن يكون معادلا لله ، لكنه أخلى نفسه آخذا صورة عبد صائرا فى شبه الناس . وإذ وجد فى الهيئة كإنسان وضع نفسه وأطاع حتى الموت ، موت الصليب ، لذلك رفعه الله أيضا وأعطاه اسما فوق كل اسم ، لكى تجثو باسم يسوع كل ركبة ممن فى السماء ومن على الأرض ومن تحت الأرض ، ويعترف كل إنسان أن يسوع المسيح هو رب لمجد الله الآب » (فى ٢ :٦—١١) .

« الذى هو صورة الله غير المنظور ، بكر كل خليقة ، فإنه فيه خُلق الكل ، ما فى السموات وما على الأرض ، ما يرى ومالا يرى ، سواء كان عروشا أم سيادات أم رياسات أم سلاطين . الكل به وله قد خلق . الذى هو قبل كل شىء ، لأنه فيه سُرّ أن يحل كل الملء » (كو ١ :١٥—١٩) . وانظر فى هذا :

1- Theod., ibid M. 82, 597.
2- M. Basil. against Eunom. M. 62, 229.
3- Greg. Nys., against Apoll. 20, M. 45, 1164.

وفى الرسالة إلى العبرانيين يتحدث الرسول بولس عن المسيح ***« الذى وهو بهاء (شعاع) مجده ورسم جوهره ، وحامل كل الأشياء بكلمة قدرته »*** (عب ١ :٣) .

ومن الملاحظ فى هذه الآية ، أنه يقول عن المسيح ، أنه هو « بهاء أو شعاع مجده » ولم يقل أنه صار شعاع مجده ، أى كما نعبر فى قانون الإيمان « نور من

نور » . فهو غير منفصل عن الآب ، وأرتباطه بالآب كارتباط شعاع الشمس بقرص الشمس . انظر فى هذا :

1- Dam. mnym. erg. M. 95, 932.
2- Greg. Nys., faith 3, M. 45, 140.
3- M. Athanas. episc. Aigup. M. 25, 568.
4- Oikoum. M. 119, 281.
5- Theodor. Her. Book V, 2, M. 83, 452.

ويقول ايضا الرسول بولس عن السيد المسيح :

« وانت يارب اسست الأرض ، والسماوات هى عمل يديك ، هى تبيد ولكن أنت تبقى ، وكلها كثوب تبلى وكرداء تطويها فتتغير ، ولكن أنت أنت وسنوك لن تفنى » (عب ١٠:١٢) . وهذا ما عبر عنه أيضا الرسول يوحنا فى إنجيله عندما قال ***« كل شىء به كان وبغيره لم يكن شىء مما كان »*** (يو ١ :٣) وانظر فى هذا :

1- Theodor., ibid, M. 66, 729.
2- Cyril of Alex., John Book 1 ch. 5, M. 73, 80.

٥ ــ وهناك أيات واضحة فى العهد الجديد ، أطلق فيها على الكلمة المتجسد ، « الله » ، ففى أعمال ٢٠:٨ ، سميت الكنيسة « كنيسة الله التى اقتناها بدمه » . ونحن نلاحظ هنا الإشارة الواضحة إلى لاهوت السيد المسيح . فالمسيح على الصليب ، هو الإله المتأنس الذى اتحدت فيه الطبيعتان ، اللاهوتية والناسوتية ، فى طبيعة واحدة . ومن هنا فقد أرتبط الدم بالله « الله ... بدمه » . وفى الرسالة إلى تيطس ، فإن مجد مجىء المسيح الثانى ، سمى بوضوح ***« ظهور مجد الله العظيم ومخلصنا يسوع المسيح »*** (تى ٢:١٣) . انظر

1- Oikoum. M. 119, 256.
2- Chrys., Tit. Hom. 5, 2, Monf. 11, 824.

وفى الرسالة إلى رومية يقول الرسول بولس :

« ومنهم المسيح حسب الجسد ، الكائن على الكل إلهاً مباركاً إلى الأبد آمين » (رو ٩:٥) . وفى هذه الآية إشارة إلى ناسوت المسيح « حسب الجسد » ولاهوته « إلهاً مباركاً » . فالمسيح مقدم فى اتحاد الطبيعتين اللاهوتية والناسوتية ، فى طبيعة واحدة ، أو هو على الدوام الإله المتأنس .

وفى رسالته الأولى يقول الرسول يوحنا :

« ***ونعلم ان ابن الله قد جاء واعطانا بصيرة لنعرف الحق . ونحن فى الحق فى ابنه يسوع المسيح . هذا هو الإله الحق والحياة الأبدية*** » (١يو ٥:٢٠) وفى الرسالة إلى كولوسى ، يقول الرسول بولس « ***فإن فيه يحل كل ملء اللاهوت جسديا*** » (كو ٢:٩) . انظر :

1- Oikoum. M. 199, 33.
2- Isidoros pylosiotys: Book IV epist. 166, M. 78, 1256.

وقال الرسول بولس فى رسالته الثانية إلى كورنثوس :

« ***الله كان فى المسيح ، مصالحا العالم لنفسه*** » (٢كو ٥:١٩) .

وفى الرسالة إلى العبرانيين ، يوجه الخطاب إلى السيد المسيح « ***كرسيك ياالله إلى دهر الدهور*** » (عب ١:٨) .

الإعتراضات على لاهوت السيد المسيح ، والرد عليها :

هناك بعض آيات ، فى كتاب العهد الجديد ، قد توحى لأول وهلة ، أنها تضع الأقنوم الثانى (الابن) فى موضع أقل من الأقنوم الأول (الآب) ، وبذلك تسلب من السيد المسيح الوهيته .

غير ان الفهم الصحيح لهذه الآيات ، يبعد بنا عن هذه الاستنتاجات الخاطئة ، ذلك لأن هذه الآيات ، إما أنها تشير إلى المسيح من حيث ناسوته ، ومن حيث الوضع المتواضع الذى أتخذه ، فقد اشترك معنا فى اللحم والدم ، وصار كواحد بين أخوة كثيرين ، كما يقول الرسول بولس فى رسالته إلى العبرانيين « ***لأن المقدس والمقدسين جميعهم من واحد ، فلهذا السبب لا يستحى أن يدعوهم إخوة ، قائلاً أخبر باسمك اخوتى ، وفى وسط الكنيسة اسبحك ، وأيضا أنا أكون متوكلا عليه ، وأيضا ها أنا والأولاد الذين أعطانيهم الله . فإذ قد تشارك الأولاد فى اللحم والدم أشترك هو ايضا كذلك فيهما لكى يبيد بالموت ذاك الذى له سلطان الموت أى إبليس*** » (عب ٢:١١ــ١٤) ، وإما ان الفهم الصحيح لهذه الآيات ، يكشف ويشهد عن لاهوت السيد المسيح .

ومن هذه الآيات :

١ ــ قول السيد المسيح « **أبى أعظم منى** » (يو ١٤:٢٨) .

هذه الآية تشير إلى السيد المسيح من حيث ناسوته ، وليس من حيث لاهوته . وبلا شك فإن السيد المسيح فى وضعه الناسوتى ، أخلى نفسه آخذا صورة عبد ، وتعرض لإهانه البشر واحتقارهم وازدرائهم به ، حتى أنهم ساقوه كمجرم إلى الصليب . من هذه الناحية ، يكون الآب أعظم من الابن ، ولكن ليس من حيث الجوهر ، لأن الآب والابن واحد فى الجوهر . انظر :

1- Cyril., John 14, 28, M. 74, 313, M. 129, 1405.
2- M. Basil, against Eunom. 1, 25, M. 29, 568.
3- M. Athanas, against Arian. 1, 58, M. 26, 133.

٢ ــ جاء فى (يو ١٩:١٥) « **فأجاب يسوع وقال لهم : الحق الحق أقول لكم ، لا يقدر الابن أن يعمل من نفسه شيئا ، إلا ما ينظر الآب يعمل ، لأنه مهما عمل ذاك ، فهذا يعمله الابن كذلك** » .

على أن الفهم الصحيح لهذه الآية ، يدل على أنها لا تشير إلى اعتماد الابن على الآب كاعتماد الأدنى على من هو أعلى وأقدر ، بل يدل على الاتساق المطلق فى المشيئة والعمل . وكما يلاحظ الآباء ، فإن هذه الآية تؤكد بالحرى المساواة التامة بين الآب والابن والاتفاق المطلق فى المشيئة والرأى وفى السلطة والقدرة . وقد أظهرت هذه الآية وحدة العمل بين الآب والابن ، فمهما عمل الآب ، يعمل الابن كذلك . وكل هذا يؤكد وحدة الجوهر بين الآب والابن . نحن أمام جوهر واحد وقوة واحدة وعمل واحد ، للآب والابن . انظر :

1- Chry. John. 5, 19, hom. 38, 4 Monf. 8, 256.
2- Cyril of Alex., ibid M. 73, 349.
3- M. Basil against Eunom. 4, 1, M. 29, 676.
4- Theoph. John 5, 19 M. 123, 1268.

٣ ــ جاء فى (يو ٣:١٧) « **وهذه هى الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقى وحدك ويسوع المسيح الذى أرسلته** » .

والفهم الصحيح لهذه الآية ، يوضح أنها تؤكد المساواة التامة بين الآب والابن ،

ووحدة الجوهر والطبيعة بينهما ، فإذا كانت عبارة « الإله الحقيقى وحدك » تشير إلى رفض الآلهة الكاذبة غير الحقيقية ، فإن الآية تشير إلى أن الحياة الأبدية تتطلب بالضرورة ، كشرط لها معرفة الابن أيضا . انظر :

1- M. Basil, against Eunom. 4. M. 29, 705.
2- M. Athanas. against Arian. 111, 9, M. 26, 337.

٤ ــ وعندما يسمى المسيح نفسه « ابن الإنسان » فإنه يؤكد « صورة العبد » التى أخذها . وعند ذلك لا يكون غريبا ان يشار فى الإنجيل إلى أن الآب اعطاه السلطة والدينونة ، كما نقرأ عن ذلك فى (يو ١٧:٢) حيث يقول الابن مخاطبا الآب « **أيها الآب . مجد ابنك ليمجدك ابنك أيضا ، إذ اعطيته سلطانا على كل جسد ، ليعطى حياة أبدية لكل من اعطيته** » وكما نقرأ ايضا فى (مت ٢٨:١٨) فتقدم يسوع وكلمهم قائلاً « **دفع إلى كل سلطان فى السماء وعلى الأرض** » . فالآيات تشير هنا إلى المسيح من حيث ناسوته ، وفى ضوء هذا نقرأ الآيات التالية :

« **الذى صار من نسل داود من جهة الجسد** »
(رو ١:٣)

« **ولكن لما حل ملء الزمان ، ارسل الله ابنه مولودا من امرأة ، مولودا تحت الناموس** »
(غلا ٤:٤)

« **صائرا أعظم من الملائكة بمقدار ما ورث اسما أفضل منهم** »(عب ١:٤)

٥ ــ عندما يدعو الرسول بولس الرب يسوع « **بكر كل خليقة** » (١كو ١:١٥) ، فهو لا تغيب عنه حقيقة الرب يسوع من حيث أنه ليس مخلوقا بين المخلوقات ، بل هو مولود من الآب « **مولود غير مخلوق** » ، ولذلك فلم يقل عن الرب يسوع أنه أول المخلوقات ، ولكنه دعاه « بكرا » . فالرسول بولس إذن لم يضع السيد المسيح على مستوى المخلوقات ، ولكنه تحدث عنه باعتباره مولودا قبل كل خليقة « **الذى هو صورة الله غير المنظور بكر كل خليقة . فإن فيه خلق الكل ، ما فى السموات وما على الأرض ، ما يرى ومالا يرى** » (كو ١:١٥،١٦) . انظر :

1- Athanas, faith 3, M. 25, 205.
2- Chrys., Col. hom. 3, 2, Monf. 11, 398.
3- Theodor., ibid, 1, 15, M. 82, 597.

٦ ــ هذه الحقيقة عن لاهوت السيد المسيح وعن وحدة الجوهر بين الآب والابن ، احتضنتها الكنيسة وحفظتها منذ البداية ، كما يبدو هذا من كتابات الآباء الرسل ، وغيرهم من آباء الكنيسة .

فالقديس اكليمنضس الروماني ، في رسالته الثانية إلى كورنثوس ، يحث المؤمنين ، لكي يوجهوا الاهتمام نحو الرب يسوع كما نحو الله .

Clem., 2 Cor. 1, B. 1, 40.

وتحدث القديس أغناطيوس عن المسيح ، باعتباره كلمة الله فقال : « إن الله واحد ، وهو الذى أظهر ذاته بابنه يسوع المسيح كلمته » (الرسالة إلى أهل مغنيسية ٢:٨ ــ ترجمة المطران الياس معوض) .

وفى نفس الرسالة ، كتب عن الوجود الأزلى للسيد المسيح فقال : الكائن قبل الأجيال عند الله ، والذى ظهر فى آخر الأجيال » (١:٦) .

وفى رسالته إلى أفسس ، كتب القديس أغناطيوس ، فى مقدمة الرسالة « الكنيسة ... المختارة ... بإرادة الآب والمسيح يسوع إلهنا (مقدمة الرسالة) . وقال أيضا « **لا شيء يخفى على السيد . لنصير له هياكل ويصير إلهنا الساكن فينا** » (٣:١٥) « **إن ربنا يسوع المسيح قد حمل فى احشاء البتول ، بتدبير إلهى .... وولد واعتمد لينقى بالماء اهواءنا** » (٢:١٨) .

وفى رسالته إلى رومية ، كتب القديس أغناطيوس فى مقدمة الرسالة « **وبيسوع المسيح ابنه الوحيد ... بمحبة يسوع إلهنا ... باسم يسوع المسيح ابن الآب ... راجيا سرورا كاملا مقدسا بيسوع المسيح ربنا** » ، وقال أيضا « **إن إلهنا يسوع المسيح يصبح وهو فى الآب منظورا على الأرض** » (٣:٣) .

وفى رسالته إلى بوليكاربوس ، كتب القديس أغناطيوس « **أرجو يسوع المسيح إلهنا أن يمنحكم كل قوة ...** » (٣:٨) .

واطلق القديس أغناطيوس على دم المسيح ، بالدم الإلهى (أفسس ١:١) وعلى آلامه بأنها « *آلام إلهى* » (رو ٣:٦) .

وفى رسالته إلى بوليكاربوس ، كتب القديس اغناطيوس يقول « **ترَّجى من هو فوق**

الزمان ... ترجى من لا زمان له ، الغير المنظور ، الذى صار منظورا لأجلنا ، الذى لايلامس والذى لا يتألم ، وتألم من أجلنا وأحتمل كل شىء » (٢:٣) .

وانظر أقوال الآباء حول لاهوت السيد المسيح فى المواضع التالية :

1- Justin, 2 Apol. 6, 4, Apol. 23, 2, + 63, 15, Truph. 61, B. 3, 203, 173, 196, 265.

2- Theophil. 2. Autol. 10 + 22, B. 5, 27 + 37.

3- Irenaeus, Elen. 1125, 3 + 28,6 + 1116, 2 + 1130, g, M. 7, 799, 809, 860, 822.

4- Tertull: Jud. C. 7. m. 2, 651.
: Apol. C. 21.
: Adv. Prax. C. 4 m. 2, 182.
: Adv. Marc. 11, 27 m. 2, 345.
: Adv. Uxor 11 3 m. 1, 1406.

5 Clem. Alex: Potrep. 1, 7, Paid. 111, 1 + 1, 3, B. 7, P. 20, 190, 21, 207, 83.

ثالثاً ـــ الله الروح القدوس :

أ ـــ استعملت كلمة « الروح » فى العهد القديم لتشير بالأكثر إلى قوة غير مشخصة ، وإلى الفاعلية فى العالم وفى حياة البشر . على أنه فى أحوال معينة استعملت هذه الكلمة لكى تشير إلى الالوهية أو إلى الله . وبوجه عام يمكن القول ان التعليم عن الأقنوم الثالث فى الثالوث القدوس ، لم يرد فى العهد القديم بشكل واضح ، شأنه شأن التعليم عن الثالوث القدوس ، وان هذا الوضوح قد اكتسبه فى ضوء العهد الجديد . وفى العهد القديم استعملت كلمة « الروح » فى المدلولات التالية :

١ ـــ جاء فى العدد الثانى من الأصحاح الأول من سفر التكوين « ***وكانت الأرض خربة وخالية وعلى وجه الغمر ظلمة وروح الله يرف على وجه المياه*** » (تك ٢:١) وبالمقابلة مع ما جاء فى المزمور الثالث والثلاثين حيث يقول « ***بكلمة الرب صنعت السموات وبنسمة فيه كل جنودها*** » (٦:٣٣) ، يتضح لنا أن المقصود بعبارة « نسمة فيه » ليس هبوب ريح قوية ، بل « روح الله » . وهذا الروح يظهر فى تك ٣:٦ فى علاقة مع البشر ولكنه لا يجد راحته فيهم كما يبدو من قول الرب « ***فقال الرب لا يدين روحى فى الإنسان إلى الأبد لزيغانه ، هو بشر ، وتكون أيامه مئة وعشرين سنة*** » . وعلى الأخص ، فإن هذا الروح يملأ ويلهم بعض الشخصيات الفاضلة مثل يوسف الذى قيل

عنه « **رجل فيه روح الله** » (تك ٣٨:٤١) ، ومثل بصلئيل الذى قيل عنه وكلم الرب موسى قائلا : انظر قد دعوت بصلئيل بن أورى بن حور من سبط يهوذا باسمه وملأته من روح الله بالحكمة والفهم والمعرفة وكل صنعة لاختراع مخترعات ليعمل فى الذهب والفضة والنحاس ونقش حجارة للترصيع وتجارة الخشب ، ليعمل فى كل صنعة . وها أنا قد جعلت معه أهو ليآب بن أخيساماك من سبط دان . وفى قلب كل حكيم القلب ، جعلت حكمة *ليصنعوا كل ما أمرتك* ، خيمة الاجتماع ... » (خر ٣١ :١–٧) ومثل يشوع بن نون الذى قيل عنه « **ويشوع بن نون كان قد امتلأ روح حكمة ، إذ وضع موسى عليه يديه فسمع له بنو إسرائيل ، وعملوا كما أوصى الرب موسى** » (تث ٩:٣٤) وقيل عن الشيوخ السبعين « **فخرج موسى وكل الشعب بكلام الرب وجمع سبعين رجلا من شيوخ الشعب وأوقفهم حوالى الخيمة . فنزل الرب فى سحابة وتكلم معه وأخذ من الروح الذى عليه وجعل على السبعين رجلا الشيوخ . فلما حلت عليهم الروح تنبأوا ولكنهم لم يزيدوا . وبقى رجلان فى المحلة ، اسم الواحد ألداد واسم الآخر ميداد ، فحل عليهما الروح . وكانا من المكتوبين ، لكنهما لم يخرجا إلى الخيمة ، فتنبآ فى المحلة . فركض غلام وأخبر موسى ، وقال ألداد وميداد يتنبآن فى المحلة . فأجاب يشوع بن نون خادم موسى من حداثته ، وقال ياسيدى موسى أردعهما ، فقال له موسى هل تغار أنت لى ، ياليت كل شعب الرب كانوا أنبياء إذا جعل الرب روحه عليهم** » (عد ١١ :٢٤–٢٩) .

ومن الأمثلة الأخرى التى وردت فى العهد القديم عن عمل روح الله ، نذكر ما يلى :

١ — **جدعون** : « **ولبس روح الرب جدعون فضرب بالبوق ... وقال جدعون لله ، إن كنت تخلص بيدى إسرائيل كما تكلمت ...** » (قض ٦ :٣٤–٣٦) .

٢ — **شمشون** : **فحل عليه** (أى على شمشون) **روح الرب ، فشقه** (أى شق شبل الأسد) **كشق الجدى وليس فى يده شىء** » (قض ١٤ :٥،٦) .

٣ — **شاول** : **وكان عندما أدار** (أى شاول) **كتفه لكى يذهب من عند صموئيل ، أن الله اعطاه قلبا آخر . وأتت جميع هذه الآيات فى ذلك اليوم . ولما جاءوا إلى هناك إلى جبعة ، إذا بزمرة من الأنبياء لقيته ، فحل عليه روح الله فتنبأ فى وسطهم . ولما رآه جميع الذين عرفوه منذ أمس وما قبله أنه يتنبأ مع الأنبياء ،**

قال الشعب ، الواحد لصاحبه : ماذا صار لابن قيس . أشاول أيضا بين الأنبياء » (١صم ١٠:٩—١١) .

٤ — داود : فهذه هي كلمات داود الأخيرة : « وحي داود بن يسى ووحي الرجل القائم فى العلا مسيح إله يعقوب ومرنم إسرائيل الحلو . روح الرب تكلم بى وكلمته على لسانى » (٢صم ٢٣:١—٢) .

« قلبا نقيا أخلق فيّ ياالله وروحا مستقيما جدد فى داخلى . لا تطرحنى من قدام وجهك وروحك القدوس لا تنزعه منى . رد لى بهجة خلاصك وبروح منتدبة أعضدنى ، فأعلم الأثمة طرقك والخطاة إليك يرجعون » (مز ٥١:١٠—١٢) .

« علمنى أن أعمل رضاك لأنك أنت إلهى . روحك الصالح يهدينى فى أرض مستوية » (مز ١٤٣:١٠) .

وفى أقوال الأنبياء يبدو عمل روح الله على النحو التالى :

(إش ٥٩:٢١) « أما أنا فهذا عهدى معهم ، قال الرب . روحى الذى عليك ، وكلامى الذى وضعته فى فمك لا يزول من فمك ولا من فم نسلك ولا من فم نسل نسلك ، قال الرب من الآن وإلى الأبد » .

(حز ١١:٤،٥) : « لأجل ذلك تنبأ عليهم تنبأ ياابن آدم . وحلّ علىّ روح الرب وقال لى قل . هكذا قال الرب . هكذا قلتم يابيت إسرائيل وما يخطر ببالكم قد علمته » .

« فقال ياابن آدم ، قم على قدميك فاتكلم معك . فدخل فيّ روح لما تكلم معى وأقامنى على قدمى فسمعت المتكلم معى » (حز ٢:١،٢) .

« ثم حملنى روح فسمعت خلفى صوت رعد عظيم مبارك مجد الرب .... فحملنى الروح وأخذنى فذهبت مرا فى حرارة روحى ويد الرب كانت شديدة علىّ » (حز ٣:١٢،١٤) .

(ميخا ٣:٨) « لكنى أنا ملآن قوة روح الرب وحقا وبأسا لأخبر يعقوب بذنبه وإسرائيل بخطيته » (زك ١:٦) .

(حجى ٢:٥) « حسب الكلام الذى عاهدتكم به عند خروجكم من مصر وروحي قائم فى وسطكم » .

وفى مواعيد الله نقرأ :

(إش ٣:٤٤) « أسكب روحى على نسلك وبركتى على ذريتك » .

(إش ٢:١١) « ويحل عليه روح الرب ، روح الحكمة والفهم ، روح المشورة والقوة ، روح المعرفة ومخافة الرب » .

(إش ١:٤٢ــ٤) « هوذا عبدى الذى أعضده ، مختارى الذى سرت به نفسى . وضعت روحى عليه فيخرج الحق للأمم . لا يصيح ولا يرفع ولا يسمع فى الشارع صوته . قصبة مرضوضة لا يقصف ، وفتيلة خامدة لا يطفىء ... » .

(إش ١٥:٣٢) « إلى أن يسكب علينا روح من العلاء فتصير البرية بستانا ويحسب البستان وعرا .

(يوئيل ٢٨:٢، ٢٩) « ويكون بعد ذلك أنى أسكب روحى على كل بشر فيتنبأ بنوكم وبناتكم ويحلم شيوخكم أحلاما ويرى شبابكم رؤى . وعلى العبيد أيضا وعلى الإماء أسكب روحى فى تلك الأيام ... » .

(زك ١٠:١٢) « وأفيض على بيت داود وعلى سكان أورشليم روح النعمة والتضرعات فينظرون إلىّ الذى طعنوه وينوحون عليه كنائح على وحيد له ، ويكونون فى مرارة عليه كمن هو فى مرارة على بكره » .

وعلى الرغم من كل هذه المواضع التى ورد فيها الحديث عن روح الله وعن عمله فى البشر ، فلم يحدث أن يذكر ، كاقنوم خاص ، ولكنه على الدوام يرتبط بيهوه ، ولا يعمل من نفسه .

وكما يلاحظ القديس كيرلس الأورشليمى ، فإن « الروح » استعمل فى العهد القديم فى معانى أخرى ، على نحو ما يبدو من الآيات التالية :

أ ــ عن النفس البشرية « تخرج روحه فيعود إلى ترابه . فى ذلك اليوم نفسه تهلك أفكاره » (مز ٤:١٤٥) ، « وحى كلام الرب على إسرائيل . يقول الرب باسط السموات ومؤسس الأرض وجابل روح الإنسان فى داخله » (زك ١:١٢) .

ب ــ عن الملائكة « الصانع ملائكته رياحا (pneumata) وخدامه نارا ملتهبة » (مز ٤:١٠٤) .

جـ ـــ وعن الرياح يقول « **بريح (pneuma) شرقية تكسر سفن ترشيش** » (مز ٤٨:٧) ، « **فرجف قلبه وقلوب شعبه كرجفان شجر الوعر قدام الريح** » (إش ٧:٢) ، « **النار والبرد ، الثلج والضباب ، الريح العاصفة الصانعة كلمته** » (مز ١٤٨:٨) . انظر :

Cyril of Jer., Catech. 16, 13, M. 33, 936.

ب ـــ أما فى العهد الجديد ، فيظهر الروح القدس كأقنوم متميز فى الثالوث القدوس . وإلى ذلك أشار السيد المسيح فى أقواله التالية :

« **وكل من قال كلمة على ابن الإنسان يغفر له ، وأما من جدف على الروح القدس فلا يغفر له** » (لو ١٢:١٠) .

« **وأنا أطلب من الآب فيعطيكم معزيا آخر ليمكث معكم إلى الأبد . روح الحق الذى لا يستطيع العالم أن يقبله لأنه لا يراه ولا يعرفه ، وأما أنتم فتعرفونه لأنه ماكث معكم ويكون فيكم** » (يو ١٤:١٦ــ١٨) .

« **وأما المعزى الروح القدس الذى سيرسله الآب باسمى ، فهو يعلمكم كل شيء ويذكركم بكل ما قلته لكم** » (يو ١٤:٢٦) .

« **ومتى جاء المعزى الذى سأرسله أنا إليكم من الآب ، روح الحق الذى من عند الآب ينبثق فهو يشهد لى** » (يو ١٥:٢٦) .

« **وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق ، لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمور آتية ، ذاك يمجدنى لأنه يأخذ مما لى ويخبركم** » (يو ١٦:١٣،١٤) .

إن التجديف على الروح القدس ، فى الوقت الحاضر ، لا يكون تجديفا ضد قوة إلهية غير مشخصه ، ولكن بالأحرى ضد شخص وأقنوم . وأقنومية الروح القدس تبدو واضحة أيضا مما قيل عنه من أنه يتخذ وضع المعلم « **لأن الروح القدس يعلمكم فى تلك الساعة ، ما يجب أن تقولوه** » (لو ١٢:١٢) . انظر :

Cyril of Alex., ibid, M. 72, 732.

وانظر أيضا فى أقنومية الروح القدس :

1- Chrys., John, hom. 75, 1 Monf. 8, 502.
2- Cyril of Alex., ibid, M. 74, 257.

ثم ان انبثاق الروح القدس من الآب ، يدل على أن الروح القدس ليس مخلوقا من بين المخلوقات ، ولكن له طبيعة الآب وجوهره . انظر :

1- Theod. Mops. ibid. M. 66, 780.
2- Theoph. ibid, M. 124, 205.
3- Theodoryt, Her. Book. V, 3, M. 83, 456.
4- Chrys., John 16: 13, hom. 78, 2, Monf. 8, 527.

والرسول بولس يؤكد أقنومية الروح القدس ومساواته الجوهرية فى الثالوث القدوس ، وعلى الأخص فى رسالته الأولى إلى كورنثوس . يقول الرسول بولس « ***لأن الروح يفحص كل شىء حتى أعماق الله*** » (١كو ٢:١٠) . وبلا شك فإن كلمة « يفحص » تفرض أقنومية الروح القدس وتميزه فى الأقانيم الثلاثة للجوهر الإلهى الواحد . انظر :

1- Chrys., 1 Cor hom. 7, 4, Monf. 10, 64.
2- Dam., ibid, M. 95, 585.
3- Oikoum., ibid M. 118, 664.

ونحن نذكر قول السيد المسيح « ***وليس أحد يعرف الابن إلا الآب ، ولا أحد يعرف الآب إلا الابن*** » (مت ١١:٢٧) فهذه الآية توضح أن الآب والابن هما وحدهما اللذان هما المعرفة المتبادلة الواحد منهما عن الآخر . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فهى تؤكد التساوى فى الجوهر بين الأقنومين . وإذا كان الرسول بولس يضيف إلى ذلك ، بأن الروح القدس يفحص أعماق الله ، فإن هذا يتضمن ان الروح القدس واحد فى الجوهر مع الآب والابن ، لأن من يستطيع أن يعرف الله إلا الله نفسه . وعندما يقول الرسول بولس أيضا « ***لأن مَنْ من الناس يعرف أمور الإنسان إلا روح الإنسان الذى فيه ، هكذا أيضا أمور الله لا يعرفها أحد إلا روح الله*** » (١كو ٢:١١) ، فإن الرسول هنا يؤكد أيضا هذه الوحدة الجوهرية بين الروح القدس والآب والابن . وبالاضافة إلى ذلك ، فنحن نلاحظ الفرق فى التعبير ، عندما يتكلم الرسول بولس عن روح الإنسان ، وعندما يتكلم عن روح الله . فإنه بالنسبة إلى الإنسان يقول « روح الإنسان الذى فيه » ، وأما عندما يتكلم عن روح الله ، فهو لا يذكر عبارة « الذى فيه » وذلك ليؤكد ما للروح القدس

من أقنومية متميزة . فعلى الرغم من أن الأقانيم الثلاثة مرتبطة معا وغير منفصلة ، لكن أقنوم الروح القدس لا يوجد فى الله ، على النحو الذى توجد فيه الروح الإنسانية فى الإنسان ، ذلك لأن كلمة « فيه » عن الروح الإنسانية تشير إلى روح الإنسان كجزء منه ، بينما بالنسبة لله ، فإن الروح القدس ليس جزءا من الله ، وليس الأقنوم جزءا من الثالوث ، لأن الله لا يتجزأ . انظر :

1- Theod. ibid, M. 82, 244.
2- M. Athanas. ensarc. epiphan. 13, M. 26, 1005.
3- M. Basil. Holy Spirit 16, 40, M. 32, 144.
4- Oikom. ibid M. 118, 664.

ومما يدل أيضا على أقنومية الروح القدس قول الرسول بولس « ***ولكن هذه كلها يعملها الروح الواحد بعينه ، قاسما لكل واحد بمفرده كما يشاء*** » (١كو ١٢:١١) أى أن الروح القدس يوزع المواهب كما يشاء . واستعمال عبارة « كما يشاء » توضح أن الروح القدس ليس مجرد قوة إلهية ولكنه أقنوم ، لأن الإرادة هى أهم خصائص الشخصية الأقنومية . فالروح القدس له مشيئة وإرادة ، وهو يوزع المواهب بحسب مشيئته ، أى أنه ذات عاملة وليس مجرد فعل العمل أو قوة العمل[١] .

والروح القدس يعمل كما يشاء ، لا كما يشاء له أن يعمل . وكما يريد ، لا كما يراد له أن يعمل . وهذا دليل على سلطان الروح والوهيته[٢] .

والروح القدس إذن ، هو ليس مجرد قوة بسيطة غير مشخصة ، ولكنه أقنوم له إرادة وفعل . انظر :

1- Orig., John 37, B. 12, 358.
2- Theodoryt. Her. Book 5, 3, M. 83, 456.

جاء فى سفر الأعمال « ***لأنه قد رأى الروح القدس ونحن ، أن لا نضع عليكم ثقلا اكثر غير هذه الأشياء الواجبة*** » (أع ١٥:٢٨) . فالروح القدس هنا « يرى » وهو أمر يرتبط بالروح القدس كاقنوم .

---

(١) انظر كتابنا : الروح القدس فى رسائل بولس الرسول ــ ص ٤٩ .
(٢) المرجع السابق . نفس الموضع .

وجاء فى رسالة بولس الرسول إلى أفسس **« ولا تحزنوا روح الله القدوس الذى به ختمتم ليوم الفداء »** (أف ٤ : ٣٠) . والروح القدس هنا « يحزن » وهو أمر يرتبط بالروح القدس كأقنوم .

هناك آيات أخرى فى العهد الجديد ، عن الروح القدس ، يدعى فيها باسم « الله » . يقول الرسول بولس **« أما تعلمون أنكم هياكل الله ، وروح الله ساكنه فيكم »** (١كو ٣:١٦) . فالمؤمن يسمى « هيكل الله » ذلك لأن الروح القدس (الله) يسكن فيه . وهذا يتضح بالأكثر بالمقارنة مع ما ورد فى ١كو ٦:١٩) ، حيث يقول الرسول بولس **« أم لستم تعلمون أن جسدكم هو هيكل للروح القدس » ، ففى الآية الأولى ، دعى المؤمن « هيكل الله » ، وفى هذه الآية « هيكل للروح القدس » أى أن الله والروح القدس ، هما واحد . انظر :**

1- Theodoryt., ibid M. 82, 252.
, 1 Cor. 6:19 M. 82, 269.
2- Theoph., ibid M. 124, 605.

وهذا نستنتجه أيضا مما قيل على لسان بطرس الرسول فى سفر الأعمال عن حنانيا الكاذب . فقد وجه الرسول بطرس هذه الأقوال لحنانيا : « ياحنانيا ، لماذا ملأ الشيطان قلبك لتكذب على الروح القدس ... أنت لم تكذب على الناس ، بل على الله » (أع ٣:٢ـــ٤) .

ويعلن القديس باسيليوس الكبير على هذه الآية ، مبينا أن الخطايا التى تقترف ضد الروح القدس ، هى أيضا ضد الله ، وهذا يؤكد بأن الروح القدس لا ينفصل فى جميع أعماله عن الآب والابن . انظر :

M. Basil, Holy Spirit 16:37, M. 32, 133.

وللروح القدس ، باعتباره هو الله ، خصائص وسلطان وأفعال إلهية ، كما يبدو من الآيات التالية :

« أجاب يسوع وقال له : الحق الحق أقول لك ، إن كان أحد لا يولد من فوق لا يقدر أن يرى ملكوت الله . قال نيقوديموس ، كيف يمكن الإنسان أن يولد وهو شيخ ، ألعله يقدر أن يدخل بطن أمه ثانية ويولد . أجاب يسوع الحق الحق أقول لك ،

إن كان أحد لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله . المولود من الجسد ، جسد هو ، والمولود من الروح هو روح . لا تتعجب أنى قلت لك ينبغى أن تولدوا من فوق . الريح تهب حيث تشاء وتسمع صوتها ، لكنك لا تعلم من أين تأتى ولا إلى أين تذهب . هكذا كل من ولد من الروح » (يو ٣:٣ــ٨)

« كل الكتاب هو موحى به من الله ونافع للتعليم والتوبيخ ، للتقويم والتأديب الذى فى البر » (٢تى ٣:١٦) .

« لأنه لم تأت نبوة قط بمشيئة إنسان ، بل تكلم أناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس » (٢بط ١:٢١) .

« فانصرفوا وهم غير متفقين بعضهم من بعض ، لما قال بولس كلمة واحدة أنه حسنا كلم الروح القدس آباءنا بإشعياء النبى » (أع ٢٨:٢٥) .

« فأنواع مواهب موجودة ولكن الروح واحد ، وأنواع خدم موجودة ولكن الرب واحد ، وأنواع أعمال موجودة ولكن الله واحد ، الذى يعمل الكل فى الكل . ولكنه لكل واحد يعطى الروح للمنفعة ، فإنه لواحد يعطى بالروح كلام حكمة ، ولآخر كلام علم بحسب الروح الواحد .... » (١كو ١٢:٤ــ١١) . وانظر :

1- Oikoum. M. 118, 816.
2- Chrys. 1 Cor. Hom. 29, 2, Monf. 10, 307.

وإذا كان الروح القدس يذكر عادة فى آخر الأقانيم الثلاثة ، فهناك آيات يذكر فيها الروح القدس فى أول الأقانيم أو الثانى منها . فمثلا يذكر الثانى فى ١بط ١:٢ ، حيث يقول الرسول بطرس *« بمقتضى علم الله الآب السابق فى تقديس الروح للطاعة ورش دم يسوع المسيح »* . وفى ١كو ١٢:٤ ، يذكر الروح القدس أول الأقانيم ، حيث يقول الرسول بولس *« فأنواع مواهب موجودة ولكن الروح واحد ، وأنواع خدم موجودة ولكن الرب واحد ، وأنواع أعمال موجودة ولكن الله واحد »* . وانظر :

1- Theodoryt. Her. Book 5, 3, M. 83, 456.
2- Greg. Naz. Log. 15, 34, M. 36, 253.

هذه العقيدة عن الروح القدس ، احتضنتها الكنيسة وحفظتها فى إيمانها وإعترافاتها وكرازتها ، ونمتها الكنيسة وحددتها ، ضد هؤلاء الذين أساءوا فهم الثالوث ، وأنكروا

الوهية الروح القدس ، وزعموا أنه مخلوق ، كما بدا ذلك فى بدعة مكدونيوس بطريرك القسطنطينية . وفى عام ٣٨١ م عُقد المجمع المسكونى الثانى بالقسطنطينية ، حيث اقرت الكنيسة الجامعة إعترافها بالروح القدس ، على النحو التالى :

« ونؤمن بالروح القدس ، الرب المحيى ، المنبثق من الآب ، نسجد له ونمجده مع الآب والابن ، الناطق فى الأنبياء ، وبكنيسة واحدة مقدسة جامعة رسولية ونعترف بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا ، وننتظر قيامة الأموات وحياة الدهر الآتى . آمين » .

وفى كتابات الآباء الرسوليين ، يكتب اكليمنضس الرومانى فى رسالته الأولى إلى كورنثوس قائلاً « ***حى هو الله ، حى هو يسوع المسيح وحى هو الروح القدس*** » (١كو ٥٨:٢ — انظر ترجمة المطران الياس معوض لكتاب الآباء الرسوليين) . وهذه العبارة تقارن بعبارة العهد القديم « حى هو الرب .. ولذلك توضع الأقانيم الثلاثة على نفس المستوى من وحدة الجوهر .

وفى نفس الرسالة يؤكد القديس أكليمنضس الرومانى ، التساوى فى الثالوث القدوس ، فيقول « ***أليس لنا إله واحد ومسيح واحد وروح نعمة واحد انسكب علينا*** » (١كو ٤٦:٦) .

والقديس بوليكاربوس ، قال ممجدا الله « أيها الرب الكلى القدرة ، أبو ابنك المبارك المحبوب يسوع المسيح ... إنى امدحك من أجل هذه النعمة ومن أجل كل شيء ، وأباركك وأمجدك بالكاهن الأعظم السماوى الخالد يسوع المسيح ، ابنك الحبيب الذى به المجد مع روحك القدوس إلى الأبد آمين » . وانظر فى كتابات الآباء :

1- Justin, 1 Apol 6, 2 + 13, 3 B. 3, 164, 167.
2- Athynagoras, pres. 10 + 24, B. 4, 288, 300.
3- Irenaeus, Elen. V, 12, 2 + IV, 20, 3 + IV, 7, 4 + 111, 17, 2 + 24, 1 + V, 8, 1, M. 7, 993, 931, 966.
3- Tertull., adv. prax 2, m. 2, 180.
, ibid 25, m. 2, 111 + 4 m. 2, 182 + 8, m. 2, 187, + praesct. 13, m. 2 31 + 28, m. 2, 47.
5- Orig., John. M. 14, 257, 125 - 129, princip. 1, 3, 3.

وكتب القديس باسيليوس الكبير فى الدفاع عن مرتبة الروح القدس ما يلى :

« ولكنهم يقولون ان كائنات أخرى تُضم أيضا إلى الآب والابن ولا تُمجد معهما

مطلقا . فالرسول مثلا قد اتخذ الملائكة للشهادة معهما بقوله فى رسالته إلى تيموثيؤس : *أناشدك فى حضرة (أمام) الله والمسيح يسوع والملائكة المختارين* » (١تى ٥:٢١) ، فهؤلاء لا نقصيهم عن سائر الخليقة ولا نرفعهم لنعدهم مع الآب والابن ... **وعليه لم يكن ذكر الروح والملائكة من باب التساوى** ، بل كان ذكر الروح كرب الحياة ، أما الملائكة فكميغيثين لأمثالهم فى العبودية ، وكشهود أمناء للحقيقة ... وبولس الرسول أيضا لعلمه ان الملائكة اقيموا مربين ومرشدين للبشر ، فقد طلبهم للشهادة . أما يشوع بن نون فقد أقام حجرا شاهدا على أقواله (يش ٢٤:٢٧) ... وهكذا إذن فإن الذين ائتمنوا على تدبير النفوس ، قد سبقوا فهيئوا لهم الشهود أيا كانوا ، ليقفوا إلى جانبهم ... أما الروح فهو ليس متحدا مع الله لحاجة عابرة ، بل بشركة الطبيعة ، وليس بإقحام منا ، بل بمعية الرب » (مقال عن الروح القدس ٢٩ ، ٣٠ ـــ ترجمة الارشمندريت إدريانوس شكور ـــ لبنان ١٩٧٩) . انظر :

M. Basil., Holy Spirit XXIX, 73, M. 32, 204.

ولقد أفاض القديس أثناسيوس الرسولى فى الحديث عن الوهية الروح القدس ، فى رسائله إلى الأسقف سرابيون عن الروح القدس . ومن أقواله :

« لقد أتت المخلوقات من العدم ، إذ لها بداية أتت منها إلى الوجود ، لأنه « فى البدء خلق الله السموات والأرض وكل ما فيها ، أما الروح القدس فقد قيل عنه أنه من الله ... ومما تقدم : أية علاقة يمكن أن توجد بين الروح القدس والمخلوقات ؟ فالمخلوقات لم تكن موجودة ، أما الله فله وجوده ، والروح القدس منه . والذى من الله لا يمكن أن يكون قد وجد مما ليس له وجود ، ولا يمكن أن يكون مخلوقا ، لئلا يعتبر ـــ حسب حكمهم ـــ من وجد منه الروح القدس هو ايضا مخلوق . ومن ذا الذى يحتمل هذه الحماقة ؟ وأيضا فالروح القدس هو روح القداسة والتجديد ... لكن المخلوقات تقدست وتجددت . والروح القدس يدعى مسحة وهو الختم ... فالختم لا يمكن أن يكون ضمن الأشياء التى تختم ، والمسحة لا يمكن أن تكون ضمن الأشياء التى تمسح ، لكنه ينتمى إلى الكلمة الذى يمسح ويختم . لأن المسحة لها عبير ورائحة من يمسح ، والذين يمسحون يقولون عندما ينالون المسحة « نحن رائحة المسيح الذكية » . والختم له قالب المسيح الذى يختم ، والذين يختمون يشتركون فيه إذ يتشكلون بشكله ، وهكذا تشترك كل الخليقة فى الكلمة بالروح القدس » انظر ترجمة القس مرقس داود ، الفقرات : ٢٢ ، ٢٣ .

ويقول أيضا القديس أثناسيوس الرسولى :

إن كان الله ثالوثا — وهذا هو الأمر الواقع فعلا — وإن كان قد اتضح بأن الثالوث غير قابل للتجزئة ، وانه متماثل ، فيلزم . ان تكون قداسته واحدة ، وأن أبديته واحدة ، وطبيعته غير المتغيرة واحدة . لأنه كما أن الإيمان بالثالوث — الذى سلم إلينا — يوحدنا بالله ، وكما أن من ينتزع شيئا من الثالوث ، ويعتمد باسم الآب وحده أو باسم الابن وحده ، أو باسم الآب والابن دون الروح القدس ، لا ينال شيئا ، بل يظل عديم الجدوى ودون أن ينضم إلى الكنيسة ، هو ومن يدعى أنه يضمه (لأن طقس الضم هو باسم الثالوث) ، هكذا من يفصل الابن من الآب ، أو من يخفض الروح القدس إلى مستوى المخلوقات ، ليس له الابن ولا الآب ، بل هو بلا إله ، وهو أشر من غير المؤمن ، وهو غير مسيحى . وهذا حكم عادل . لأنه كما أن المعمودية ، التى تتم باسم الآب والابن والروح القدس ، هى واحدة ، وكما أنه يوجد إيمان واحد فى الثالوث — كما قال الرسول — هكذا أيضا الثالوث المقدس ، إذ هو متماثل مع ذاته ، ومتحد بنفسه ، فإنه ليس فيه شيء ، ينتمى للاشياء المبدعة . هذه هى وحدة الثالوث غير المتجزئة ، والإيمان به واحد (المرجع السابق فقرة ٣٠) . ويضيف أيضا القديس أثناسيوس :

هذه الحقيقة أيضا (أى أن المواهب تمنح بالثالوث القدوس) تبين أن عمل الثالوث واحد . فالرسول لا يعنى أن ما يعطى ، يعطى بالتجزئة وعلى حدة من كل أقنوم ، بل إن ما يعطى يعطى فى الثالوث ، وإن كل ما يعطى هو من الله الواحد ... وهكذا نرى أنه عندما يقال أن الروح القدس فى أى واحد ، فإن هذا يعنى ان الكلمة حال فيه مانحا الروح القدس ... وان قال القديسون : هكذا قال الرب ، فإنهم إنما يتكلمون بالروح القدس لا سواه . وإن تكلموا بالروح القدس ، تكلموا بأمور الروح فى المسيح ... وهكذا أيضا عندما شهد الروح القدس لبولس كان المسيح يتكلم فيه كما قدمنا ، وهكذا كانت الشهادة التى أتت من الروح تنتمى إلى الكلمة . وعندما افتقد الكلمة العذراء القديسة مريم أتى الروح القدس إليها معه ، وصاغ الكلمة الجسد بالروح القدس وشكله لذاته ، إذ أراد أن تتحد كل البشرية بالله ويحضرها إليه بواسطة نفسه ، وبه يصالح الكل عاملا الصلح ... سواء كان ما على الأرض أم ما فى السموات » (المرجع السابق فقرة ٣١) .

وانظر أيضا فى كتابات الآباء :

1- M. Basil., faith 3, M. 31, 468.
2- Cyril of Jer. Catech. 17, 5, M. 33, 973.
3- Greg. Nys. Catech. 2, M. 36, 165-168, Log. 41 ch. 9, M. 36, 441.

وفى نص اغريغوريوس النزينزى ، المذكور سابقا ، يشار إلى أعمال وخصائص الروح القدس ، فى ضوء ما ورد عنها فى الكتاب المقدس . اقرأ النصوص التالية :

١ ــ لو ١:٣٥ ، ٤:١٨ ، مت ١٢:٢٨ ، أع ٢:٤ .

٢ ــ ١كو ٢:١١ ، ٢كو ٣:١٨ ، حكمة سليمان ١:٧ ، رو ٨:١٥ ، يو ١٤:١٧ ، ١٥:٢٦ ، ١٦:١٣ ، ٢كو ٣:١٧ .

٣ ــ إش ١١:٢ ، حكمة سليمان ١:٨ــ١٠ ، مز ١٤٣:١٠ ، رو ٨:١٤ ، إف ١:١٣،١٤ ، مت ٢٨:١٩ ، لو ١١:٢٠ .

٤ ــ أع ٢:٣ ، يو ٣:٥ ، ١كو ٢:١٠ــ١٢ ، يو ٣:٨ ، أع ١٠:١٩ ، ١٣:٢،٤ ، ١٦:٦،٧ ، حكمة سليمان ٧:٢٢ .



بعض القاب الروح القدس وصفاته :

١ ــ الله أع ٥:٣ .
٢ ــ المعزى يو ١٤:٢٦ ، ١٥:٢٦ ، ١٦:٧ .
٣ ــ روح الحق يو ١٤:١٧ ، ١٦:١٣ .
٤ ــ الأزلى عب ٩:١٤ .
٥ ــ القوى رو ١٥:١٩ .
٦ ــ المعلم لو ١٢:١١،١٢ .

٧ ـ العلاقة بين الاقانيم الثلاثة

تحدث الآباء والكتاب الكنسيون كثيرا عن خاصية كل أقنوم وعن العلاقة بين الأقانيم الثلاثة

وبصفة مبدئية ، بالنسبة لخاصية أقنوم الآب ، انظر :

1- Justin., A. apol. 49, 5, B. 6, 1, B. 3, 187, 203
2- Greg. Nys.,: Against Eunom, 1, M. 45, 336, 369.
: not being three Gods, M. 45, 133.
3- Dam., mnym. 1, 8, M. 94, 809, 817.
4- Greg. Naz. Log. 31, 7, Log. 29, 2, M. 36, 140 + 76.

وبالنسبة لعلاقة الآب بالروح القدس ، انظر :

1- Greg. Naz. ibid.
2- Dam. 1, 8, M. 94, 809.

وبالنسبة لميلاد الابن . انظر :

1- Athanas. epist 38, 4, faith 2 M. 32, 329 + 31, 468 + Serap. 1, 20, M. 26, 580.
2- Greg. Naz. Log. 20, 11 + 25, 17, M. 35, 1077 + 1224.
3- Greg. Nys., against Eunom. 1, M. 45, 369.

أما بالنسبة لعلاقة الآب والابن ، فلا يجب أن تفهم على مستوى العلاقة بين الآب السماوى والبشر (انظر أف ٣:١٥) أو على مستوى علاقة الآباء بالابناء . إن الله الآب لم يوجد مطلقا فى وضع الابن كما يحدث فى عالم البشر ، ولم يوجد قط مسلوبا خاصية الأبوة . انظر :

1- Dam. mnym., 1, 8, M. 94, 828.
2- Greg. Naz. Log. 31, 7, M. 36, 140.
3- Athanas., Serap. 1, 16, M. 26, 569.
, aaginst Arian, 1, 14, M. 26, 41.
4- Greg. Nys. Eunom. 1, M. 45, 444-445.

+ وخير ما يعبر عن ميلاد الابن من الآب هو لقب « الكلمة » الذى يطلقه القديس يوحنا عن الابن ، لأنه كما تولد الكلمة من العقل ، هكذا ولد الابن من الآب . كما يعبر لفظ « الكلمة » عن الوجود الأزلى للابن مع الآب . انظر :

1- Theoph. John. 1, 1, M. 123, 137.
2- Chrys. John. Hom. 2, 4, Monf. 8, 141.
3- Athanas., Arimin 41, against Arian. 1, 28, M. 26, 765 + 69, Dion. episc. 15, M. 25, 502.
4- Greg. Naz. Log. 30, 20 M. 36, 129.

+ إن الحديث عن الابن ، من حيث وجوده الأزلى مع الآب وعدم انفصاله عنه ، يعبر عنه أيضا بكلمة "apaugasma" (اشعاع — بهاء) ، لأنه لا يوجد نور بدون إشعاع ، ولا إشعاع بدون نور . وهذه الكلمة — قد استعملها الرسول بولس فى رسالته إلى العبرانيين (عب ١:٣) . وانظر :

1- Athanas., Dion. episc. 15, M. 25, 502.
, Nic. Syn. 12, M. 25, 437.
, episc. Aig. 13, M. 25, 568.
2- Chrys. Hebrew, Hom. 2, 3, Monf. 12, 23.
3- Theodoryt. Heb. 1, 3, M. 82, 680.

+ كذلك ، فإن التعبير عن ميلاد الابن من الآب ، من حيث أنه يخلو من أية تجزئة فى الجوهر ، ومن حيث أنه يعبر أيضا عن الوحدة فى الجوهر بين الآب والابن ، تستعمل له العبارات الكتابية التالية « صورة الآب » (كو ١:١٦) ، « رسم جوهره » (عب ١:٣) . الابن صورة الآب الحية وهو ليس مجرد شبيه بالآب ، بل هو واحد مع الآب فى الجوهر . انظر :

1- Chrys. Col. Hom. 3, 1, Monf. 11, 395.
2- Theodoryt. Col. 1, 16, M. 82, 597.
3- M. Basil, against Sabel, 24, 4, M. 31, 608.
4- Orig. against Cels. VI, 69, B. 10, 112.

إن عبارة « رسم جوهره » ، تشير إلى ان الابن ، هو صورة الآب ، وليس جزءا منه . انظر :

1- Greg. Nys., Eunom. 11, M, 45, 485.
2- Theoph. Heb. 1, 3, M. 125, 192.

+ وميلاد الابن من الآب يتم « بالطبيعة » ، وليس كما فى عالم البشر حيث يتم الميلاد « بالإرادة » . فإذا لم يشأ الرجل أن يلد ، يمكنه أن يمتنع عن المعاشرة الزوجية ، فالميلاد فى عالم الإنسان ، يتم بالإرادة وليس بالطبيعة ، وليس الأمر هكذا بالنسبة لميلاد الأقنوم الثانى ، دون أن يعنى ذلك أن ميلاد السيد المسيح قد تم بدون إرادة الآب ومشيئته . انظر :

1- Athanas, against Arian, 111, 61, M. 26, 452, 453 + 111, 6, M, 26, 461.
2- Greg. Naz. Log. 29, 2, M. 36, 76, Log. 29, 8, M. 36, 84.
3- Dam. 1, Ch. 8, M. 94, 813.
4- Photios in Oikoum. 119, 281.

انبثاق الروح القدس

+ للأقنوم الثالث ، فى الثالوث القدوس ، خاصية الانبثاق من الآب ، وهى خاصية يصعب فهمها وادراكها ، على نحو الصعوبة التى نواجهها فى الحديث عن ميلاد الأقنوم الثانى . انظر :

1- Dam. mnym. 1, 8, M. 94, 816.
2- M. Basil., Hom. 24 against Sabel. 6, M. 31, 613.
3- Greg. Naz. Log. 31, 8, M. 36, 141

+ وبلا شك ، فإن هذا الانبثاق ، هو انبثاق أزلى غير منفصل ، على نحو ميلاد الابن الأزلى غير المنفصل . انظر :

Theoph. John. 15, 26, M. 124, 205.

+ وإذا كان الروح القدس ، قد انبثق من الآب ، فهو ليس مخلوقا من بين المخلوقات ، وكذلك ، إذا لم يكن قد ولد ، فهو ليس ابنا . انظر :

Greg. Naz., ibid.

فيجب أن نميز بين الانبثاق وبين الميلاد ، ويجب أن لا نوحد بينهما ، وإلا صار الروح القدس فى وضع الأخ . انظر :

1- M. Basil. Hom. 24, against Sabel. 7, M. 31, 616.
2- Greg. Naz. Log. 31, 8 + 39, 12, M. 36, 141 + 348.
3- Athanas. Serap. epist 1, 16, M. 26, 569.

+ ولو ان الروح القدس ولد من الآب ، فسوف يكون فى الألوهية « إبنان أخان » الواحد منهما أكبر من الثانى . ولو أن الروح القدس كان ابنا للابن ، فعند ذلك سوف يكون الآب فى موضع الجد ، والروح القدس فى موضع الحفيد ، وليس هذا هو الحقيقة . انظر :

1- Greg. Naz. Log. 31, 7, M. 36, 140.
2- Athanas. Serap. epist 1, 16, M. 26, 569.

وإذا كانت الكنيسة القبطية الأرثوذكسية ، تعلم بأن انبثاق الروح القدس هو من الآب فقط ، وذلك وفقا لما نطق به السيد المسيح نفسه ، وكذلك وفقا لقانون الإيمان النيقاوى ــ القسطنطينى ، فإن الكنيسة الكاثوليكية وكذلك الكنيسة البروتستانتية ، تعلمان بأن الروح القدس ينبثق من الآب والابن ، وليس من الآب فقط .

أما بالنسبة لآراء الآباء ، حول وضع الروح القدس وصلته بالابن ، فى الثالوث القدوس ، فانظر :

1- Dam., mnym 1, 12 + 8, M. 94, 849, 821, 833 + M. 95, 60 + M. 96, 605.
2- Cyril of Alex, John, Book 9, M. 74, 281 + 216 + 14, 16, 17, + 15, 26, 27, M. 74, 257, 417, + 10, 14, 25, 26, M. 74, 444 + 11, 1, M. 74, 449, Thys. 34, m. 75, 585, 600 + 31, M. 75, 576, epist. 17 Nestor. M. 77, 117 + against Nest. 4, 1, M. 76, 173, Log. 6 tri., M. 75, 1009, faith 51, M. 76, 1408 + 37, M. 76, 1188.
3- Athanas., tri. Dialog. 6. M. 75, 1009, epist 55, M. 77, 316, Serap. 1, 20, M. 26, 577, 58 + 1, 14, M. 26, 565 + 1, 31, M. 26, 600-601.
4- Greg. of Nys. against Maked. 13, M. 45, 1317 + 14, M. 45, 1317 + 5, M. 45, 1308, not being three Gods M. 45, 133, against Eunom. 1, M. 45, 361, 369 Kata eik M. 44 1329.
5- M. Basil. epist. 38, 4, M. 32, 332, Holy Spirit, 18, 45 + 47, M. 32, 133, Hom. 24, 4, M. 31, 609.
6- Cyril of Jer., Catech. 16, 24, M. 33, 952.
7- Greg. Naz. 2, 688, M. 37, 632 + Log. 31, 4 M. 36, 137 + 34, 17 M. 36, 236.
8- Epiphan, Ank. 70, M. 43, 148 + 6, M. 43, 25, panar. 74, 4 M. 42, 480 + 74, 10, M. 42, 493 + 74, 12, M. 42, 497.
9- August, De civit. 11, 26 etc. m. 41, 339.
, De trin. 9, 3-5, m. 42, 962, 965 + 10 C. 11, 18, m. 42, 983 + 6, 5, 7 m. 42, 928 + 15, 19, 73.

تاريخ اضافة « الابن » على قانون الايمان النيقاوى

جاء عن تاريخ إضافة الابن ، فى كتاب « المطالب النظرية » للأسقف إيسيذوروس ما يلى :

+ فى عام ٥٨٩ ، عقد مجمع فى توليدو بأسبانيا ، وأضاف كلمة الابن (Filique) على عبارة « المنبثق من الآب) . وأراد علماء اللاهوت باسبانيا بهذه الإضافة البرهنة على مساواة الابن بالآب فى الجوهر ، ولكنهم تطرفوا فى التعبير ، وقالوا ان الروح القدس منبثق من الابن كما هو منبثق من الآب . ويقال أيضا أن سبب الإضافة يرجع إلى عبارة للقديس أوغسطينوس ، فهمت على غير المراد منها .

+ ابتدأ هذا التعليم يمتد فى القرنين السابع والثامن إلى فرنسا وإيطاليا . ومن أجل أمور سياسية ، حاول كارلوس الامبراطور عام ٨٠٩ ، ان يؤيد علماء الاسبان ، وسعى لإصدار مرسوم بابوى من لاون الثالث ، حتى تقبل فى كل العالم الكاثوليكى ولكنه لم يفلح . وفوق ذلك عقد لاون مجمعا حرم من يزيد على قانون الإيمان أو ينقص منه .

+ بعد موت لاون خلفه بناديكتوس سنة ٨٥٥ ، وقاوم إضافة « الابن » .

+ على أن خلفه نيقولاوس حاول فى سنة ٨٥٨ أن يدخل الزيادة فى بلاد البلغار ، فقاومه فوتيوس بطريرك القسطنطينية .

+ وبقيت الزيادة بين أيدى البابوات فى أخذ ورد ، وقبول ورفض ، حتى سنة ١٠١٢ ، وفى سنة ١٠١٤ ، أدخلها بنديكتوس الثامن فى دستور إيمان اللاتين ، وكان ذلك أعظم سبب لانقسام الروم من اللاتين . (ص ٢٦٠ — ٢٦٢) .

اعتراضات الكاثوليك والرد عليها

+ تستند الكنيسة الكاثوليكية فى زعمها بانبثاق الروح القدس من الابن ، إلى ان العهد الجديد يدعو الروح القدس ، روح المسيح وروح الرب وروح الابن ، كما يبدو من الآيات التالية :

« إن كان أحد ليس له روح المسيح فذلك ليس له » (رو ٨ :٩) ، ***« مؤازرة روح يسوع المسيح »*** (فى ١ :١٩) ، ***« حيث روح الرب هناك حرية »*** (٢كو ٣ :١٧) ، ***« ارسل الله روح ابنه إلى قلوبكم صارخا يأبا الآب »*** (غلا ٤ :٦) .

على أن هذه الآيات لا تشير إلى انبثاق الروح القدس من الابن ، ولكنها تؤكد فقط وحدة الجوهر بين الروح القدس وبين الابن ، فهى تتصل بخصائص الجوهر وليست بالخصائص الأقنومية ، أى أنها تشير إلى المساواة بين الروح القدس والابن من حيث الجوهر ، ولكنها لا تعنى ان الروح القدس يأخذ وجوده من الابن . انظر :

1- Athanas., Serap. 1, 25, M. 26, 588.
2- Jerome., epist. ad. Galat. lib 11, 4.

+ إنه لا يجوز لناأن نستخلص من وحدة الجوهر ، وحدة الخصائص الأقنومية . وعلى ذلك لا يجوز لنا ان نقول ان الروح القدس من الابن . انظر :

1- M. Basil. epist 38, 4, M. 32, 332.
2- Greg.Naz. Log. 39, 12, M. 36, 348.
3- Damas. mnym. 1,8, M. 94, 832-833.
4- Cyril of Alex. John. Book 9, M. 74, 281 + John 15: 26, 27, M. 74, 420 + Book 10 (John 14: 25, 26) M. 74, 301.
5- Athanas. Serap. epist. 3, 3 + epist 1, 23, M. 26, 628, 585.

+ يقول الأسقف ايسيذوروس :

ان الافعال الإلهية بحسب صدورها من جانب اللاهوت الأقدس قسمان ، أحدهما الأفعال الأقنومية ، والثانى الجوهرية . فالأول من الأفعال هو الذى يختص به أقنوم واحد كالآب دون الابن والروح ، وبالعكس . وهذه الأفعال هى المعروفة بالأبوة والولادة والانبثاق ، التى أولها للآب والثانى للابن والثالث للروح القدس ، فليس مالِلآب لْلابن أو للروح من هذه المميزات الأقنومية ، وإلا لكان الابن والروح هو الآب وبالعكس . وهذه بدعة سابليوس بكل معناها ، التى مؤداها ان جوهر اللاهوت وأقنومه واحد ، والاختلاف فى الأسماء فقط لا فى المسميات . والنتيجة ان مالِلآب لابنه وللروح القدس أيضا من أفعال القسم الثانى فقط ، وهى الأفعال الجوهرية التى هى الأزلية والديمومة والخلق والقدرة وعدم التغير (المرجع السابق ص ٢٦٢) .

ويقول أيضا الأسقف ايسيذوروس :

إن الآباء قد اجمعوا على ان المراد بتسمية الكتاب للروح القدس ، بروح المسيح ، الدلالة على أن الروح متحد بالابن كما هو متحد بالآب ذاته ليس غريبا عن جوهرهما ، وانه بواسطة تجسد الابن ظهر إلى العالم ، وفاضت مواهبه على الآنام ، ويؤيد ذلك أنه سمى فى مواضع كثيرة : روح القداسة ، روح الحياة ، روح المجد ، روح النعمة ، روح الحكمة ، روح القوة ، روح المشورة ، ولم يفهم أحد من ذلك أن الروح منبثق من أحدى هذه الموصوفات المضافة إليه . وكما لا يفهم من قولنا روح الإنسان ، إن روح الإنسان صادر من الإنسان بل متحد به ، كذلك لا يفهم من قول الإنجيل روح المسيح ، ان الروح صادر من المسيح أو منبثق منه ، بل متحد به ، لأن اضافة الشيء إلى الشيء الآخر ، لا تدل على وجوده منه (ص ٢٦٥) .

ويقول الايغومانس ميخائيل مينا :

إن الافعال الإلهية ، إما داخلية كالآتلاد والبثق ، وهى تختص بالآب ، وأما خارجية كالعلم والقدرة وهى مشتركة ومشاعة بين الأقانيم الثلاثة ، على خلاف الخواص الأقنومية الغير المتعدية ولا مشاعة ، فلا يقال للآب مولود ومنبثق ، ولا للروح القدس آب وابن ، بل يقال للآب والد وباثق ، وللابن مولود ومتجسد .

+ من الملاحظات الكتابية ، أنه قد قيل عن الروح القدس ، الروح الذى **من** الله » (١كو ١٢:٢) . وبلا شك فإن الحرف « **من** » يشير إلى الأصل ، وهو لم يستخدم مطلقا عند الحديث عن الروح فى نسبتها إلى المسيح (روح المسيح — مرتين فى رو ٩:٨ ، فى ١٩:١ — روح الابن — مرة واحدة فى غلا ٦:٤ ، روح الرب — مرة واحدة ٢كو ١٧:٣) .

+ جاء فى يوحنا ١٣:١٦—١٥ ما يلى « ***وأما متى جاء ذاك ، روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق لأنه لا يتكلم من نفسه ، بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمور آتية . ذاك يمجدنى لأنه يأخذ مما لى ويخبركم . كل ما للآب هو لى ، لهذا قلت إنه يأخذ مما لى ويخبركم*** » . وفى ضوء ما قلناه سابقا ، نقول ، إن عبارة « كل ما للآب هو لى » تشير إلى الأمور الخاصة بالجوهر ، دون أن تلغى التمايز فى الأقانيم . انظر :

Cyril: John, Book 11 ch. 11 (John 16: 15), M. 74, 452.

وفى كلمات أخرى : فإن الابن يظل ابنا ، ويحتفظ — بغير اشتراك مع الأقنومين

الآخرين ــ بخاصية البنوة ، وكذلك لا يشترك مع الآب فى خاصية الابوة ، التى هى خاصية الأقنوم . انظر :

M. Basil, faith 2 M. 31, 468.

ولو صار الأمر على غير هذا ، فاختلطت الخواص الأقنومية بين الثلاثة أقانيم دون تمايز ، ولو نسبنا إلى الابن أنه يبثق الروح القدس ، لأمكن أيضا أن ينسب إلى الابن الخواص الأخرى التى للآب مثل الوالد ، وفى نفس الوقت ينسب إلى الآب خاصية الأقنوم الثانى من حيث أنه مولود ، أى يكون الآب مولودا . وفى هذه الحالة يكون الآب قد وصف بصفتين متناقضتين فى نفس الوقت ، فهو والد ومولود . وما يقال عن الآب والابن يمكن أيضا أن يقال عن الروح القدس . إن عبارة السيد المسيح التى يقول فيها « لأنه لا يتكلم من نفسه ، بل كل ما يسمع يتكلم به ، لأنه يأخذ مما لى ويخبركم » تشير إلى أمور زمنية ، أو إلى أعمال الروح القدس فى الزمن ، كما يبدو من استعمال زمن المستقبل للأفعال « يسمع (سيسمع) ، يتكلم (سيتكلم) ، يأخذ (سيأخذ) » . وعلى ذلك فإن عبارة « يأخذ مما لى » لا تشير إلى الروح القدس من حيث « الوجود » بل من حيث عمله وفعله بين البشر ، فالروح القدس يتكلم بالأقوال التى قال بها أيضا السيد المسيح ، أى لا يناقض المسيح فى أقواله أو فى تعاليمه أو فى المعرفة التى يقدمها للبشر . أنظر :

1-Chrys. John. Hom. 78, 2 Monf. 8, 527.
2- Theoph. (John 16: 14), M. 124, 216.

+ ومن تفاسير الآباء التى يوردها الأسقف ايسيذوروس فى شرح هذا النص ، نذكر الأقوال التالية :

القديس أثناسيوس : الروح هو روح الحق ، وينبثق من الآب ، لكنه يأخذ من الابن المالك كل ما هو للآب ، ليبين أن جوهر الآخذ والمأخوذ منه والمنبثق منه (الروح والابن والآب) واحد . إن الآب وحده آب ، لأنه مبدأ ، والابن وحده ابن لأنه مولود ، والبارقليط وحده روح لأن انبثاقه من الآب بمفرده » .

القديس يوحنا ذهبى الفم : لما قال أن ذلك الروح يعلمكم ويذكركم ويعزيكم وأنه خير لكم أن انطلق ليجىء ولا يمكنكم احتمال ما أقوله الآن وأنه يرشدكم إلى الحق كله ، فلئلا يسقطوا فى منتهى الكفر ويظنوا أن ذاك أعظم منه قال لهم أنه يأخذ مما لى ، ومراده أن الأقوال التى قلتها أنا هى نفسها يقولها الروح ... فلا تظنوا أن أقواله تناقض أقوالى بل هى تتضمن آرائى .

القديس كيرلس الاسكندرى : ان الروح يأخذ الحكمة التى لى ، أى يستعمل أقوالى ذاتها لمساواته فى الفعل والكلام .

+ يشير القديس يوحنا فى ١٥:٢٦ إلى قول السيد المسيح « ***ومتى جاء المعزى الذى سأرسله أنا إليكم*** » ، ويخلط المعترضون بين **الإرسالية** والانبثاق ، مع أن الارسالية فعل زمنى بينما أن الانبثاق فعل أزلى ، فإرسالية الابن للروح القدس لا تعنى ان الروح القدس ينبثق من الابن خاصة وأنه قد جاء فى مواضع أخرى فى الكتاب المقدس ما يشير إلى أن الروح القدس يرسل الابن « ***والآن السيد الرب أرسلنى وروحه*** » (إش ٤٨:١٦) ، « ***روح السيد الرب علىّ لأن الرب مسحنى لأبشر المساكين ، أرسلنى لأعصب منكسرى القلوب*** » (٦١:١) . انظر :

August, Contra Maximin. Arian. Book 11 ch 20, 4, m. 42, 790.

ويقول القديس امبروسيوس : ان الآب مع الروح القدس يرسلان الابن ، وكذلك فالآب مع الابن يرسلان الروح القدس . انظر :

Ambros: De Spiritu lib. 111 ch. 1, 8 + 3, 11 m. 16, 811-812.

وانظر أيضا للقديس أوغسطينوس :

De Trinit. lib. 15 ch. 19, 36 m. 42, 1086.

ويقول القديس أوغسطينوس ايضا : لو شاء الآب أن يظهر عيانا فى الخليقة ، لقيل أرسل من الابن ومن الروح (الرسالة إلى مسليميانوس) .

+ يستند الكاثوليك إلى قول القديس يوحنا عن السيد المسيح « ***كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان*** » (يو ١:٣) ، فيزعمون ان الروح كان بالإبن أى انبثق منه . ويكفى أن نقول ان هذا النص هو ذاته الذى كان يحتج به المبتدع مكدونيوس على مخلوقية الروح القدس .

+ يستند الكاثوليك فى الزعم بانبثاق الروح القدس من الابن إلى أن السيد المسيح بعد قيامته من الأموات ظهر لرسله فنفخ فى وجوههم وقال لهم « ***اقبلوا الروح القدس من غفرتم خطاياه غفرت ، ومن امسكتموها عليه أمسكت*** » . ونذكر فى الرد على هذا الاعتراض أقوال بعض الآباء ، مما اورده الأسقف إيسيذوروس :

القديس أثناسيوس : أما قوله خذوا الروح القدس ، فإنه اعطاهم سلطانا وموهبة بالنفخة ليتركوا الخطايا . وبحلول الروح القدس يوم العنصرة المقدس منحهم المعمودية وفعل الآيات . إنه سماه روح قدس ليس أقنوم الروح القدس الذى كان دائما وسيكون دائما ، بل نعمة الروح القدس الحالة على التلاميذ من بعد صعوده بعشرة أيام فى الخمسين من قيامته » .

القديس باسيليوس : الرب قصد تجديد الإنسان وما أضاعه قديما من النعمة التى هى نفخة الله ، فمنحه هذه أيضا إذ نفخ فى وجه التلاميذ .

القديس يوحنا ذهبى الفم : إنه ما أعطاهم الروح **لكنه** جعلهم متسومين لقبول الروح بنفخته . فليس يغلط من يقول أنهم أخذوا حينئذ سلطانا روحيا ونعمة ، ولكن ليس لكى يقيموا أمواتا ويعملوا قوات ، بل لكى يفحصوا عن الخطايا ، لأن مواهب الروح القدس مختلفة ، ولذلك استثنى بقوله من غفرتم له خطاياه غفرت له موضحا أى نوع فعل أعطاهم . فهناك من بعد أربعين يوما أخذوا اجتراح العجائب . إن نعمة الروح يمتنع وصفها ، وموهبتها جزيلة أنواعها ، وهذا صار لتعليم أن موهبة الآب والابن والروح القدس واحدة وسلطانهم واحد لأن المواهب التى نظن أنها توجد مختصة بالآب ، هذه تستبين أنها مختصة بالابن وبالروح القدس .

وقال أيضا : ان الروح القدس من الآب منبثق ، والروح الذى أعطاه المسيح للرسل عندما نفخ فيهم والذى حل عليهم يوم العنصرة لم يكن جوهر الروح ولا أقنومة بل مواهبه .

ويعلق الأسقف ايسيذوروس على ذلك فيقول :

من هذه الحواشى والشواهد الأبوية ، يعلم لنا أمران ، وهما :

أولاً : ان الرسل نالوا فى المرتين مواهب الروح لا أقنومة .

ثانياً : ان هذه المواهب اختصت بالروح لإشهاره والعلم به والمعرفة بأن له أقنوما متميزا عن الآب والابن مساويا لهما فى الجوهر الواحد .

وفى هذا يقول ايضا الايغومانس ميخائيل مينا :

قد أجمع علماء اللاهوت شرقا وغربا أن تخصيص المواهب بالروح القدس كان من باب الاشهار لهذا الأقنوم الإلهى . فالأمة اليهودية كانت تعتقد بالآب لأن الاقرار به مدون فى أسفارهم . وأقنوم الابن صار مشتهرا لمناسبة تجسده المجيد . ولاشهار الروح

القدس نسبت إليه النفخة والألسن النارية وغيرها ليؤمن الجميع بالله أنه فى ثلاثة أقانيم آب وابن وروح قدس ، جوهر واحد ، لاهوت واحد ، بكل مساواة من دون تمييز فى المشاعات الجوهرية (ص ٢٠١ــ٢٠٢) .

ونضيف إلى ما قلناه ، بعض أقوال أخرى للآباء ، مما ذكره الأسقف ايسيذوروس :

القديس أثناسيوس : كما أن قرص الشمس هو علة وغير مولود من أحد ، أما الشعاع فمعلول ومولود من القرص ، والنور منبثق وبارز من القرص وحده ، وهو بالشعاع مرسل ومشرق على الأرض ، هكذا الله الآب وحده علة الاثنين وغير مولود ، وأما الابن فإنه من الآب وحده معلول ومولود ، والروح نفسه من الآب وحده معلول ومنبثق وهو بالابن مرسل إلى العالم .

+ أقول أن فى الله علة واحدة وهى الآب ، لأن هذا الآب نفسه يلد الابن ويبثق الروح القدس أيضا . فاعلم إذن ان الآب علة وحده ، وأما الابن فليس هو علة بل معلول ، بما ان الآب وحده علة فقط .

+ كيف ينبثق الروح القدس من الآب ؟ ينبغى أن لا تسأل عن هذا الأمر لأنه لا يفسر ، إنما اعلم هذا ، وهو أنه كما أن نسمة الإنسان تنبثق من نفسه هكذا الروح القدس ينبثق من الآب ، وكما أن حواء لم تكن مولودة ولا غير مولودة لكنها متوسطة ، هكذا الروح القدس منبثق من الآب ، لأن آدم غير مولود وأما شيث فمولود وحواء منبثقة لأن حواء لم تكن مولودة كما ولد شيث ، ولا هى غير مولودة كآدم ، لكنها خارجة من جنب آدم . وآدم غير مولود على رسم الآب الغير مولود ، وأما شيث فمولود على رسم الابن المولود ، وحواء منبثقة من جنب آدم على رسم الروح الكلى القداسة ، لأن الثالوث القدوس قد رسم أجدادنا الأولين ، إلا أن آدم وشيث وحواء كانوا ذوى أجسام ومفترقين بعضهم من بعض ومنفصلين ، أما الله الآب والابن والروح القدس فليسوا ذوى أجسام ولا منفصلين بعضهم من بعض ، إنما قد يلاحظ رسم عدم ولادة الآب فى آدم الغير مولود ، ورسم ولادة الابن فى شيث المولود ، ورسم انبثاق الروح قد يلاحظ فى حواء المنبثقة .

+ وفى الرد على سابليوس يقول : أما الآب فإنه حاوى الكمال بوجوده من غير نقص وهو الأصل وينبوع الإبن والروح .

+ وما هو الله الذى هو مبدأ الكل على رأى الرسول ، بقوله الله الآب الذى منه كل شىء ، إلا أن الكلمة مولود منه والروح منبثق منه .

القديس كيرلس الاسكندرى :

أ ـــ نعرف ثلاثة أقانيم ونؤمن بها : الآب الذى لا ابتداء له ، والابن الوحيد ، والروح القدس المنبثق من الآب وحده .

ب ـــ ان الروح القدس هو منبثق من الآب حسب قول المخلص ، لكنه ليس بغريب عن الابن ، من حيث وحدة الجوهر .

جـ ـــ نؤمن بالروح القدس ، كما نؤمن بالآب والابن ، لأنه مساو لهما فى الجوهر ، وهو مندفق أى منبثق من ينبوع الله الآب .

د ـــ كما ان الابن من الآب على جهة الولادة ، هكذا الروح من الآب على جهة الانبثاق ، وحاشا من القول بخلاف ذلك ، لأنه تجديف ذوى الآلهة الكثيرة ، لأن عندنا الآب وحده علة الأقنومين .

القديس باسيليوس الكبير : كما ان الروح القدس ليس له الولادة بحالة ما ، هكذا والابن ليس له الانبثاق . وكما ان الابن ليس هو من الروح القدس ، هكذا الروح ليس من الابن ، وكما ان الابن مولود من الآب وحده ، هكذا الروح القدس منبثق من الآب وحده .

القديس اغريغوريوس النيصى :

أ ـــ إن خاصية الانبثاق هى موجودة فى الآب فقط .

ب ـــ لا ننكر الاختلاف الذى بحسب العلة والمعلول ، الذى فيه وحده يدرك تمييز الواحد عن الآخر ، أما الواحد فبأنه علة وأما الآخران فبأنهما من هذه العلة .

جـ ـــ كما أنك إذا رأيت لهيبا مقسما فى ثلاثة مصابيح ، فإنما تلاحظ فى اللهيب أيضا أن الأول هو علة النور الثانى والثالث .

القديس يوحنا ذهبى الفم : ان الآب علة واحدة للابن والروح القدس (ص ٢٥٥ ـــ ٢٦٠) .

٨ ـ تقديم عقيدة الثالوث للفكر المعاصر [١]

+ انطلاقا من اهتمام ، قديم ـــ جديد ، باشكالية التعبير عن الإيمان المسيحى فى سياق ثقافى عربى ، عقد قسم الإيمان والوحدة بمجلس كنائس الشرق الأوسط ، حلقتين دراسيتين حول « الثالوثيات » ، عقدت الأولى فى بلاترس (قبرص) فى الفترة من ٢٧ـــ٣٠ يونيو ١٩٨٦ ، وعقدت الثانية حول نفس الموضوع من ١٦ ـــ ٢٠ فبراير ١٩٨٨ بالاسكندرية .

والعمل فى موضوع الثالوثيات عامة ، انطلق من الإحساس بالحاجة إلى مخاطبة الإنسان المعاصر ، فكثيرا ما توجه الإدانة إلى التثليث المسيحى ، مما يدل على ان عقيدة التثليث لم تفهم صحيحا ، بل قد يفهم ان القول بالتثليث هو قول بالشرك .

وجرى تساؤل : من أين ننطلق فى حديثنا عن الثالوثيات ، هل ننطلق من الله ، أى هل نتبع المنهج الاستدلالى فنتحدث عن الله ثم نستنتج من حديثنا عن الله ، ما يعنى ذلك للإنسان ؟ أم نستخدم المنهج الاستقرائى ، فنتحدث عن الإنسان ، وانطلاقا من حديثنا عن الإنسان وعن علاقة الإنسان بالله ، نصل إلى الحديث عن الله وعن ثالوثيته . وانتهى المجتمعون إلى أنه لابد من محاولة تنطلق من الإنسانيات .

+ إن عقيدة الثالوث تظهر خصوصيتها فى كسر العزلة الكيانية للإنسان . وهذه نقطة مركزية تخاطب الإنسان المعاصر . لأن الاحساس بهذه العزلة الكيانية يتفاقم عند كل الناس فى مجتمعنا . وعندنا نحن المسيحيين خبرة ثمينة جدا ، ألا وهى خبرة الثالوث فى هذا المجال . إن الفارق الأساسى بين المسيحية وغيرها ، يكمن فى أن الله يتدخل فى حياة « الإنسان » . أنه يتصرف فى التاريخ . ان الأمر فى المسيحية ، ليس مجرد وجود

(١) انظر فى هذا الفصل :

د. موريس تاوضروس . د. طارق مترى : الثالوثيات ـــ مقاربات معاصرة (قسم الإيمان والوحدة بمجلس كنائس الشرق الأوسط ـــ تقرير عن حلقتين دراسيتين ، بلاترس (١٩٨٦) والاسكندرية (١٩٨٨)) .

علاقة بين الله والإنسان ، ولكن فى كيفية هذه العلاقة . ولعل القطيعة الأساسية بين المسيحية وغيرها تكمن فى هذه الناحية . ان المسيحية عندها شيء اسمه التواضع الاخلائى . الله أخلى نفسه . وهنا يدخل الثالوث ، لأن العلاقة داخل الثالوث علاقة اخلائية ، يخلى نفسه لكى يحب الاقنوم الآخر .

+ ان العالم فى حالة قلق . ان الطاقة الذرية مفيدة ، والإنسان الآلى مفيد ، والتطور يسير رغم إرادتنا ولا نهدف لأن نوقفه ، ولكننا نعانى القلق الذى يسود العالم . وعمل الكنيسة هو أن تحرر الإنسان من هذا القلق من خلال الثالوث ، ليكتشف سلامه الداخلى ، فتهب له الطمأنينة وسط القلق الذى يعيش فيه . الثالوث هو الإله الوحيد ، لأنه لو قلنا ان الله منعزل فى السماء ، غير معنى بحياتى ، يتعمق احساسنا بالقلق . أما كون الله نزل إلينا ، فقد صار معنيا بكل شيء يمس حياتنا . هو ضابط كل شيء بما فى ذلك التكنولوجيا الحديثة . هو مسئول عن حفظنا فى السلام . الآب كأب يهتم بأبنائه ، والابن كمخلص والروح القدس يسكن فينا . وهكذا يعطينا الثالوث سلاما داخليا يحفظنا وسط القلق . فى حديثنا عن التثليث نتحدث عن المحبة وعن عمل الروح القدس الذى يقدس حياتنا ، ونتكلم عن الرابطة أو الوحدة التى يوجدها الثالوث سواء فى حياة الفرد أو حياة الجماعة . نضع صفات الله أمامنا كمثال نسعى لأن نحققه فى حياتنا . صورة الله تبقى فى حياتنا . الله متحرك . كمال الله صفة إيجابية نسعى لتحقيقها من خلال الثالوث .

+ ان اعلان الثالوث والخلاص هو بالدرجة الأولى عمل إلهى . ان الثالوث إعلان إلهى ، وهذا أمر واضح لا خلاف فيه . ولكن كيف يبدأ اقتراب الله من الإنسان دون أن يكون اقتحاماً ؟ الله يحترم فكر الإنسان ويحترم إرادته ويحترم قدراته . وإذا كان الخلاص هو مختص بالإنسان ، فلا يمكن تجاهل الانثروبولوجيا . إن إحساس الرجل الابرص ببرصه ، جعله يقترب من المخلص طالبا التطهير . المرأة الخاطئة أتت من وراء السيد المسيح وعند رجليه باكية ، وابتدأت تبل قدميه بدموعها ، فاحساسها بأنها خاطئة هو الذى دفعها إلى ذلك . فى كل هذه الأمور ، ان شعور الإنسان بواقعه واحتياجه يدفعه إلى طلب الخلاص .

ان البشرية الواقعة تحت الموت والضياع ، والتى تشعر بالحرمان إلى الله وتتوق إلى الحصول على الخلاص وإلى الحياة الجديدة ... هذه البشرية ، بمجرد أن رأت المخلص

أمامها انجذبت إليه ، لأن واقعها المرير هو الذى يجعلها تشعر بالاحتياج إلى الله . بلا شك أن السيد المسيح قال لبطرس : ان لحما ودما لم يعلن لك هذا . ان المدخل الانثروبولوجى ليس المقصود منه ، ان الانثروبولوجيا تكشف سر الاعلان الإلهى ، ولكن الانثروبولوجيا هى الوسط الذى يعمل فيه الإعلان الإلهى . وإذا كان القلب يشعر باحتياجه إلى الله ففيه يجد الإعلان الإلهى قبولا . أما إذا كان القلب لا يشعر بالاحتياج ، فإن الإعلان الإلهى يبقى معطلا بالنسبة للإنسان . نحن لا نقول ان الخلاص هو من صنع الإنسان ، ولا إن الإنسان هو الذى يبدأ ، لكن نفس الإعلان الإلهى يبقى منتظرا ان يفتح الإنسان له قلبه . فإذا كنا اعتبرنا الأنثروبولوجيا بداية فليست هى البداية الأصيلة ، بل البداية العملية .

+ وقد القى الأب القمص تادرس يعقوب محاضرة بعنوان : مفهوم الإنسان وعلاقة الإنسان بالله ، من منظار الثقافة المعاصرة فى منطقة الشرق الأوسط ، جاء فيها :

١ — إن الإنسان إذ يخلو إلى نفسه يشعر بالعزلة ، بالرغم من وجوده بين كثيرين سواء من أهل أسرته أو من زملائه فى العمل أو من أصدقائه . إنه محتاج إلى كائن يقدر أن يدخل إليه فى أعماقه ويشاركه مشاعره وأحساسيسه ، لينزع عنه هذا الشعور بالعزلة . فالإيمان بالوحدانية المجردة أو الوحدانية المطلقة فى تجاهل للإيمان الثالوثى يزيد من حدة هذه العزلة ، إذ يظهر الله ككائن مطلق بعيدا عن الإنسان وعن العالم ومعتزل فى السماء .

+ ان الدخول إلى الإيمان الثالوثى من خلال حاجة الإنسان إلى الله يملأ فراغنا الداخلى ، خاصة وإن الإيمان الثالوثى لا يكشف فقط عن تنازل الله ليشاركنا طبيعتنا وحياتنا وعالمنا ، وإنما أيضا يكشف عن حركة حب أزلى قائم بين الثالوث قبل خلقة السماء والأرض ، الأمر الذى يمثل مشكلة بلا حل فى الإيمان بالوحدانية المجردة ، لأنه كيف لله أن يحب قبل وجود خليقة سماوية أو أرضية ، فإذا قيل أنه يحب نفسه ، فهذا غير لائق به ، وإن قيل أنه يحب بالقوة لا بالفعل ، ينسب إلى الله النقص (حاشا) كأن الخليقة لازمة ليتحول الحب الإلهى من القوة إلى الفعل .

+ بالنسبة للإنسان المعاصر ، فالتطور الصناعى المستمر والسريع ، خاصة فى عالم الكومبيوتر ، أفقد الإنسان الكثير من العلاقات الإنسانية التى من خلالها ينعم الإنسان بحقيقة كيانه الإنسانى . صار الإنسان يتعامل مع مجموعة من الأزرار ليتعرف على

معلومات كثيرة وبطريقة سريعة .. الأمر الذى يدخل به إلى فراغ داخلى . لهذا فهو فى حاجة إلى التعرف لا على إله بعيد عنه فى سماواته ، وإنما إلى أب يحتضنه ومخلص يجدد طبيعته وروح الله يسكن فى أعماقه ، يملأ كل فراغ ، بمعنى آخر ، يجد الله حركة حب لا تنقطع تشبع الأعماق الداخلية .

+ الثالوث القدوس كحركة حب أزلى يخلق جوا من الحب ، فى الحياة الكنسية ، فيمارس المؤمنون عبادتهم كعمل حب بنوى مقدم للآب فى الابن بالروح القدس ، تجاوبا مع عمل الثالوث فينا .

+ الثالوث القدوس يضفى على الكنيسة الروح الجماعية . الله ليس واحدا فرديا مجردا ، بل وحدة جوهر تقوم على التثليث . بهذا يمارس المؤمن — حتى فى مخدعه — العبادة كعلاقة شخصية مع الله ، لكن كعضو فى جماعة . بروح الحب يحمل كل عضو الجماعة فى قلبه وفكره ، لا روح الإنعزالية والفردية ، حتى فى صلاته الخاصة الخفية .

+ الإيمان الثالوثى هو طريق الشركة مع الله .

+ بالنسبة للحياة الإنسانية فى المجتمع ، فالمجتمعات بصفة عامة ، تئن من روح الفردية التى تسيطر على الإنسان .

+ بالنسبة للحياة الأسرية والعلاقات المتبادلة بين أعضاء العائلة الواحدة . خاصة العلاقات الأسرية بين الزوجين والوالدية والبنوية ، هذه جميعها تحتاج إلى الإيمان الثالوثى الذى يسحب قلب المؤمن من الفردية القائمة على الأنانية إلى التمتع بروح الحب الجماعى . خلال الإيمان الثالوثى تتحول الأسرة إلى أيقونة السماء، خلالها يجاهد كل عضو بالنعمة الإلهية فى ممارسة الحب كناموس طبيعته الجديدة .

الباب العاشر

الانسان صورة الله
السقوط والعقوبة

- ـــ خلقة الإنسان
- ـــ الذين ينكرون الخلق والرد عليهم
- ـــ الإنسان على صورة الله وشبهه
- ـــ الإنسان فى الجنة
- ـــ السقوط والعقوبة

١ ــ خلقة الانسان

حسب تعليم الكتاب المقدس ، خلق الله الإنسان آخر المخلوقات الأرضية ، وهو أكثر كمالا من كل المخلوقات ، كما أنه يعتبر تاج المخلوقات وقمتها . ولقد خلق الإنسان بتدخل وفاعلية مباشرة من قبل الله . فخلق الله جسمه من تراب الأرض ، ثم نفث فيه نسمة حياة ، فصار آدم نفسا حية . ووضع الإنسان فى جنة عدن ، كملك على كل المخلوقات . وخلق الله لآدم ــ بتدخل جديد مباشر ، معينة نظيره . وهكذا يكون الله قد أنشأ الرابطة الزوجية بين الرجل والمرأة . وبورك الزواج من الله ، وتفرعت شجرة الجنس البشرى . فالإنسانية تمثل أسرة واحدة . ويقف على رأس البشرية آدم وحواء . وهذا يفسر عمومية الخطية ، كما يفسر أيضا الخلاص المدبر للجنس البشرى بأكمله .

قصة الخلق كما يرويها الكتاب المقدس :

يشير سفرالتكوين إلى قصة الخلق فى موضعين :

فى الموضع الأول ، تذكر قصة الخلق بشكل مختصر ، فيقول سفر التكوين « ***وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا ، فيتسلطون على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى البهائم وعلى كل الأرض وعلى جميع الدبابات التى تدب على الأرض . فخلق الله الإنسان على صورته . على صورة الله خلقه . ذكرا وأنثى خلقهم وباركهم الله وقال لهم اثمروا واكثروا واملأوا الأرض واخضعوها وتسلطوا على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى كل حيوان يدب على الأرض*** » (تك ١:٢٦ــ٢٨) .

وفى الموضع الثانى ، تذكر قصة الخلق بشكل أكثر تفصيلا ، فيقول سفر التكوين « ***وجبل الرب الإله آدم ترابا من الأرض ونفخ فى أنفه نسمة حياة فصار آدم نفسا حية . وغرس الرب الإله جنة فى عدن شرقا ، ووضع هناك آدم الذى جبله*** » (تك ٢:٧ــ٨) « ***فأوقع الرب الإله سباتا على آدم فنام ، فأخذ واحدة من أضلاعه وملأ مكانها لحما . وبنى الرب الإله الضلع التى أخذها من آدم امرأة ، واحضرها إلى آدم فقال آدم : هذه الآن عظم من عظامى ولحم من لحمى . هذه تدعى امرأة لأنها من إمرء أخذت*** » (تك ٢:٢١ــ٢٣) .

وتشير كتب العهد القديم الأخرى ، إلى الإنسان ككائن مخلوق من قبل الله . جاء فى سفر أيوب « **يداك كونتانى وصنعتانى كلى جميعا ، أفتبتلعنى . أذكر أنك جبلتنى كالطين أفتعيدنى إلى التراب** » (أيوب ١٠:٨،٩) .

وجاء فى حكمة سليمان « **لأن الله خلق الإنسان فى عدم البلى وصنعه على مثال صورته** » (٢:٢٣) .

وجاء فى المزامير « **يداك صنعتانى وأنشأتانى** » (مز ١١٩:٧٣) .

وجاء فى حكمة سيراخ « **الرب خلق من الأرض إنسانا ، وأيضا أعاده إليها** » (١٧:١) .

وفى العهد الجديد ، فى الإنجيل للقديس متى « **فأجاب وقال لهم . أما قرأتم أن الذى خلق من البدء ، خلقهما ذكرا وأنثى ، وقال من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ، ويكون الاثنان جسدا واحدا** » (مت ١٩:٤،٥) .

وفى رسائل بولس الرسول « **الإنسان الأول من الأرض ترابى ، الإنسان الثانى الرب من السماء** » (١كو ١٥:٤٧) .

« **فإن الرجل لا ينبغى أن يغطى رأسه لكونه صورة الله ومجده ، وأما المرأة فهى مجد الرجل ، لأن الرجل ليس من المرأة ، بل المرأة من الرجل ، ولأن الرجل لم يخلق من أجل المرأة بل المرأة من أجل الرجل ... غير أن الرجل ليس من دون المرأة ولا المرأة من دون الرجل فى الرب ، لأنه كما أن المرأة هى من الرجل ، هكذا الرجل أيضا هو بالمرأة ، ولكن جميع الأشياء هى من الله** » (١كو ١١:٧ــ١٢) « **لأن آدم جبل أولاً ثم حواء** » (١تى ٢:١٣) .



٢ ــ الذين ينكرون « الخلق » والرد عليهم

عند الحديث عن أصل الحياة ، يشار إلى افتراضين : إما الخلق وإما التولد الذاتى . وبالنسبة لافتراض الخلق ، فإن الله يكون قد خلق الكائنات الحية الأولى عندما توفرت على الأرض الشروط الضرورية للحياة . وفى هذه الحالة ، يكون الخلق مباشرا من الله . وهذا ما يتفق مع قصة الخلق كما أشرنا إليها سابقا .

أما بالنسبة لافتراض التولد الذاتى ، فهو يعنى ولادة كائن حى بدون بذرة سابقة ، وبفضل فاعليات المادة الفيزيا ـــ الكيمائية ، ويخرج الكائن الحى الأول بحسب هذه الافتراض من المادة مباشرة . ويقول بهذا الافتراض ، الماديون ، الذين يجعلون الحياة نتيجة للأسباب الفيزيائية والكيمائية . وهذه النظرية ليست جديدة فأرسطو كان يعتقد أن العالم ملىء بالنفوس وعناصر الحياة ويحمل فى ذاته بذور الكائنات . واتخذت هذه النظرية ، فى منتصف القرن التاسع عشر ، شكلا آخر ، إذ اعتبرت منذ ذلك الحين فى المدرسة المادية ، الوسيلة الوحيدة للاستغناء عن الله ، فإذا كانت المادة أزلية ومجهزة بالقوة اللازمة وقادرة على ابداع الحياة ، وإذا كان باستطاعة الكائنات الحية الأولى ان تتصور وتنتظم أنواعا مختلفة ، وإذا كان كل شيء حسب رأى هيكل **Haeckel** من هبوط حجر إلى أرفع فكر فى الإنسان ، ينتهى فى الكون إلى حركة فى الذرات ، يسهل القول أن الله هو حد يتراجع بقدر ما يتقدم العلم (كارل فوغت)[١] .

وقد أشار الأسقف إيسيذوروس إلى الكثير من أقوال العلماء لنقض هذه النظرية ، ونذكر بعض هذه الأقوال :

قال الدكتور كربنتر : ان التولد الذاتى فرض غريب لم يدعم بدليل .

وقال الاستاذ هكسلى : أنه لا يرى سببا لاعتقاد وقوع التولد الذاتى .

وقال دارون نفسه : التولد الذاتى لا يعقل مطلقا .

وقال الاستاذ فرخو : انى ادركت جيدا بأن ظهور الحياة لا يفسر إلا على نوعين ،

(١) الاب جبرائيل فرح : الله ص ١٥٧ ــ ١٥٩ .

أما أنها تنبع من المادة ، وأما أنها نتيجة خلقة . على أننا إذا قلنا النوع الأول لا نقدر أن نخطو قدما واحدا إلى الأمام لحل المسألة طالما أننا لا نقدر أن نبرهن بأن التولد الذاتى يحتمل فى الطبيعة ، فيجب علينا أن نقر بدون احتيالات . نعم ان العلماء جاهدوا للوصول إلى هذا الحل ، ولكن مباحثهم ذهبت سدى وقد فرغ كل أمل لاثبات تولد الحياة الذاتى .

ولما انتخب باستور عضوا فى ندوة العلم الفرنساوية قال : إنى بعد النظر فى أصل الجراثيم الحية ، برهنت على ما تحققناه إلى الآن ، ان الحياة ليست نتيجة قوى المادة ، فخدمت بذلك التعليم الروحى .

ويذكر ايسيذوروس هذه القصة :

ادعى الماديان بوسيه الفرنسى ، ومانتيقازا الإيطالى أنهما أجريا تولد ذات حية من ذات غير حية ، فانتشرت دعواهما حالا ، وادعى الحال إلى تشكيل لجنة لفحصها تحت رئاسة العالم الكيماوى بستور الفرنسى الشهير المخترع دواء الكلب ، فأتوا بقطعة لحم ووضعوها فى آنية داخل جو نقى من الهواء لحفظها من ملامسة الجراثيم ، فاستمرت كما هى ولم يتولد فيها دويبة حسب زعم ذينك صاحبى الدعوة ، فحررت من ثم اللجنة تقريرها واثبتت هذه النتيجة بتجربتها ، وهى ناموس الحياة العام ، وهو ان الحى يخرج من الحى ولا يعكس[١]

وبالنسبة لأصل الأنواع : هناك افتراضان :

١ ــ **المذهب الاستقرارى** : ويفترض ان الله خلق الأنواع كما نراها اليوم ، أو خلق مباشرة على الأقل البذور بعدد يساوى عدد الأنواع المختلفة ، وكان على هذه البذور ألا تبرز وتنفتح إلا حين تتوفر لها الشروط الملائمة . وإيما كانت الكيفية التى خلقت بها هذه الأنواع ، فإن ميزاتها ان تكون مستقرة وألا تخضع لتعديلات أساسية . وقد تبنى هذه الافتراضية المدافعون المسيحيون القدامى . وجمهور من كبار العلماء .

٢ ــ **المذهب التطورى** : وهو يحاول شرح أصول الأشياء بالتطور . وحسب هذه النظرية ، كل شىء فى الكون يتطور . وإذا طبق التطور على الأنواع ، فإنه يحمل اسم التحول . وهذا يعنى أن الأنواع تتحدر بعضها من بعض سلسلة تبدلات

١) المطالب النظرية ص ٤١١ ــ ٤١٣ .

متتابعة ، وأنها تنسب كفروع إلى شجرة واحدة كبيرة . وتجرى هذه التبدلات ــ فيما يشرح الأب جبرائيل ــ من خلال نظامين ، أحدهما هو المذهب اللامركى ، والثانى هو المذهب الدارويني .

وبالنسبة **للمذهب اللامركى** ، فإن العالم لامارك (١٧٤٤ ــ ١٨٢٠) يزعم أن ثلاثة عوامل تشرح المرور من نوع إلى آخر : البيئة ــ الوراثة ــ الزمن . فهذه تجبر الجهاز العضوى ، على أن يتلاءم والشروط القائمة . وهذا التوافق يخلق أحتياجات جديدة . وهذه الاحتياجات تكون الأعضاء التى تنقل إلى الذرارى بواسطة الوراثة . وبما ان التطور يحدث ببطء وبالتدريج ، يصبح الزمن عاملا لابد منه .

وأما **المذهب الداروينى** (١٨٠٩ ــ ١٨٨١) فيذهب إلى أن هناك عاملا آخر أكثر أهمية يشرح حادث التحولات وهو الانتقاء الطبيعى[١] .

وعلى ذلك فإن الداروينية تطلق على المعنيين التاليين :

١ ــ الداروينية ، من حيث أنها مذهب التحول أو التبدل (transformisme) وهو القول أن الأنواع تنشأ بعضها عن بعض ، ولا سيما النوع الإنسانى فهو منحدر عن الأنواع الحيوانية التى ترجع إلى أصل واحد أو عدة أصول .

٢ ــ والداروينية أيضا هى القول أن تبدل الأنواع ناشىء عن الانتخاب الطبيعى (Selection naturelle) ، وهى بهذا المعنى مقابلة لمذهب « لامارك » و« سبنسر » الذى يقرر أن تبدل الأنواع ناشىء عن التكيف بوساطة الممارسة والوراثة[٢] .

يقول داروين :

إن الأفراد الذين حصلت لهم بعض التغيرات النافعة فى مؤالفة البيئة ، أصلح للبقاء من الأفراد الذين لم تحصل لهم تلك التغيرات . وهكذا يؤدى الانتخاب الطبيعى إلى بقاء الأنواع الصالحة وزوال الأنواع الضعيفة التى لم تتمكن من النجاح فى معترك الحياة . فكان فعل الطبيعة شبيه بفعل مربى الحيوان الذى ينتخب أكمل السوائم وأقواها للإنسان . والفرق بين فعل الطبيعة وفعل مربى الحيوان ، أن الفعل الأول آلى ضرورى ، على حين

(١) جبرائيل فرح : الله ص ١٦١ ــ ١٦٤ .

(٢) جميل صليبا : المعجم الفلسفى ــ المجلد الأول ص ٥٥٦ .

أن الثانى قصدى وارادى[٣] .

ولكننا نقول :

أليس من المشاهد فى بعض الأحيان أن حيوانات جد ضعيفة بقيت فى الوجود ، فى حين ان الشديدة القوة والضخامة قد اندثرت وبادت ؟ والواقع أن الأنواع مستقرة وثابتة وهى تشكل ماهيات مختلفة تنفر كليا من الاختلاط فيما بينهما . واستمرار الأشكال العضوية عبر حقبة طويلة يؤيده التاريخ . أما نلحظ أن الأنواع التى وضعها أرسطو لم تتغير منذ أكثر من عشرين قرنا ، وأن الكثير من الأنواع الحالية هى بنوع مطلق شبيهة بالتى تجدها فى الطبقات الجيولوجية[٤] .

ونشير هنا إلى بعض أقوال العلماء ، مما يورده الأسقف إيسيذوروس ضد النظرية الداروينية :

+ لو أمكن للأنواع ان تتبدل ، لعم التشويش كل نوع الموجودات ، وقدر الفيل أن يلد حصانا ، والقرد غزالا ، وبالعكس .

+ دعوى الارتقاء لم تثبت ببرهان .

+ الإرتقاء بالانتخاب الطبيعى لا يصدق على الإنسان ، ولابد من القول بخلقه رأسا .

+ الفرق بين الإنسان والقرود أصلى وبعيد جدا .

+ إنه بموجب ما لدينا من بينات ، لم يتبرهن قط ، أن نوعا من النبات أو الحيوان نشأ بالانتخاب الطبيعى أو الانتخاب الصناعى .

+ ان مذهب التحول الذى افترضه دارون لم يثبت بدليل .

+ ان مذهب دارون هو ضلال فظيع . من كل ما راقبه الإنسان ، مدى قرون طويلة ، لم يوجد ولا تحول واحد من نوع لآخر فى تكونات طبقات الأرض الجيولوجية المتتابعة . نعم اكتشفوا أنواعا جديدة من الحيوان ، لكنهم لم يكتشفوا حادثا واحدا يدل على تحول نوع إلى آخر . (٤٢٧ ـــ ٤٢٨) .

(٣) نفس المرجع ص ١٤٨ .
(٤) جبرائيل فرح ص ١٦٥ ، ١٦٦ .

الله الخالق :

يقول الأستاذ تكلا رزق فى كتابه « روحانية العلم » .

قد يزعم البعض ، أن الاعتقاد بالتطور ، فى أى شكل من أشكاله ، يمنع من الاعتقاد بالله ، وهذا منتهى السخف ، فإن نظرية التطور لا تدلنا ، على نشأة الكائنات ، ولا تدعى أنها تعرفها ، ومن حقنا أن نلتمس إيضاحا لهذه النقطة . ليس غير الوحى ، ليس غير الدين ، يعطينا مفتاح المعرفة ، ويضىء لنا ما أظلم علينا ! نشأة الكائنات هى من عمل الخالق[١] .

ويقول أيضا :

يظن الكثيرون ، أن معرفة الله لم تظهر إلا فى « الكتاب المقدس » ... ولكن هذا خطأ مبين ، لأن الكتاب المقدس ، لم يظهر قبل موسى ، أما معرفة الله ، فأقدم بكثير ، بل ومنذ بدء الدهور . وهناك سفر جليل خطته يد الخالق القدير ، سفر مبسوط الصفحات ، متجسم العبارات ، نستطيع القراءة فيه كلما حظينا بحظ أوفر من نور البصيرة والعلم . ذلك هو سفر الطبيعة ، المسطور على صفحاته أعمال الخالق ، تنبئك بوجوده وحكمته وقوته وأزليته[٢] .

وقال عن الروح الإنسانية :

إن الحياة ليست مجرد ظاهرة كيميائية أو فيزيائية أو آلية (ميكانيكية) ، لكنها حياة قائمة ، على وجود عنصر الحياة ، فى الكائنات الحية ، ذلك العنصر غير المادى ، وغير المحسوس . فليس للعالم الطبيعى أن يجرب وسائله فيه ، وإنما يستطيع العقل ، ان يتأثر بهذا العنصر ، ويتعقبه فى الكائنات الحية ، ويرى أثره فيما حوله من كائنات . عنصر الحياة هذا هو الذى ندعوه روحا ، وهى التى إن وجدت فى الجسم اعطته الحياة . ولكل كائن حى روح متميزة كجنسه . وللفلسفة أن تتغلغل فى هذا البحث كما تشاء . ومن الوجهة الدينية ، فهى نسمة حياة ، نفثها الخالق فى أنف الإنسان ، بعد أن جبله من تراب الأرض . وتتميز هذه الروح بكونها خالدة وعاقلة كما تتميز بسموها[٣] .

---

(١) تكلا رزق : روحانية العلم (أو فلسفة العلم والدين) ص ٢٨٣ .

(٢) المرجع السابق ص ٢٩٦ .

(٣) نفس المرجع ص ٢٩٢ .

٣ ـ الانسان على صورة الله وشبهه

عندما تحدث الكتاب المقدس عن خلقة الإنسان ، قال :

« وقال الله ، نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا » .

ولشرح هذه العبارة نقول :

كلمة « نعمل » لا تدل على أن العمل قد اشترك فيه اكثر من إله ، لأنه يتكلم بعد ذلك مباشرة عن « الصورة » وليس عن الصور . ويدل هذا التعبير على ما للإنسان من كرامة فى نظر الله ، ويشير إلى الاهتمام الخاص الذى وجهه الله للإنسان باعتباره سيد الخليقة. وبحسب آراء آباء الكنيسة ، يمكن أن تفسر هذه الآية فى ضوء العهد الجديد ، فتشير كلمة « نعمل » إلى الثالوث القدوس أو الأقانيم الثلاثة ، بينما تشير كلمة « صورة » التى هى فى حالة المفرد ، إلى الجوهر الواحد لهذه الأقانيم . وبالطبع فإن كلمة « إنسان هنا ، تشير إلى الذكر والانثى .

ولكن بماذا يشار « بالصورة » وبماذا يشار « بالشبه » لقد تحدث الآباء بإسهاب وتفصيل عن هذا الموضوع . وبالنسبة للحديث عن الصورة ، انظر :

1- Orig. Kels. 6, 63, B, 10, 108.
2- M. Basil. Anthr. Katask. 1, 4 M. 30, 16.
3- Greg. Nys. Anthr. Katas. log. 1, M. 44, 261.
4- Clem. Alex. Strom. 2-19, B. 7, 345.
5- Chrys. Genes. 8, 3, M. 53, 72.
6- Athynag. anast. 12, B. 4, 320.
7- M. Athanas. enanthr. log. 3, M. 25, 101.

وبالنسبة للشبه ، انظر :

1- Greg. Nys. Anthr. Katas. 20, M. 44, 272.
2- M. Basil. Anthr. Katas. log. 1, 20, M. 30, 29.
3- Clem. Alex. Strom. 3, 4 B. 8, 25, 26.
4- M. Athanas. Apol. log. 2, 6, M. 26, 1141.

فى العددين ١:٢٧ ، ١:٥ ، أشير فقط إلى « الصورة » ، ولم يشر إلى « الشبه » . وبلا شك فإن « الصورة » لا تشير إلى جسم الإنسان ، كما ظن البعض ، لأنه كما قال النبى زكريا ، أن سبعة هى أعين الرب التى تجول فى الأرض كلها (زك ٤:١٠) ، فإذا كان لله ، كما تشير هذه الآية ، سبعة أعين ، ونحن لنا عينان فقط ، فمما لا شك فيه ، اننا لم نخلق حسب صورته « جسديا » . ويقول النبى داود « ***وتحت أجنحته نحتمى*** » (مز ٩١:٤) ، أما نحن — فيما يشير أوريجينوس — فليس لنا أجنحة . وهكذا يرى الآباء ان الصورة تشير إلى النفس وليس إلى الجسد .

وهناك تفسيران للنفس « كصورة » لله فى الإنسان :

الرأى الأول : يشير « بالصورة » إلى ما زود به الإنسان من عقل وحرية وسيادة .

الرأى الثانى : وهو يفصل بين « الصورة » و« الشبه » ، ويرى أن الصورة تشير إلى إمكانية التشبه بالله ، بينما يشير « الشبه » إلى التمثل بالله ، بممارسة الحياة الفاضلة . ومعنى ذلك ، ان الصورة تشير إلى ما يوجد عليه الإنسان بالطبيعة من القدرة والإمكانيات ، بينما ان الشبه « يشير إلى ما يحققه الإنسان باختياره بموجب ما لديه من إمكانيات وقدرات ، أى يشير إلى ما ينجح الإنسان فى تحقيقه وبلوغه فيما بعد . ويبدأ « الشبه » فى التحقق من الآن ، أو من الوقت الحاضر ، ولكنه يتكامل فى الحياة الأخرى ، كما يقول الرسول يوحنا فى رسالته الأولى « ***أيها الأحباء : الآن نحن أولاد الله ولم يظهر بعد ماذا سنكون ، ولكن نعلم أنه إذا أظهر ، نكون مثله ، لأننا سنراه كما هو*** » (١يو ٣:٢) . ويتضمن هذا الرأى ، ان الإنسان خلق فى حالة كمال[1] بمعنى أنه يمكن أن يصل إلى درجات أكمل . وقبل السقوط ، كان فى إمكان آدم وحواء ، أن يحققا — بدون تعب — نمو قدراتهما الطبيعية والنفسية .

وعلى كل يجب أن نشير هنا ، إلى ان الهدف الأساسى من وراء استعمال كلمة « الصورة » هو الإشارة بها إلى تحديد وضع الإنسان بالنسبة لله الخالق ، فكما ان الصورة تستمد وجودها من الأصل الذى منه أخذت ، هكذا فإن الوجود الإنسانى لا يحقق معناه ، إلا فى ارتباطه بالله . وكما أن الحكم على الصورة يستند إلى مدى قدرتها على نقل ملامح الأصل الذى تعبر عنه ، هكذا فإن الحكم على الإنسان يستند أصلا على مدى قدرته على نقل سمات الله فى حياته ووجوده . وعلى ذلك ، فإن الإنسان يعبر عن وجوده « كصورة لله » إذا سلك فى البر والقداسة . ولذلك لا يكفى أن يقال : إن الصورة تتمثل عند

الإنسان فى عقله مثلا ، لأن المهم ليس فقط ما يحوز عليه الإنسان من عقل ، وإنما المهم أيضا ، هو أن يستخدم الإنسان عقله استخداما سليما ، يجعله أهلا لأن يعكس صورة الله فيه[1] .

ونواصل شرح العبارات الأخرى التى قيلت عن الإنسان فى قصة الخلق .

ذكرا وانثى خلقهم : قصد بهذه العبارة أن يوضح ان المرأة أيضا خلقت كالرجل على صورة الله . أما كيف نوفق بين هذا ، وبين ما يقوله الرسول بولس من ان الرجل « ***صورة الله ومجده ، وأما المرأة فهى مجد الرجل*** » (١كو ١١:٧) ، فإن حديث الرسول بولس يشير إلى وضع المرأة بعد السقوط ، بينما يشير سفر التكوين إلى وضع المرأة قبل السقوط . لقد كان عقاب المرأة بعدما سقطت « ***إلى رجلك يكون اشتياقك وهو يسود عليك*** » (تك ٣:١٦) .

« ***وباركهم الله وقال لهم اثمروا واكثروا واملأوا الأرض واخضعوها وتسلطوا على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى كل حيوان يدب على الأرض*** » :

ثم يشار بعد ذلك إلى تخصيص النبات كطعام للإنسان ، وذلك فى قوله « ***وقال الله إنى قد أعطيتكم كل بقل يُبزر بزرا على وجه كل الأرض ، وكل شجر فيه ثمر شجر ، يبزر بزرا ، لكم يكون طعاما*** » (تك ١:٢٩) .

فأكملت السماوات والأرض وكل جندها :

يشير بكلمة « جندها » إلى كل ما يتصل بالسماء والأرض أى إلى عالم السماء والأرض . وفى العدد التالى يشير إلى استراحة الرب « فاستراح فى اليوم السابع » . **وهذا يعنى أن الله قد فرغ فى اليوم السابع من جميع عمله الذى عمل ، وأنه قد أتم كل شىء ، وأنه لم يعد هناك من إضافة لشىء جديد ، لأنه لم يبق لأن يضاف لما قد تم شىء ما** . ثم يشار إلى أن الله بارك اليوم السابع وقدسه . وهذا يعنى أن اليوم السابع قد وضع لكى يقدسه الناس ، فيكفون عن أعمالهم الدنيوية ، لكى ينشغلوا مع الله ،

(١) بالنسبة لكتابات الآباء عن مدلول العبارات التى وردت فى قصة الخلق ، انظر :

1- Chry. Gen. hom. 13, 2. M. 53, 107.
2- M. Basil. Anthr. Katask. log. 2, 12, M. 30, 56.
3- Greg. Nys. Anthr. Katask. log. 2, M. 45, 293.

أو ينشغلوا فى الأمور الروحية . وكلمة « بارك » تعنى أن الله أعطى هذا اليوم معنى دينيا ، فيمتلىء بالنعم الروحية .

وثمة موضوع هام ، يتصل بالحديث عن خلقة الإنسان ، وهو الحديث عن **خلقة النفس البشرية الفردية** ، فهناك نظريات أربع فى تفسير أصل النفس البشرية لكل فرد من أفراد البشر ، وكيفية اتحادها بجسدها :

النظرية الأولى : تقول بوجود النفس البشرية وجودا سابقا ، وهو ما قال به فيما سبق أفلاطون وفيلون ، وقد أخذ اوريجينوس بهذه النظرية(١) ، وكذلك قبلها بعض أتباعه . وبحسب هذه النظرية ، فإن النفوس البشرية قد خلقت سابقا ، وبسبب ما أقترفت من شر ، عوقبت بهبوطها سجينة فى أجسادها .

ولقد أدينت هذه النظرية من الكنيسة من الكثير من الآباء(٢) .

النظرية الثانية : وهى نظرية انبثاق النفوس . وبحسب هذه النظرية ، فإن النفوس البشرية صدرت عن الله أو اشتقت من الله ، كجزء من جوهر الله وطبيعته . وقد قال بها فيما سبق الغنوسيون والمانويون وأصحاب الأفلاطونية الحديثة والقائلون بمذهب وحدة الوجود . ويكفى أن نقول لرفض هذه النظرية ، أنها تضاد بساطة الله أو طبيعة الله البسيطة ، التى لا تقبل التجزئة أو الانقسام .

النظرية الثالثة : وتقول أن الله يخلق لكل إنسان نفسه أو روحه ، عند الحبل به . ولقد تبناها الكثير من المفكرين الكاثوليك ، لأنها تلائم عقيدة الحبل بالعذراء بلا دنس . ومن الآيات التى تستند إليها هذه النظرية قول الكتاب « ***يرجع التراب إلى الأرض كما كان ، وترجع الروح إلى الله الذى اعطاها*** » (جا ١٢ : ٧) « ***يقول الرب باسط السماوات ومؤسس الأرض ، وجابل روح الإنسان فى داخله*** » (زك ١٢ : ١) .

---

(١) انظر :

Cyril. Alex. epist. 81, M. 77, 373.

(٢) انظر :

1- Greg. Nys. Anthr. Katask. 28, M. 44, 229-232.
2- August. Epist. 217, 5, 16, leontos A Epist. XV. 10, m. 54, 684-685.

ولكن يرد على هذه النظرية ، بأنه كما قيل ان الله جبل الروح ، فقد قيل أيضا ان الله خلق الجسد ، كما جاء فى المزامير « ***لأنك أنت أقتنيت كليتى ، نسجتنى فى بطن أمى*** » (مز ١٣:١٣٩) وجاء فى إرميا « ***قبلما صورتك فى البطن عرفتك*** » (أر ٥:١) .

ثم أن هذه النظرية تعجز عن أن تفسر انتقال الخطيئة من آدم إلى نسله ، لأنه كيف يمكن لله وهو يخلق النفس البشرية أن يحمل معه فى الخلقة الخطيئة الأصلية ؟

ويشرح بعض أصحاب هذه النظرية رأيهم على النحو التالى :

لقد قيل أن الله قد فرغ فى اليوم السابع من جميع أعماله الذى عمله ، وأنه قد أتم كل شىء ، وأنه لم يعد هناك من اضافة لشىء جديد ، لأنه لم يبق لأن يضاف لما قد تم شىء ما . على أن ذلك لا يتعارض مع القول بأن الله يخلق نفوس البشر ، وان لكل إنسان شخصيته الخاصة المنفصلة عن شخصيات الآخرين من البشر ، ذلك لأن النفس البشرية التى يخلقها الله هى شبيهة بنفس آدم كرأس للجنس البشرى ، وفى هذا التشابه يفسر انتقال الخطيئة الأصلية . وعلى ذلك بعد الفراغ من الخلقة فى اليوم السابع ، لا يوجد أى شىء جديد لا تكون له صلة بالخلقة فى الأيام الستة الأولى ، سواء صلة تشابه ، أو صلة مادية أو صلة بداية[1] .

النظرية الرابعة : وهى التى تقول بأن الروح والجسد ، كلاهما يتناسلان تناسلا طبيعيا ، أى أن نفوس الأبناء تتوالد عن نفوس الآباء ، وهذا يصعد بنا إلى آدم وحواء ، كأصل واحد للجنس البشرى ، وهذا يفسر الخطيئة الأصلية وانتقالها من أبوينا الأولين إلى نسلهما ، وبذلك يكون الجنس البشرى قد خلق فى آدم خلقا مباشراً من جهة الروح والجسد معا .

وتستند هذه النظرية إلى آيات كتابية تؤيدها ، ومن ذلك مثلا قول الكتاب المقدس « ***إن لاوى أيضا ، الآخذ الأعشار ، قد عشر بإبراهيم ، لأنه كان بعد فى صلب أبيه حين استقبله . ملكى صادق*** » (عب ٩:٧) . « ***وأما الذين هم من بنى لاوى ، الذين يأخذون الكهنوت ، فلهم وصية أن يعشروا الشعب ، بمقتضى الناموس أى أخوتهم ، مع أنهم قد خرجوا من صلب إبراهيم*** » (عب ٥:٧) .

(١) انظر شروح الأرشمندريت يوئيل ياناكوبولس (باليونانية) عن سفر التكوين — الاصحاح الثانى .

٤ ـ الانسان فى الجنة
ادم وحواء قبل السقوط

يشار فى الأصحاح الثانى من سفر التكوين ، إلى خلقة آدم ، مع التمييز بين الكيفية التى خلق بها الجسد ، والكيفية التى خلقت بها الروح أو النفس البشرية « *وجبل الرب الإله آدم ترابا من الأرض ، ونفخ فى أنفه نسمة حياة ، فصار آدم نفسا حية* » (تك ٢:٧) .

إن كلمة « نفخ » تدل على أن النفس لم تخلق مثل الجسد من التراب ، ولكنها خلقت من لا شيء ، بواسطة قدرة الله المطلقة . أما عبارة « نفسا حية » ، فإنها تعنى نفسا عاملة فاعلة ، فأعضاء الجسد تعمل بما للنفس من قوى وطاقات للعمل والفعل .

ولقد تم نظام الخلقة بحيث ، خلق الجسد أولا ثم النفس ، كما خلق العالم المادى أولاً ثم خلق الإنسان . ولقد خلق العالم وكذلك خلقت الكائنات غير العاقلة أولاً ، لتكون فى خدمة الإنسان ، فالجسد وضع فى خدمة النفس . ويتبين لنا أيضا من قصة الخلق ، أن آدم خلق ناضجا أو فى عمر النضوج والكمال .

وبالمقارنة بين خلقة العالم والكائنات غير العاقلة ، وبين خلقة الإنسان ، يتبين المركز الخاص الذى اتخذه الإنسان وامتاز به عن غيره من المخلوقات . فبالنسبة لخلقة الحيوانات قيل « *وقال الله لتخرج الأرض ذوات أنفس حية كجنسها ، بهائم ودبابات ووحوش كأجناسها* » (تك ١:٢٤) .

وأما بالنسبة للإنسان ، فعلى الرغم من أن الجسد أخذ من تراب الأرض إلا أن ذلك تم بطريقة مميزة ، إذ أن الله ، بيده ، أخذ من تراب الأرض ، أى ان الإنسان خلق بين يدى الله . ثم ان الله خلق نفس الإنسان بنسمة منه ، وهكذا فإن الإنسان جمع فى شخصه بين العالم المادى والعالم الروحى ، ولذلك فهو فى قمة المخلوقات وعلى رأسها فى الكرامة . إن نفخة الله وهبت للإنسان نفسا روحية خالدة ، أى وهبته طبيعة روحية . وإذا سميت هذه النفخة الإلهية بنسمة حياة ، فذلك لأن هذه النفخة هى مصدر حياة الجسد ، وبالطبع ، فإن نفخة الله فى الإنسان ، لا تدل على أن النفس البشرية صدور أو انبثاق

أو انبعاث أو اشتقاق من الله ، فليست النفس البشرية جزءا من الطبيعة الإلهية . ولكن هذه النفخة تدل على أن النفس لم تخلق مثل الجسد من التراب ، ولكنها خلقت مباشرة من الله ، من لا شيء ، وارتبطت بالجسد . وبواسطة النفس صار الإنسان شبيها بالله ، ليس بمعنى أن له نفس الكمال الإلهى ، بل بمعنى أن الإنسان بواسطة نفسه الروحية المزودة بالنعمة الإلهية التى بدونها لا يمكن أن يبلغ كماله ، له القدرة بعقله أن يعرف الله ، وبواسطة قلبه وإرادته له قدرة على أن يحب الله ، وبواسطة نفسه الخالدة ، له إمكانية أن يشارك الله فى الحياة الأبدية ، وفى سعادتها وغبطتها . إن الرب يسوع المسيح هو وحده الكامل لأنه هو وحده **« بهاء مجده ورسم جوهره »** (عب ١:٣) .

الجنة والوصية (تك ٢:٨–١٧) :

غرس الرب الإله جنة فى عدن شرقا ، وكان نهر يخرج من عدن ليسقى الجنة ، وكان يتفرع إلى أربعة **أنهار** أخرى .

النهر الأول : واسمه فيشون وهو المحيط . بجميع أرض الحويلة (أى الرملية) حيث الذهب الجيد والمقل (وهو حجر كريم)[1] وحجر الجزع (وهو حجر كريم أسود اللون وابيضه) . ويشار إلى أرض الحويلة هذه فى الأصحاح الخامس والعشرين من نفس السفر ، وفى ١صم ١٥:٧ ، كأرض عربية . وليس هناك معرفة مؤكدة بالنسبة لموضع هذه الأرض التى يقسمها هذا النهر ، وقد جاء فى قاموس الكتاب[2] عن هذه الأرض ما يلى :

مقاطعة فى بلاد العرب يسكن بعضها الكوشيون ويسكن البعض الآخر اليقطانيون وهم شعب سامى (تك ١٠:٧،٩ ، ١أى ١:٩،٢٣) . والصلة بين حويلة وحضرموت وأماكن أخرى ، تشير إلى موقع فى وسط البلاد العربية أو جنوبها . ويفضل البعض أن يحققها بمنطقة حولان ، فى القسم الغربى من بلاد العرب شمالى اليمن ، ولا يعرف إلى أى حد كانت تمتد الحويلة شمالا . ومن قصة محاربة شاول مع العمالقة ، قد نستنتج أن قسما من الصحراء العربية ، يمتد عدة مئات الأميال شمال اليمامة ، ويحمل اسم الحويلة (١صم ١٥:٧ ، قارن تك ٢٥:١٨) .

---

(١) انظر : معجم الألفاظ العسرة فى الكتاب المقدس ، لواضعه موريس جدعون ، حنا حلو ، غسان خلف . بيروت ١٩٧٧ .

(٢) للدكتور بطرس عبد الملك وآخرين .

وأما **النهر الثانى** : فاسمه جيحون ، وهو المحيط بجميع أرض كوش أو الحبشة . على أنه يؤخذ من تك ١٠:٨ــ١٠ أنها تشير إلى أرض آسيوية شمال بابل .

واسم **النهر الثالث** : حداقيل ، ويجرى شرق آشور . وجاء فى قاموس الكتاب عن هذا النهر ما يلى :

وهو نهر دجلة (تك ٢:١٤ ، دا ٤:١٠) وينابيعه الرئيسية فى وسط أرمينيا حيث تنبع من المنحدر الجنوبى للجبال المقابلة لجبال طورس والنبع الغربى يجرى بجوار ديار بكر ، متعرجا لمسافة تزيد على ١٥٠ ميلا . والنبعان الشرقيان المعروفان بـ « بيتسليس تشاى » و« بهتان تشاى » ينبعان جنوب بحيرة قان ، وطولهما نحو ١٠٠ ميل . وبعد ملتقى هذه الجداول يتجه النهر إلى الشرق للجنوب الشرقى تقريبا ، خلال جبال كردستان ، وتصب فيه أنهر متعددة ، وأخيرا يلتقى بالفرات . وقديما كان يصب فى الخليج الفارسى . ويمر فى جريانه بخرائب نينوى ، التى تقوم على الضفة اليسرى أو الشرقية ــ تقريبا مقابل الموصل على ضفته اليمنى . ثم بعد ذلك يقسم النهر بغداد إلى قسمين ، ومن بعد ذلك أيضا يمر بالخرائب التالية :

أولاً : خرائب استاسيغون أو المدائن ، عاصمة البرثيين ، ثم خرائب سلوقية عاصمة الدولة اليونانية . وطول مجرى الدجلة إلى ملتقاه مع الفرات عند شط العرب هو ١١٤٦ ميلا ، أى أكثر قليلا من نصف طول النهر الشقيق ، أما النهر المتحد فطوله ١٢٠ ميلا .

واسم **النهر الرابع** : الفرات .

وبذلك يكون لنا تأكيد من جهة نهرين فقط ، هما : الفرات وحداقل (دجلة) ، أما بالنسبة لنهرى جيحون وفيشون ، فمعلوماتنا عنهما مجرد افتراض .

وعلى ذلك ، فإنه بالنسبة لتحديد موقع الجنة ، يمكن القول أنها كانت فى الأراضى التى يمر بها نهرا حداقل والفرات ، مع الأخذ فى الاعتبار صعوبة تحديد الأراضى التى يمر منهما النهران الآخران . وهناك من يذهب إلى القول بأن هذين النهرين الآخرين (جيحون وفيشون) ينبعان من نفس منبع نهر الفرات وحداقل . وعلى ذلك تكون الجنة فى أرض أرمينيا ، وهى المكان الذى استقر عليه فلك نوح بعد الطوفان .

وجاء فى كتاب « المطالب النظرية للأسقف ايسيذوروس » عن الفردوس ، ما يلى :

إن السير هنرى رولنش رجح من وقوفه على آثار بابلية ، أن موقع الفردوس . كان بابل أو ضواحيها ، وان عدن هى نفس البلد التى تدعى « كاندونياس » وهى لفظة مركبة من كلمتين ، من « كان » التى تقرب من اسم الجنة فى لغة أشور « جنتو » ، ومن « دونياس » اسم إله عندهم ، أى جنة عدن فى لغة الكتاب . وفى كتاب تغلت فلاصر المعاصر لآحاز ملك يهوذا سنة ٧٥٤ قبل المسيح ، ذكر أن أرض كاندونياس كانت تسقيها أربعة أنهر . وقد وجدت فى مكتبة أشور تانيبال فى نينوى ، تسابيح قديمة لحديقة مغروسة فى أريد ، المدعوة أبو شارين الآن . وسلم العلماء بما حواه تقرير ديلتشك أستاذ اللغة الأشورية فى كلية ليسك تحت عنوان « اين موقع الفردوس » نشره سنة ١٨٨١ ، اثبت فيه ان البقعة التى فيها عدن كانت ذلك القسم الشمالى من مدينة بابل الكائن بين دجلة والفرات يسقيها الأخير لأنه يحيط بها إحاطة السور بالمعصم ، ثم يتفرع منها فى بحار ويصب فى الدجلة . ويرجح أن أحد هذه الفروع وهو الترعة المعروفة « بالاكويناس » كانت فيشون التى تسقى أور مسقط رأس أبينا إبراهيم وتصب فى الخليج العجمى ، وجيحون وهو الذى يسميه العرب شط النيل فرع آخر للفرات يبتدىء من بابل ويحيط بأرض كوش التى هى أرض الدولة العيلامية ، وكانت تتاخم بابل وتدعى كاشى (ص ٤٧٧ وما بعدها) .

وأما بالنسبة للآباء ، فإنهم يرون ان الفردوس الأرضى هو صورة للكنيسة المجاهدة والمنتصرة . فى الكنيسة المجاهدة ، شجرة المعرفة هى الصليب . ثم ان عصيان آدم الأول قد شفى بطاعة آدم الثانى « ***وإذ وجد فى الهيئة كإنسان ، وضع نفسه وأطاع حتى الموت ، موت الصليب*** » (فى ٢ :٨) « ***لأنه كما بمعصية الإنسان الواحد جعل الكثيرون خطاة ، هكذا أيضا بإطاعة الواحد سيجعل الكثيرون أبرارا*** » (رو ٥ :١٩) . وقد انفتح لنا الطريق إلى الفردوس بواسطة شجرة الحياة . وشجرة الحياة هذه هى سر الافخارستيا ، فإن جسد المسيح ودمه هما غذاء النفس لتحقيق الحياة الأبدية . أما بالنسبة للكنيسة المنتصرة فى السماء ، فإن الأنهار التى تسقى الجنة تشير إلى الغبطة الأبدية ، وشجرة الحياة هى الحمل . أما شجرة معرفة الخير والشر فإنها لن توجد ، حيث تنتهى فترة الاختبار أو التجربة . وفى السماء يرى القديسون الله كما هو . وكذلك فإن الفردوس يشير إلى النفس التى يكون فيها المسيح هو شجرة الحياة ، وهو يحيى نفوسنا . وأما شجرة المعرفة فهى حرية الإرادة .

ومن الملاحظ أن كلمة « جنة » هى كلمة فارسية وتعنى « حديقة » حيث توجد فيها أشجار مزروعة . أما كلمة « عدن » فهى كما يقول اوريجينوس ، تشير إلى المكان الذى غرس الله فيه الجنة ، ولكن كما يقول البعض الآخر ، فإنها تستعمل استعمالا مجازيا وتعنى « البهجة » كما لو أنه يقول « ***وغرس الرب الإله جنة فى بهجة*** » (فى مكان بهيج) .

وجاء فى سفر التكوين فى الأصحاح الثانى :

« ***وأنبت الرب الإله من الأرض كل شجرة شهية للنظر وجيدة للأكل . وشجرة الحياة فى وسط الجنة ، وشجرة معرفة الخير والشر*** » (تك ٢:٩) .

فى الأصحاح الأول من سفر التكوين ، أشير إلى خلقة النبات قبل الإنسان ، أما هنا فيشار إلى خلقة الإنسان قبل الإشارة إلى خلقة النبات ، وذلك ليشير إلى كرامة الإنسان . وعلى ذلك فإن تسلسل الخلقة فى الأصحاح الأول هو تسلسل زمنى ، بينما فى الأصحاح الثانى هو تسلسل بالنسبة إلى كرامة المخلوقات .

وكلمة « أنبت » تعنى أنه ، بالإضافة إلى الأشجار التى خلقها الله فى اليوم الثالث ، كما يشير إلى ذلك الأصحاح الأول ، فإن الله قد خلق شجرة معرفة الخير والشر وكذلك شجرة الحياة . وأما شجرة معرفة الخير والشر فقد سميت بذلك من أجل الاحساس بالخطية . ولقد وضع الله شجرة الحياة فى الجنة بالقرب من الإنسان لكى يجعل حياة الإنسان مفعمة بالغبطة والبهجة . بلا شك ، لقد كان لآدم وحواء معرفة بالخير والشر . فهل يمكن أن نتصور أن الله الذى خلق الإنسان على صورته ، تكون هذه الصورة بدون معرفة وقدرة على التمييز بين الخير والشر ؟ والخير يكون فى المحافظة والالتزام بوصية الله . والشر يكون فى مخالفة هذه الوصية . قبل أن يأكلا من شجرة معرفة الخير والشر ، كان لآدم وحواء معرفة نظرية بالخير والشر ، وأما بعد الأكل من هذه الشجرة ، فقد أخذا خبرة بهذه المعرفة . فما هو الخير إذن ؟ إنه طاعة الله . وما الشر إذن ؟ إنه مخالفة الله .

كانت هناك أنواع ثلاثة من الشجر فى الجنة . شجر أعطى من أجل العيش . وشجرة معرفة الخير والشر ، اعطيت من أجل العيش معيشة أفضل ، وشجرة الحياة أعطيت للإنسان للحصول على الحياة الأبدية .

إن الله لم يكن يشأ للإنسان أن يأكل من شجرة معرفة الخير والشر ، حتى لا يختبر الشر . ولم يكن الله يمانع فى معرفة الخير ، ولكنه أراد أن لا يكون هذا مرتبطا بمعرفة الشر .

على أننا لا نعرف ، ماذا كانت نوعية شجرة معرفة الخير والشر . وهناك من يقول أنها كانت شجرة تين ، لأنه قد قيل عن آدم وحواء بعد السقوط أنهما « *خاطا أوراق تين وصنعا لأنفسهما مآزر* » (تك ٣:٧) . وهناك من يقول أنها كانت شجرة تفاح ، بناء على ما ورد فى نشيد الأناشيد (٨:٥) . وهذه كلها افتراضات غير يقينية .

وقيل أيضا أن الرب الإله أخذ آدم « *ووضعه فى جنة عدن ليعملها ويحفظها* » (تك ٢:١٥) . ويبدو من هذه الآية ، ان العمل قد وجد قبل السقوط . على أن ذلك كان يتم بدون كد أو مشقة . وأما كلمة « حفظها » فإنها تعنى أنه كان أمام آدم خطر فقدان الجنة . ولكن لعلنا نتساءل : ممن يحفظ آدم الجنة ؟ لم يكن هناك لص ليسرقها أو أحد ليتآمر عليها ، وإنما المقصود هنا أن يحفظها لنفسه ، فلا يخالف الوصية فيتعرض لفقدها .

واوصى الرب الإله آدم وقال له :

« *من جميع شجر الجنة تأكل أكلا ، وأما شجرة معرفة الخير والشر ، فلا تأكل منها ، لأنك يوم تأكل منها موتا تموت* » (تك ١٦:١٧) .

وهذا تكليف آخر يضاف إلى التكليف الأول الذى كان على آدم أن يأخذ نفسه به ، وهو العمل والمحافظة على الجنة . إن الله يوصى آدم هنا أن لا يأكل من شجرة معرفة الخير والشر ، وهذا لكى يتيح لآدم أن ينمى قواه وإمكاناته الأخلاقية والروحية ، فيحصل على بركات أكثر ونعم أفضل . وفى حالة المخالفة كان الوعيد بالموت . على أن موت آدم لم يتم مباشرة بعد السقوط ، ولكن بدأ الموت يعمل مع بداية السقوط ، وهكذا صار الإنسان كائنا مائتا ، عندما أخطأ آدم وحواء وخالفا وصية الله ، ولم يكن الأمر كذلك قبل السقوط .

يقول العلامة السريانى ابن العبرى : إن تلك الشجرة كانت شيئا خاصا ، أعده الله لاختبار طاقة الإنسان الروحية وبره وطاعته . وربما تكون « الوصية » نفسها مثل هذه الشجرة . وبتجاوز الوصية فقد الإنسان الأول مجده وتعرى من طهره وبهائه[١] لقد كانت شجرة معرفة الخير والشر ، شجرة حقيقية ، وكانت واسطة لاختبار « محبة الإنسان لله » أو بالحرى أنها كانت « الوصية » بالذات ، وأما الشجرة فلم تكن إلا ذريعة لذلك[٢] .

---

(١) المطران اسحق ساكا : دراسات سريانية . دمشق ١٩٨٦ ــ ص ٦٠ .

(٢) نفس المرجع ــ ص ٦١ .

وكما اختلفت الآراء حول حقيقة شجرة معرفة الخير والشر ، هكذا اختلفت أيضا آراء اللاهوتيين حول حقيقة شجرة الحياة .

ومن اللاهوتيين ، من يرى أن شجرة معرفة الخير والشر ، وكذلك شجرة الحياة ، كانت لكل منهما قوة غير طبيعية ، فثمر شجرة الحياة له قوة على أن يبطل الموت الجسدى ، كما يتضح ذلك من القول « والآن لعله يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة أيضا ويأكل ويحيا إلى الأبد » ، وأما شجرة معرفة الخير والشر ، فهى لكى تحرك وتوقظ ضمير الإنسان ووعيه بالخير والشر وبالمحرم والمباح ، ولكى يجاهد فى طاعة وصية الله . قال الملفان (العلامة) مار يعقوب السروجى فى ميمره عن خروج آدم من الفردوس ، « قد يمكن أن يكون فى شجرة الحياة قوة تجعل الإنسان يحيا إلى الأبد ، ولذلك طرده الله ، لئلا يبطل حكمه الصادر على الإنسان .

ولابن العبرى تعقيبات على الآراء الخاصة بشجرة المعرفة ، وشجرة الحياة ، يقول فيها :

إن شجرة المعرفة لم تدع كذلك لأن فيها قوة طبيعية تمنح معرفة التمييز ما بين الخير والشر لمن يتناول منها . ان ذلك أمر مضاد للعقل . لأن مالا ينطق ولا يحس ولا يدرك ولا يعرف أيضا — والشجرة كائن لا ينطق ولا يدرك — ومالا ينطق ولا يدرك ، كيف يستطيع أن يعطى النطق والمعرفة والإدراك لغيره ؟! . هذا من ناحية ، ومن ناحية ثانية ، لو خلق آدم خاليا من المعرفة لما كان فى استطاعته أن يتقبلها من أى مصدر كان ، كما أن الحيوان لا يستطيع أن يتقبل المعرفة من البشر ، ولا البشر يستطيعون اعطاءه المعرفة . إن الشجرة دعيت كذلك ، لأن الأكل منها يوصل آدم إلى معرفة حقيقة فحواها : إن فى حفظ الوصية خيرا وفى كسرها شرا . وهذا ما حدث عقب كسر الوصية فورا . هذا وقد جرت العادة عند الكتاب أن يطلق تسميات على بعض الأشياء نظرا إلى نتائج مفاعيلها وما تتركه من أثر ، كما دعى « بئر الخصام » لا لأن البئر تخاصم ، بل لأن الرعاة تخاصموا عندها ، وكذلك قل عن بئر « القسم » و« حجر الشهادة » و« حجر المساعدة » .. الخ . وكما أنه من المستحيل تصور شجرة تملك قوة التمييز ما بين الخير والشر ، هكذا أيضا من المستحيل أن يتصور وجود شجرة فيها قوة طبيعية تمنح حياة خالدة لمن يأكل منها . فمن لا يستطيع أن يحافظ على نفسه كيف يستطيع أن يمنح الحياة لغيره ؟! ولكن هذا هو أسلوب من أساليب الكتاب المقدس ، الغاية من ذلك هو الحث على حياة القداسة ، ذلك أن النعمة الإلهية كانت عتيدة أن تمنح الحياة للإنسان فيما إذا امتنع عن الأكل من شجرة المعرفة .

وقد أيد هذه الحقيقة القديس سويريوس فى مقالة عن الصليب قال « ان الشجرة الثانية والتى ادعوها شجرة الحياة ، كانت الكرامة الروحية التى كان الإنسان مزمعا أن ينالها لو حافظ على الوصية وامتنع عن الأكل من شجرة لم يحن وقت الأكل منها بعد » . وقال مارفليكسينوس المنبجى فى شجرة المعرفة « أن آدم لم يمت لأنه أكل من شجرة المعرفة ، كما يأكل الإنسان سما ويموت ، وإلا فكيف لم يمت فور الأكل منها ؟! ولم يمت لأنه جاوز وصية الله فإن داود النبى جاوز ثلاث وصايا ولم يمت ، بل لأنه صدق قول إبليس عندما قال له أنك ستكون إلهاً » وهذا عينه هو « الكبرياء » التى أوقعت الشيطان فى الخطيئة . والشاهد على ذلك أن آدم لم يمت موتا حقيقيا عندما أكل من الشجرة مثلما يموت من يأكل سما قاتلا « وهكذا الإنسان لم يمت من الأكل من الشجرة » ولا من كسر وصية الله ، بل لأنه صدق قول إبليس وتكبر واراد أن يصير إلهاً . ويعلق ابن العبرى قائلاً أن موتا كهذا ليس موتا طبيعيا كالموت الذى يتم بانفصال النفس عن الجسد ، بل كان موتا معنويا بسقوط فى الخطيئة والذى هو الابتعاد عن الله ، وإن صار سببا لموت آدم (موتا طبيعيا) . وقال مارموسى بن كنيا فى شجرة الحياة « إن هذه الشجرة دعيت بشجرة الحياة لأنها وضعت لحث آدم على حفظ وصية الله ، ولم تدع كذلك لأنها كانت تحوى قوة منح حياة حقيقية لمتناوليها ، أو بتعبير آخر ، كان الله قد هدد آدم وقال إذا اكلت من شجرة المعرفة تموت ، وإذا امتنعت عن الأكل منها اسمح لك أن تأكل من شجرة الحياة ، فتحيا إلى الأبد . ذلك واضح من هذين الأمرين « الموت والحياة » وضعا ضدين لبعضهما ، فى الأولى موت رهيب وفى الثانية حياة بعيدة عن الفناء . ويستدرك ابن العبرى على قول مار موسى ، بقوله « إن ثمر شجرة المعرفة لم يكن موضوعا أن لا يأكل منه آدم إلى الأبد » ويؤيد ذلك القديس أغريغوريوس الثيئولوغوس بقوله « إن شجرة المعرفة كان يمكن أن يؤكل منها فى وقت معين ، والا فكيف كان يمكن للحكمة الإلهية أن تدعو شجرة الحياة بهذا الاسم ؟ وهى عديمة الحياة وليس باستطاعتها أن تكون سببا للحياة ، ومعنى ذلك كله ان الله عين وقتا للإنسان ، فيه يمتنع عن الأكل من شجرة المعرفة ، فإذا قاوم شهوته فى ذلك الوقت وامتنع ، يصبح مستحقا للحياة ، وهذه هى شجرة الحياة نفسها[1] .

(١) المطران اسحق ساكا : دراسات سريانية ص ٦٣ ــ ٦٥ .

حــواء
(تك ٢ : ١٨ـ ٢٥)

« ***وقال الرب الإله ، ليس جيدا أن يكون آدم وحده ، فنصنع له معينا نظيره*** » (تك ١٨:٢) .

يلاحظ هنا ، أنه عندما تكلم الله عن خلقة حواء ، قال نفس ما قاله عند خلقة آدم « نصنع » ، وذلك حتى يفهم آدم أن الله يسوى فى الرتبة بينه وبين الكائن الذى سوف يخلقه له (وهو المرأة) ، على نحو ما لاحظ القديس يوحنا ذهبى الفم .

وكلمة « نظيره » تعنى : معين مثله يناسبه ويوافقه .

قبل أن يخلق الله حواء لآدم ، دفع الحيوانات إلى آدم (تك ١٩:٢) حتى يرى آدم كيف ان الله خلق الحيوانات ذكرا وانثى . على أن آدم لم يجد بين الحيوانات كائنا نظيره يتخذه رفيقا له ويتكامل وجوده به . ولأجل تحقيق هذه الحاجة الباطنية القائمة فى صميم وجود آدم ، أو الوجود الإنسانى ، خلق الله حواء لآدم .

« ***وجبل الرب الإله من الأرض كل حيوانات البرية وكل طيور السماء ، واحضرها إلى آدم ليرى ماذا يدعوها . وكل ما دعا به آدم ذات نفس حية ، فهو اسمها*** » (تك ٢٠:٢) .

لا يدور الحديث هنا حول خلقة جديدة للحيوانات ، بل فقط حول قيادة الحيوانات المخلوقة وإحضارها إلى آدم لكى يعطى لها اسماءها ، ولكى يوقظ فى آدم الرغبة فى البحث عن نظير له ، أى عن انثى ، على نحو ما يوجد فى عالم الحيوانات . وقد مارس آدم هنا سيادته على الطبيعة .

« ***فدعا آدم بأسماء جميع البهائم وطيور السماء وجميع حيوانات البرية ، وأما لنفسه فلم يجد معينا نظيره*** » (تك ٢١:٢) .

اقتيدت الحيوانات على التوالى إلى آدم لكى يعطى لها اسماءها . وقد تتابعت أمامه حسب أنواعها : البهائم . طيور السماء . حيوانات البرية ، حسب ما هو مذكور فى الآية

السابقة . ولا يمكن القول أن الحيوانات احضرت لآدم الواحد بعد الآخر ، لأن هذا لا يتفق مع نص الآية السابقة ، فضلا عن أنه لا يتفق مع قصد الله بان يثير فى آدم الرغبة فى البحث عن كائن آخر نظير له ، كما أشرنا سابقا . ولم يشر هنا إلى إحضار الأسماك لأنها توجد فى البحر ولا توجد قريبة من آدم مثل باقى الحيوانات والطيور ، ان هذه المهمة التى اسندت إلى آدم ، تكشف عما كان يحظى به آدم ويتميز به عن غيره من الكائنات ، فلقد وهب العقل ومعرفة الطبيعة .

ويمكن أن تكون الحيوانات قد اتجهت نحو آدم ، بالغريزة أو بأسلوب معجزى . وعلى كل ليس فى الأمر صعوبة ، فإن الله يمكنه أن يقودها بوسيلة ما .

« ***فأوقع الرب الإله سباتا على آدم فنام ، فأخذ واحدة من أضلاعه وملأ مكانها لحما*** » (تك ٢ :٢١) .

فى الأصحاح الأول ، أشار موسى النبى إلى خلقة حواء إشارة عامة « ***ذكرا وأنثى خلقهم*** » (تك ١ :٢٧) . وأما فى هذا الأصحاح ، فإنه يشير إلى الأسلوب الذى تمت به خلقة حواء . وكان لابد أن يوقع الله سباتا على آدم لكى يأخذ واحدة من أضلاعه ، حتى لا يحس بالألم نتيجة لذلك . على أن السبات هو حالة من النوم ، احتفظ آدم خلالها بوعيه بنفسه وبوعيه بما يحدث حوله ، كما يبدو هذا من العدد ٢٣ من نفس الأصحاح (تك ٢ :٢٣) . وكما أن آدم وهو فى حالة نوم خارق للطبيعة ، صار مصدرا وأصلا للمرأة ، هكذا المسيح وهو مائت على الصليب صار مصدرا وأصلا للكنيسة عروسه التى يغذيها بالماء والدم الخارجان من جبينه (يو ١٩ :٣٣) .

« ***وبنى الرب الإله الضلع التى أخذها من آدم امرأة واحضرها إلى آدم*** » (تك ٢ :٢٢) . لقد أحضر الله حواء إلى آدم ، حتى يعرفه أنه خلقها من أجله . وبلا شك فإن عملية خلقة حواء تمت بطريقة تكشف عن مجد الله وقدرته الفائقة ، تماما كما تخرج من البذرة شجرة . كذلك فإن الخلقة بهذه الصورة ، تدل على الارتباط القوى بين الرجل والمرأة ، لأن المرأة من نفس أضلاع الرجل ، وهكذا يجب أن يكون لهما قلب واحد . إن خلقة المرأة من ضلع آدم تجعله دائما فى اشتياق إليها لأنها منه أخذت . وهكذا أيضا بالنسبة لحواء من جهة آدم ، أى يكون بين الاثنين انجذاب وميل طبيعى الواحد نحو الآخر . وكما لاحظ الآباء ، فإن حواء لم تؤخذ من جزء من الأمام ، لئلا يتوهم آدم أنها خلقت لتأخذ وضعه ، ولم تؤخذ من جزء من الخلف لئلا يقلل آدم فى تكريمه لحواء ،

ولكنها خلقت من جزء من الوسط ، حتى ينظر إليها نظرة متساوية ، أو كما يقول القديس أوغسطينوس : إن المرأة لم تؤخذ من الرأس ، ولا من القدم ، حتى لا تكون لها الرئاسة أو تكون فى وضع العبد . ويقول الرسول بولس فى تحديد العلاقة بين الرجل والمرأة :

« *أيها النساء اخضعن لرجالكن كما للرب ، لأن الرجل هو رأس المرأة ، كما أن المسيح أيضا رأس الكنيسة وهو مخلص الجسد ، ولكن كما تخضع الكنيسة للمسيح كذلك النساء لرجالهن فى كل شىء . أيها الرجال أحبوا نساءكم كما أحب المسيح أيضا الكنيسة وأسلم نفسه لأجلها . كذلك يجب على الرجال أن يحبوا نساءهم كأجسادهم . من يحب امرأته يحب نفسه ، فإنه لم يبغض أحد جسده قط ، بل يقوته ويربيه كما الرب أيضا للكنيسة . من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ، ويكون الاثنان جسدا واحدا . فليحب كل واحد امرأته هكذا كنفسه ، وأما المرأة فلتهب رجلها* » (أف ٥:٢٣ـــ٣٣) .

ويقول الرسول بولس أيضا فى رسالته الأولى إلى كورنثوس :

« *فإن الرجل لا ينبغى أن يغطى رأسه لكونه صورة الله ومجده ، وأما المرأة فهى مجد الرجل ، لأن الرجل ليس من المرأة ، بل المرأة من الرجل ، ولأن الرجل لم يخلق من أجل المرأة ، بل المرأة من أجل الرجل ، لهذا ينبغى للمرأة أن يكون لها سلطان على رأسها من أجل الملائكة . غير أن الرجل ليس من دون المرأة ولا المرأة من دون الرجل فى الرب ، لأنه كما أن المرأة هى من الرجل ، هكذا الرجل أيضا هو بالمرأة . ولكن جميع الأشياء هى من الله* » (١كو ١١:٧ـــ١٢) .

ولا يتكلم الرسول هنا كلاما مجازيا ، لأنه يقول فى العدد السادس من نفس الأصحاح (إذ المرأة إن كانت لا تتغطى فليقص شعرها ، وإن كان قبيحا بالمرأة أن تقص أو تحلق ، فلتتغط » (١كو ١١:٦) .

« *فقال آدم ، هذه الآن عظم من عظامى ولحم من لحمى . هذه تدعى امرأة لأنها من امرء أخذت* » (تك ٢:٢٣) .

حواء عظم من عظام الرجل ولحم من لحمه ، ولذلك فإن الاسم الذى أطلق عليها اشتق أيضا من الرجل . ومن أجل هذا سميت امرأة ، لأنها من امرء أخذت . إن آدم يتنبأ هنا عن الرابطة الزوجية المستقبلة بين الرجل والمرأة ، والتى تؤلف الحجر الأساسى

لكل شركة . فآدم لم يجد بين الحيوانات التى أحضرت له أى نظير له ، ولكنه وجد هذا النظير أو الرفيق فقط فى المرأة .

وبالنسبة لكتابات الآباء عن الكيفية التى خلقت بها المرأة ، وعن مدلول هذه الخلقة ، انظر :

1- Chrys. Gen. hom. 15, 3, 2, M. 53, 121, 122, 120.
2- August. m. 34, 205, John IX, 10, m. 35, 1403.
3- Theod. Hell. 5. M. 83, 944.
4- Theoph. 2. Autol. 28, B. 5, 40.
5- Ambros. lib. de parad. C. 10, 48, m. 14, 315.

« لذلك يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بإمرأته ويكونان جسدا واحدا » (تك ٢ : ٢٤) .

إن آدم هنا يواصل كلامه السابق ويحدد بصورة واضحة ، رابطة سر الزواج المقدس ، ويضع الأساس الذى يجب أن تبنى عليه علاقة الزوج بزوجته من ناحية ، وعلاقته بالوالدين من ناحية أخرى . فلابد أن يحدث نوع من الفطام النفسى فى الأسرة الجديدة بالنسبة للأسرة القديمة . وهناك كثير من المشاكل تنشأ فى الحياة الزوجية بسبب استمرار فرض الوصاية من الوالدين على ابنائهما حتى بعد الزواج . فى الزواج يتم نوع من الاتحاد القوى بين الزوج والزوجة ، إذ يصير الاثنان جسدا واحدا . ويمكن أن يثمر هذا الزواج بانجاب البنين .

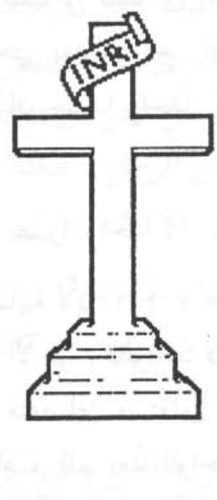
ولكن كيف يمكن للاثنين أن يصيرا واحدا ؟

لا يمكن أن يتم هذا بعملية حسابية لأن ١ + ١ = ٢ . ولكن بفاعلية الروح القدس التى تجعل الواحد لا يتكامل إلا فى الآخر . فالواحد لا يعود واحداً صحيحاً إلا فى الآخر وبالآخر ، وبهذا لم نعد أمام اثنين منفصلين مستقلين الواحد عن الآخر ، بل نصبح أمام اثنين حدث بينهما نوع من الاتحاد ، فلم يعد الواحد فيهما يشعر بفردية منفصلة عن الآخر ، بل يشعر بها من خلال الآخر وفى الآخر . أصبح جسد الرجل وروحه ، يتكاملان فى جسد المرأة وروحها . وهكذا يمكن أن تتحقق الوحدة بينهما بالصورة التى أرادها الله لنا . إن المشاكل فى الحياة الزوجية ، تحدث عندما يحتفظ كل من الطرفين بذاتيته وفرديته مستقلة منفصلة عن الآخر ولا يصير مع الآخر جسدا واحدا .

حالة آدم وحواء قبل السقوط :

كان آدم وحواء فى حالة قصوى من السعادة والهناءة فى الجنة . وقد زودا بهبات طبيعية وخارقة للطبيعة ، وكانا مبتهجين بتكريس حياتهما بأكملها لله . وكانا على حالة من الطهارة والبراءة . كانا عريانين ولكنهما لم يخجلا ، فقد كان بين الجسد والنفس توافق وانسجام وتناسق تام . فالجسد فى حالة طاعة للنفس . والقوى الأقل فى النفس فى حالة طاعة وخضوع للقوى الأعلى . والكل (الجسد والنفس بكل قواها) يخضع لله . لقد وصف القديس أوغسطينوس حالة السعادة التى كان عليها آدم وحواء فى الجنة فقال :

كان الطعام والشراب مهيأين لآدم وحواء ، فلا يجوعان ولا يعطشان ، وكانت هناك شجرة الحياة فلا تصيبهما الشيخوخة . لم يتعرضا لأى مرض ، وليس هناك ما يعرضهما للخوف . كان الجسد فى حالة صحية سليمة ، وكانت النفس مليئة بالراحة والفرح . لم يصبهما أى تعب ، ولم تستسلم عيونهما للنوم ، على غير إرادتهما . كل شيء كان ميسرا . الفرح والبهجة ينبعان من كل الجوانب .



٥ ــ السقوط والعقوبة

أولاً : السقوط (تك ٢٥:٢ــ١٣:٣) .

« ***وكانا كلاهما عريانين ، آدم وامرأته ، وهما لا يخجلان*** » ((تك ٢٥:٢) .

ولكن ، لماذا لا يخجلان ؟

لأنه ــ كما قلنا سابقا ــ كان هناك اتساق تام بين النفس وبين الله ، ونتيجة لذلك ، كان هناك اتفاق واتساق بين الجسد والنفس ، أو بين الروح والبدن . ومن الخلل والاضطراب الذى يصيب هذا الاتساق ، تنبع الأهواء والشهوات والخطايا التى تظلم العقل أولاً ، ثم بعد ذلك تحمل الخجل .

« ***وكانت الحية أحيل جميع حيوانات البرية التى عملها الرب الإله . فقالت للمرأة : أحقا قال الله لا تأكلا من كل شجر الجنة ، فقالت المرأة للحية : من ثمر شجر الجنة تأكل ، وأما ثمر الشجرة التى فى وسط الجنة ، فقال الله لا تأكلا منه ولا تمساه لئلا تموتا*** » (تك ١:٣ــ٣) .

أحيل : لا يتكلم هنا عن العقل أو الفهم ، ولكنه يتكلم عن القدرة البارعة على الخداع . إن فكر الحية وما تميزت به من حيلة وخداع ، كان مثلا سائرا فى القديم . وجاء فى البشارة للقديس متى : « ***كونوا حكماء كالحيات*** » (مت ١٦:١٠) .

لقد اتبعت الحية طريق التساؤل ، لكى تثير الشك فى قلب حواء . ومن أجل أن تثير الكراهية فى حواء تجاه الله تساءلت : « ***أحقا قال الله لا تأكلا من كل شجر الجنة*** » (تك ٢:٣) . وبلا شك نجحت الحية (أو نجح الشيطان فى الحية) ان تقلد صوت الإنسان .

ومن الممكن أن يكون الله قد تكلم إلى آدم أو أعطاه الوصية ، وذلك عقليا وليس بالكلام المنطوق . ولعل هذا هو ما جعل الشيطان لم يعرف وصية الله بدقة ، كما يبدو من تساؤله : أحقا قال الله لا تأكلا من كل شجر الجنة ؟

على أن حواء بدل أن تبعد بآذانها عن الشيطان ، وتهرب بعيدا ، أجابت على تساؤل الشيطان ، وأصغت إلى حديثه الخادع لها ، ووقعت فى حبائله ، واسترسلت معه ، وكشفت له الوصية كاملة ، كمن وضع درة أمام الخنازير .

وكانت الشجرة المحرمة على آدم تقع فى وسط الجنة . وهو المكان المتوقع أن يوجد فيه آدم وحواء أكثر الوقت . وهكذا كانت الفرصة مواتية لآدم وحواء ، لكى ينظرا هذه الشجرة بصورة دائمة ، ولكى يمارسا تدريبا روحيا مستمرا على الطاعة والخضوع لأمر الرب .

« ***فقالت الحية للمرأة لن تموتا*** » (تك ٣:٤) .

لقد جعل الشيطان ، الله ، كاذبا ، ثم جعله حاسدا للإنسان ، وادعى أن الله يعوق الإنسان عن أن يكون مثله عارفا الخير والشر « ***بل الله عالم أنه يوم تأكلا منه ، تنفتح أعينكما وتكونان كالله عارفين الخير والشر*** » (تك ٣:٥) . لقد أوهمهما الشيطان أنهما إذا أكلا من ثمر شجرة معرفة الخير والشر ، فإنهما سوف يصيران مثل الله ، لا من حيث الجوهر ، بل من حيث معرفة الخير والشر ، أى سوف يصيران كاملا المعرفة ، ويستطيعان أن يحددا بدون الله ما يجب فعله ، وما يجب الامتناع عنه ، ويتم ذلك بكامل الحرية . وكان يجب على حواء أن تدرك ما فى كلام الشيطان من خداع وما يخفيه من شر . ولكن الأمل فى المعرفة التامة وفى الاستقلال الكامل عن الله قد خدعها . وهكذا بعد الله عن الإنسان وحرمه من نعمته الإلهية التى خسرها الإنسان بسبب الخطية .

« ***فرأت المرأة أن الشجرة جيدة للأكل وأنها بهجة للعيون ، وأن الشجرة شهية للنظر ، فأخذت من ثمرها وأكلت وأعطت رجلها أيضا معها فأكل*** » (تك ٣:٦) .

حتى هذه اللحظة ، كانت حواء تنظر الشجرة مرات كثيرة ، أما الآن فإنها تراها للمرة الأولى بنظرة مختلفة لأنها تنظر إليها باستعداد نفسى مختلف . وبشهوات غير معقولة وغير لائقة ، وترى فيها نعما وميزات لم تكن تعرفها سابقا . وقبل كلمات الشيطان لم تر حواء فى هذه الشجرة ، هذه البهجة التى تراها الان . فأخذت من ثمرها وأكلت وأعطت رجلها أيضا معها فأكل . وهكذا صارت الخطيئة الأولى . ولم يصدر هذا الفعل من قبل ضعف غير أثيم ، وكذلك لم يكن مجرد حدث بسيط مؤسف ، ولكنه يمثل أبشع خطية . وهو فعل له خصائص الخطيئة المميتة القاتلة ، لأنه تم بكامل المعرفة وبكامل الحرية . هذه الخطيئة

وجهت ضد الموجود الأسمى . إنها خطيئة الكبرياء والتعجرف والتغطرس والكفر وعدم الإيمان والسفه الأخلاقى ، فضلا عن العصيان والتمرد على الله الكائن الأعلى . ومع ذلك فإن هذه الخطية تعتبر أقل من خطيئة الملائكة الذين سقطوا ، لأن آدم وحواء كان لهما معرفة أقل .

وبعدما أكلت حواء « أعطت رجلها أيضا معها فأكل » . وآدم ، بلا شك ، قد أكل ليشترك مع حواء فى نفس النفع الذى تنتظر تحققه من الأكل من هذه الشجرة . وهكذا خدع الرجل من المرأة (١تى ٢:١٤) ، « **فانفتحت أعينهما وعلما أنهما عريانان . فخاطا أوراق تين وصنعا لأنفسهما مآزر** » (تك ٣:٧) .

لقد عرف آدم وحواء الخير والشر عن طريق فقدانهما للخير . أما الخير ، فقد كان هذه النعم والهبات الإلهية التى منحها الله لهما قبل السقوط ، أى أنهما **عرفا** الخير والشر ليس فى ضوء الحقيقة الإلهية والقداسة الإلهية ، ولكن على حسابهما وبالتضحية بهما . لقد أظلم العقل وضعفت الإرادة وفقدا براءتهما وقداستهما . ولحقت الضعفات بالجسد ودهمه الموت . ونتيجة لهذه الصورة المأساوية الدامية للروح وقد تعرت عن الفضيلة صار الجسد لهما عارياً . ولكن هل إلى هذه اللحظة لم يعرفا أنهما عريانان ؟ بلا شك . لا . لقد عرفا بهذا العرى إلا أنهما لم يكونا يخجلان ، على نحو ما يحدث فى عالم الطفولة . فالأطفال لا يحسون بالخجل من أجسادهم العارية . أما الآن ، وقد ثارت روح الإنسان على الله ، فإن جسد الإنسان أيضا صار يثور على روحه . ونتيجة لذلك خاطا لأنفسهما أوراق تين وصنعا مآزر . لم يكونا يخجلان من الله قبل الخطيئة ، وأما بعد الخطيئة فقد أصابهما الخجل من الله وكذلك من أنفسهما .

ومن هذا العدد — كما أشرنا سابقا — يستنتج البعض أن شجرة معرفة الخير والشر كانت شجرة تين ، والبعض الآخر يعتقد أنها شجرة تفاح ، بناء على ما ورد فى سفر نشيد الأناشيد « **كالتفاح بين شجر الوعر** » (نش ٢:٣) .

ولكن هل يمكن تغطية الضمير ، والتهرب من تبكيته ؟ وهل تصلح أوراق التين لتخفى تكبت صوت الضمير الصارخ ؟

« **وسمعا صوت الرب الإله ماشيا فى الجنة عند هبوب ريح النهار ، فاختبأ آدم وامرأته من وجه الرب فى وسط شجر الجنة** » (تك ٣:٨) .

بعد الخجل بسبب الخطيئة ، تولد الخوف . وهكذا يمكن القول أن الخجل والخوف هما من ثمار الخطيئة .

ولا يعنى هذا العدد ، أن الله بالضرورة — وإن كان هذا من الممكن — ظهر لآدم وحواء بصورة واضحة ظاهرة فى وسط الجنة ، أو أن الله حضر لآدم وحواء ، حيث كانا فى الجنة . إن الخطاة ، بدافع من الخوف — بسبب الخطيئة — يملأهم الرعب ويحسون بحضور الله وينزعجون بهذا الإحساس كما لو أنهم يوجدون فى حضرة الله مواجهة . ويبدو من تصرف آدم وحواء كيف أظلمت الخطيئة عقليهما حتى أنهما اعتقدا ، فى ظلام تفكيرهما — أنهما من الممكن أن يختبئا عن وجه الرب .

« فنادى الرب الإله آدم وقال له : أين أنت . فقال : سمعت صوتك فى الجنة فخشيت ، لأنى عريان فاختبأت » (تك ٣:٩،١٠) .

إن عبارة « أين أنت » تعنى : أين كنت من قبل واين أنت الآن ؟ أين هى وعود الشيطان واغراءاته ؟ اين هى محبتك وأين أمانتك ؟ أين هى براءتك ؟ من أين جاء خجلك ومن أين كان عريك ؟

« فقال من أعلمك أنك عريان . هل أكلت من الشجرة التى أوصيتك أن لا تأكل منها » (تك ٣:١١) .

لقد سبق الله — كما ورد فى العدد التاسع من هذا الأصحاح — فأثار الإحساس بالخطأ فى آدم وحواء ، ولكن كان ذلك بطريقة غير واضحة وغير محددة . وأما الآن فى هذا العدد ، فإن الله يتكلم بشكل واضح محدد *« هل أكلت من الشجرة التى أوصيتك أن لا تأكل منها »* . ثم إن تساؤل الله ، فيه حث لآدم على الإحساس بالخطأ والشروع فى التوبة .

« فقال آدم : المرأة التى جعلتها معى هى أعطتنى من الشجرة فأكلت » (تك ٣:١٢) .

بدل ان يعترف آدم بمسئوليته ، أحال المسئولية على حواء وعلى الله ، الذى خلق حواء لآدم .

« فقال الرب الإله للمرأة : ما هذا الذى فعلت . فقالت المرأة : الحية غرتنى فأكلت » (تك ٣:١٣) .

من الواضح ، أن حواء لم تنتفع شيئا من مخالفتها ، وكذلك لم ينتفع زوجها الذى خدعته . ولقد حاولت حواء أيضا ـــ كما فعل آدم ـــ أن تحيل المسئولية على الحية وعلى الله الذى خلق الحية . وبلا شك فقد أدان الله حواء لأنها أخطأت .

إن آدم وحواء يحملان مسئوليتهما كاملة فى خطيئتهما . إن الآخرين قد يدفعونا إلى الخطيئة ، ويمكن أن تكون ثمة اغراءات تدفع إلى الخطيئة ، ولكن هذا كله لا يرفع المسئولية الشخصية ، فالقرار فى النهاية يرد إلى إرادة الإنسان وحريته . الإنسان مسئول عن خطيئته وهو بلا عذر .

عقاب الابوين الأولين والوعد بالمخلص
(تك ٣ : ١٤ ـــ ٢٤)

« فقال الرب الإله للحية ، لأنك فعلت هذا ، ملعونة أنت من جميع البهائم ومن جميع وحوش البرية . على بطنك تسعين وترابا تأكلين كل أيام حياتك » (تك ٣:١٤) .

بعد أن تحددت الإدانة ، تستلزم العدالة الإلهية توقيع العقوبة المناسبة . وقد بدأها الله مع الشيطان من خلال الحية التى استخدمها كوسيلة لتحقيق مأربه . إن الشيطان بلا شك له دور كبير ورئيسى فى صياغة خطيئة آدم وحواء ، وإن لم يكن هذا يحمل تجريد آدم وحواء من مسئلويتهما فى فعل الخطيئة ، فلو لم ينفتح قلبهما للخطيئة ، لما استطاع الشيطان أن يدخل إليه .

من باطن الإنسان ، ومن إرادته وحريته ، تنبع الخطيئة . لم يوجه الله السؤال إلى الحية فيخاطبها قائلا : لماذا فعلت هكذا ؟ وذلك لأن الله ، وهو كلى المعرفة ، يعرف أن الحية لم تتصرف هكذا من ذاتها ، بل إن الشيطان هو الذى حركها على هذا العمل بعد أن سقط هو فى الخطيئة .

ومنذ ذلك الوقت ، بدأت العداوة بين الحية والإنسان ، وأصبحت الحية تثير الرعب والخوف ، وصار الإنسان يطاردها بكراهية . لقد أصبحت الحية بذلك ، رمزا للخطيئة وصورة لها ، فكلا منهما ـــ الخطيئة والحية ـــ يحمل الأذى والضرر إلى الإنسان .

« على بطنك تسعين » . وكما يهشم الأب المحب ، السكينة أو الأداة ، التى قُتل بها ابنه ، هكذا كان الأمر مع الحية ، فقد عوقبت على الرغم من أنها فعلت ما فعلت ، بدون إحساس أو شعور . وبهذه العقوبة التى وقعت على الحية التى كانت أداة للشيطان ، يتبين

لنا الوضع الذى يكون للشيطان . ولا يستلزم من هذه العقوبة الاستنتاج بأن الحية كانت ذات أقدام فيما مضى ثم فقدتها ، بل يمكن القول أنها كانت تسير فيما سبق منتصبة ، ثم كعقاب لها صارت تسعى على بطنها . لقد كانت الحية تتكلم إلى حواء وهى منتصبة ، ففقدت هذه القدرة . ولعلنا نلاحظ الآن كيف أن الحية كثيرا ما تشتهى أن تسير منتصبة وتجرى فى شكل حلزونى .

« ***وترابا تأكلين*** » . إن الحكم على الحية بأن تسعى على بطنها ، يجعلها تبدو كمن يأكل تراب الأرض على الدوام كل أيام حياته . وتشير عبارة « ترابا تأكلين » إلى حالة الانسحاق والتحطيم التى صارت إليها الحية .

« ***واضع عداوة بينك وبين المرأة وبين نسلك ونسلها ، هو يسحق رأسك ، وأنتِ تسحقين عقبه*** » (تك ٣:١٥) .

الإشارة هنا ليست إلى ميل عدائى يكون بين المرأة والحية ، ولكن بين الشيطان الذى يوجد فى الحية ، وبين امرأة ما فى المستقبل ، فالشيطان قد هزم المرأة وبواسطتها هزم الرجل ، ولكنه أيضا سوف يهزم بواسطة المرأة ، أى بواسطة يسوع المسيح الذى يولد من السيدة العذراء ويهزم إبليس ، كما رأينا فى تجارب السيد المسيح الثلاثة مثالا لهذه الهزيمة . ويبدو هذا المعنى بشكل واضح فى العبارة التالية « وبين نسلك ونسلها » . ويلاحظ أن لكلمة « نسلك » معنى فرديا ، وأيضا لها معنى جمعى ، أى أنها تشير إلى شخص واحد وأيضا تشير إلى كثير من النسل والذرية ، سواء حسب الجسد أو حسب الروح . وأما فى هذا المكان فإنها تشير إلى المعنى الفردى أى إلى شخص واحد ، وهو الذى سوف يسحق شخصا آخر . وليس من المعقول أن تكون الإشارة هنا إلى مجموعة من البشر أو إلى البشرية كلها تسحق رأس الحية . وهذا المعنى الفردى لكلمة « نسل » قد أكده الرسول بكل وضوح فى رسالته إلى غلاطية عندما قال « ***وأما المواعيد فقيلت فى إبراهيم وفى نسله ، لا يقول وفى الأنسال كأنه عن كثيرين ، بل كأنه عن واحد ، وفى نسلك الذى هو المسيح*** » (غلا ٣:١٦) . إن عبارة « نسلك » تشير إلى مخلص فى المستقبل ، أى تشير إلى المسيح . كذلك تشير إلى عذراوية والدة الإله ، لأنه لم يقل « وبين نسل الرجل » ولكنه قال « وبين نسلك » أى نسل المرأة .

« ***وهو يسحق رأسك وأنتِ تسحقين عقبه*** » (تك ٣:١٥) . من المعروف ان الإنسان لا يقرب الحية فقط من الرأس ، بل أيضا من أجزاء أخرى من جسمها ، وكذلك الأمر بالنسبة للإنسان ، فالحية لا تقربه فقط من عقبه بل من أجزاء أخرى من جسمه ،

ولذلك فيجب ان يرتفع ذهننا إلى المعنى الروحى وراء هذا المعنى الحسى ، أى الإشارة إلى سيادة المخلص وتسلطه على إبليس ، الذى تشير إليه من الناحية الحسية سيادة الإنسان على رأس الحية .

وفى هذه الأعداد ، إشارة إلى لاهوت السيد المسيح وناسوته ، دون أن يكون ثمة انفصال بين اللاهوت والناسوت لحظة واحدة ولا طرفة عين . فعبارة « تسحقين عقبه » تشير إلى الناسوت وما تعرض له من آلام الصليب . أما عبارة « نسلك » فهى تشير إلى اللاهوت . فهو لم يقل هنا — كما أشرنا سابقا — « نسل الرجل » بل « نسلك » أى نسل المرأة ، لأن السيد المسيح لم يولد بزرع بشرى .

« ***وقال للمرأة ، تكثيرا أكثر أتعاب حبلك . بالوجع تلدين أولادا ، وإلى رجلك يكون اشتياقك ، وهو يسود عليك*** » (تك ١٦:٣) .

بسبب الخطيئة ، يتعرض الجسد للآلام « بالوجع تلدين » . إن المرأة أخطأت أولا ، ولذلك فقد عوقبت أولا . إن شهوة حواء ، فى أن تصير مثل الله ، انقلبت إلى عقوبتها ، فتصير معتمدة على الرجل . إن شوقها القوى للأكل من الشجرة الممنوعة ، قد عوقبت عليه بالألم والوجع . إن خداعها للرجل إنتهى إلى أن يسود عليها فيخضع الخادع للمخدوع . إن حواء قد عوقبت كأم وزوجة . كأم لأنها تلد أولاداً بالوجع ، وكزوجة لأنها تصير خاضعة لزوجها . أما العقوبة الأولى أى الولادة بالوجع ، فهى ما تعانيه كل السيدات اللواتى يلدن . وأما العقوبة الثانية ، فهى معروفة لدى المرأة قبل عصر المسيح ، عندما كان للزوجة وضع العبد بالنسبة للسيد .

« ***وقال لآدم لأنك سمعت لقول امرأتك وأكلت من الشجرة التى أوصيتك قائلا لا تأكل منها ، ملعونة الأرض بسببك ، بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك*** » (تك ١٧:٣) .

بالسقوط فى الخطيئة ، وعصيان الإنسان لأوامر الله ، نزع الله اهتمامه الحانى العطوف عن الإنسان ، وتوقف تسلط الإنسان على الطبيعة . فالنباتات والحيوانات ، بعد أن كانت خاضعة بالطبيعة للإنسان ، صار بعضها معطلا وضارا بالإنسان ، وصار البعض الآخر خطيرا أو قاتلا . لقد اكتسب الشيطان قوة على الطبيعة ، لكى تضر سيدها السابق ، ومن أجل هذا يقول الرسول بولس « ***إذ اخضعت الخليقة للبطل ، ليس طوعا بل من أجل الذى اخضعها على الرجاء*** » (رو ٢٠:٨) .

« وبالتعب تأكل منها » . فى الجنة كان الأكل يعتمد على ثمر الشجر وبذور الأرض ***« إنى قد أعطيتكم كل بقل يبزر بزرا على وجه كل الأرض ، وكل شجر فيه ثمر شجر يبزر بزرا ، لكم يكون طعاما ، ولكل حيوان الأرض وكل طير السماء وكل دبابة على الأرض فيها نفس حية أعطيت كل عشب أخضر طعاما »*** (تك ١ :٢٩، ٣٠) .

« شوكا وحسكا » . الحسك هو نوع من النبات الشوكى ، ويمكن القول أن الشوك والحسك كانا يوجدان أيضا قبل السقوط ، غير أنهما اكتسبا خاصية ضارة مؤذية للإنسان بعد السقوط .

« وبعرق وجهك تأكل خبزا حتى تعود إلى الأرض التى أخذت منها ، لأنك تراب وإلى التراب تعود » (تك ٣ :١٩) .

إن اثقل الأوجاع التى يمكن أن تحل بالجسد ، بالنسبة لآدم وحواء ، هى الموت . بعد السقوط ، إذا انفسخ الرباط بين النفس والجسد ، فإن الجسد ، بسبب انحلاله الطبيعى ، يتعرض للموت . إن الموت ليس هو مجرد نتيجة ولكنه هو فى نفس الوقت الصورة المفزعة للموت الروحى المتمثل فى انفصال النفس عن الله .

بالنسبة لخلود النفس ، فإننا نعلم أن طائفة الصدوقيين (إحدى الطوائف اليهودية) كانت تنكر خلود النفس . كان الصدوقيون يقولون ليس قيامة . فأجابهم السيد المسيح وقال لهم : ***« وأما من جهة قيامة الأموات ، أفما قرأتم ما قيل لكم من قبل الله القائل أنا إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب . ليس الله إله أموات ، بل إله أحياء »*** (مت ٢٢ :٣١) — انظر : (خر ٣ :٦ ، ٤ :٥) . ومعنى ذلك ان نفوس إبراهيم وإسحق ويعقوب هى نفوس حية ، وعلى ذلك فالنفس خالدة لا تموت . ولا يمكن القول أن العهد القديم أغفل الإشارة إلى خلود النفس . فإذا كان الإنسان — كما قيل — قد خلق على صورة الله وشبهه ، فإنه يلزم من هذا ، أن يكون الإنسان ذا نفس خالدة ، وإلا فمعنى ذلك أن الله ليس خالدا .

ثم ان هناك عبارات وردت فى كتابات موسى النبى ، تشير إلى خلود النفس . فالعبارة ***« انضم إلى قومه »*** (تك ٢٥ :٨) تشير بطريق ما إلى خلود الإنسان ، وهى تختلف عن كلمة « مات » ، لأنها تعنى أن الشخص الذى انتقل ، تقابل مع من سبق وانتقل من قومه . ويبدو إيمان يعقوب بالخلود فى العبارة التى قالها عندما ظن أن وحشا قد افترس يوسف ، إذ قال ***« إنى أنزل إلى ابنى نائحا إلى الهاوية »*** (تك ٣٧ :٣٥) .

ثم ان موت الأبرار ، اعتبر أفضل من حياة الخطاة « **لتمت نفسى موت الأبرار ، ولتكن آخرتى كآخرتهم** » (عد ٢٣: ١٠) . وهذا لا يمكن أن يفسر إلا من خلال الاعتقاد بخلود النفس . ثم ان استشارة الموتى (تث ١٨: ١١) فيه تأكيد للإيمان بخلود النفس . وثمة آيات أخرى فى كتاب العهد القديم ، تشير إلى خلود النفس ، مثل : « **يُهبِط إلى الهاوية ويُصْعِد** » (١صم ٢: ٦) .

« **لأنك لن تترك نفسى فى الهاوية . لن تدع تقيك يرى فسادا** » (مز ١٦: ١٠) .

« **إنما الله يفدى نفسى من يد الهاوية لأنه يأخذنى** » (مز ٤٩: ١٥) .

« **لأنه كما أن السماوات الجديدة والأرض الجديدة التى أنا صانع تثبت أمامى يقول الرب ، هكذا يثبت نسلكم واسمكم** » (إش ٦٦: ٢٢) .

« **وكثيرون من الراقدين فى تراب الأرض يستيقظون ، هؤلاء إلى الحياة الأبدية ، وهؤلاء إلى العار للإزدراء الأبدى . والفاهمون يضيئون كضياء الجلد ، والذين ردوا كثيرين إلى البر كالكواكب إلى أبد الدهور** » (دا ١٢: ٢، ٣) .

« **هأنذا ارسل إليكم إيليا النبى ، قبل مجيء يوم الرب ، اليوم العظيم والمخوف ، فيرد قلوب الآباء إلى الابناء ، وقلب الابناء على آبائهم** » (ملا ٤: ٥) .

« **نفوس الصديقين فى يد الله ولا يمسهم عذاب** » (حكمة سليمان ٣: ١) .

« **أما الصديقون فيحيون إلى الدهر ، وعند الرب ثوابهم ، وعند العلى اهتمامهم** » (حكمة سليمان ٥: ١٦) .

. . .

وفى نهاية الحديث عن الإنسان ، كصورة الله ، نشير هنا إلى أن **سقوط** آدم فى الخطيئة ، لم يتبعه فقدان الصورة بشكل مطلق ، أى تلاشيها وزوالها وانعدامها وضياعها تماما ، ولكنها اسودت وتلطخت وتشوهت . لم تصل صورة الله فى الإنسان إلى حالة التدمير التام الذى لا يقبل الإصلاح ، وذلك واضح — كما أشرنا سابقا — فى الوعد الذى أعطى بعد السقوط « **وأضع عداوة بينك وبين المرأة وبين نسلك ونسلها ، وهو يسحق رأسك وأنت تسحقين عقبه** » (تك ٣: ١٥) .

ومن المفيد هنا أن نشير إلى رأى القديس أثناسيوس الرسولى كما ضمنه فى كتابه عن « تجسد الكلمة » (ترجمة القس مرقس داود) .

يقول القديس أثناسيوس فى الفصل الرابع عشر :

١ ــ وإن **تلطخت** الصورة المنقوشة على الخشب بالأدران من الخارج وأزيلت ، فلابد من حضور صاحب الصورة نفسه ثانية ، لكى يساعد الرسام على تجديد الصورة على نفس اللوحة الخشبية ، لأنه اكراما لصورته يعز عليه أن يلقى بتلك اللوحة ، وهى مجرد قطعة خشبية ، بل يجدد عليها الرسم .

٢ ــ وعلى هذا المثال عينه ، أتى إلى عالمنا ابن الآب الكلى القداسة ، إذ هو صورة الآب ، لكى يجدد خلقة الإنسان الذى خلق مرة على صورته ، ويجدده ، بمغفرة الخطايا ، كما يقول هو نفسه فى الإنجيل « ***إنى جئت لكى أطلب وأخلص ما قد هلك*** » (لو ١٠:١٩) . ومن أجل هذا قال أيضا لليهود « ***إن كان أحد لا يولد ثانية*** » (يو ٥،٣:٣) . وهو لا يقصد بهذا ــ كما ظنوا ــ الولادة من امرأة ، وإنما قصد التحدث عن إعادة ميلاد النفس وتجديد خلقها على مثال صورة الله .

٣ ــ ولكن إن كانت العبادة الوثنية والمعتقدات الإلحادية قد سادت العالم ، وإن كانت معرفة الله قد اخفيت ، فمن ذا الذى كان يقوم بتعليم العالم عن الآب ؟ إن قال أحد أن هذه هى مأمورية الإنسان أجبناه أنه لم يكن فى مقدور الإنسان أن يجتاز إلى كل مكان تحت الشمس ، لأنه ليست لديه القوة الجسدية التى تمكنه من أن يركض بهذه السرعة ، ولا هو يستطيع أن يدعى المقدرة على القيام بهذا الأمر ، ولا هو يستطيع ــ من تلقاء نفسه ــ مقاومة غواية الأرواح الشريرة وحيلها .

٤ ــ لأنه إذ انحرف الجميع فى تيار غواية الشيطان وأباطيل الأوثان ، فكيف كان ممكنا لهم أن يريحوا نفس الإنسان وعقله وهم عاجزون حتى عن رؤية النفس والعقل ؟ وكيف يتاح لشخص أن يجدد ما لم يبصره ؟

٥ ــ ولعل أحد يقول أن الخليقة كانت كافية . ولكن لو كانت الخليقة كافية ، لما حدثت كل هذه الشرور الجسيمة مطلقا . لأن الخليقة كانت موجودة فعلا ، وكان البشر لا يزالون يتخبطون فى نفس الضلالة عن الله .

٦ — فإلى من إذن كانت تدعو الحاجة ، إلا لكلمة الله الذى يبصر النفس والعقل ، والمحرك لكل ما فى الخليقة ، وبها يجعل معرفة الآب طاهرة ؟ لأن الذى كان يعلم البشر عن الآب باعمال عنايته وبتدبيره لكل الأشياء ، هو الذى يستطيع أن يجدد ذلك التعليم عينه .

٧ — إذن كيف كان ممكنا أن يتم هذا ؟ رب امرىء يقول أنه كان ممكنا له أن يعلن الحق عن الآب مرة أخرى بنفس الوسيلة السابقة ، أى باعمال الخليقة . لكن هذه لم تعد وسيلة مضمونة . بل بالعكس أن البشر سابقا رفضوا أن يبصروها ، ولم يعودوا يشخصون بأبصارهم إلى فوق بل إلى أسفل .

٨ — لهذا إذ ابتغى منفعة البشر ، كان طبيعيا أن يأتى إلينا كإنسان ، آخذا جسدا كسائر البشر ، ليعلمهم من الأمور الأرضية — أى بأعمال جسده — حتى يستطيع من لا يريدون أن يعرفوه من أعمال عنايته وسلطانه على كل الأشياء ، أن يبصروا الأعمال التى عملها بجسده الفعلى ، ويعرفوا كلمة الله الحال فى الجسد ، وفيه يعرفون الآب .

ويقول أيضا القديس أثناسيوس ، فى الفصل السابع :

١ — وإن كنا قد وصلنا إلى هذه النتيجة ، فإننا من الناحية الأخرى نجد مطالب الله العادلة تصطدم بها ، إذ يجب أن يكون الله أمينا وصادقا من جهة حكم الموت الذى وضعه لأنه يكون شنيعا جدا لو كان الله أبو الحق يظهر كاذبا من أجلنا ومن أجل انقاذنا من هذا الموت ؟

٢ — ومرة أخرى نقول : أى طريق كان ممكنا أن يسلكه الله ؟ أيطلب من البشر التوبة عن تعدياتهم — وهذا قد يرى لائقا بالله — لعلهم كما ورثوا الفساد بسبب التعدى ينالون عدم الفساد بسبب التوبة ؟

٣ — ولكن التوبة (أولا) لا تستطيع أن توفى مطلب الله العادل ، لأنه إن لم يظل الإنسان فى قبضة الموت يكون الله غير صادق . (ثانيا) تعجز عن أن تغير طبيعة الإنسان ، لأن كل ما تفعله هو أنها تقف حائلا بينه وبين ارتكاب الخطيئة .

٤ — ولو كان الأمر مجرد خطأ بسيط ارتكبه الإنسان ، ولم يتبعه الفساد ، فقد تكون التوبة كافية . أما الآن وقد علمنا أن الإنسان بمجرد التعدى انجرف فى تيار الفساد

الذى أصبح طبيعة له ، وحرم من تلك النعمة التى سبق أن أعطيت له ، وهى مماثلة صورة الله ، فما هى الخطوة التالية التى كان يستلزمها الأمر ؟ أو من ذا الذى يستطيع أن يعيد اليه تلك النعمة ويرده إلى حالته الأولى ، إلا كلمة الله الذى خلق كل شيء من العدم فى البدء ؟

٥ ــ لهذا كان أمام كلمة الله مرة أخرى أن يأتى الفاسد إلى عدم فساد ، وفى نفس الوقت أن يوفى مطلب الآب العادل المطالب به الجميع . وحيث أنه هو كلمة الآب ، ويفوق الكل ، فكان هو وحده الذى يليق بطبيعته أن يجدد خلقة كل شيء ، وأن يحتمل الآلام عوضا عن الجميع ، وأن يكون نائبا عن الجميع لدى الآب .

ويعلق كاتب مقدمة الترجمة الإنجليزية على كلمات أثناسيوس الرسولى هذه ويقول :

إن صورة الله لا تمحى مطلقا حتى من أشر البشر ، ولكنها تشوه فيهم (فصل ١:١٤ ــ الخ) ، وأنه حتى وإن فقدت النعمة (فصل ٤:٧) فإن الإنسان لا يمكن أن يصل إلى الحالة التى يصبح فيها كأنه لم تكن له علاقة بالله مطلقا (ص ١١) . ومن اللاهوتيين من يذهب إلى القول بأن آدم لم يفقد القدرة على صنع الفضيلة الأخلاقية ولكنه فقد القدرة على صنع الفضيلة الروحية ، فهذه لايمكن أن ينجزها إلا بنعمة الروح القدس فى المسيح يسوع .

ومن ناحية أخرى ، فإن الكثيرين من الآباء ومعلمى الكنيسة الأولى ، يشيرون ، إلى أن آدم وحواء كانا من ضمن الذين أنعم عليهم بالخلاص ، وكانا من بين النفوس ، التى كرز لها السيد المسيح فى الجحيم ونقلها إلى الفردوس . انظر :

1- Iren., elen. 111, 23, 8 + 1, 28 M. 7, 690.
2- Tertull., De praescr. C. 52 m. 2, 72 + De poenit. 12, m. 1, 1248.
3- Hippol., elen. 8, 16, B. 5, 343.
4- Orig., Mat. 8, 126, M. 13, 1777.
5- Greg. Naz., Log. 37, M. 36, 289.
6- August., De peccat. 11, 34, 55, m. 44, 183.

ويؤكد هذا كتاب سفر الحكمة لسليمان ، حيث يقول :

« **هذا المخلوق أولا من أبى العالم المبروء وحده حفظه الله وانقذه من هفوته** » (سفر الحكمة ١٠:١٠) .

صدر من هذه السلسلة ...

الجزء الأول ويحوى :

+ مفهوم العقيدة
+ مصادر العقيدة
+ منهج العقيدة
+ الإعلان الإلهى
+ الوحى والتقليد
+ معرفة الله
+ حول صفات الله

يطلب من مكتبة أسقفية الشباب بالأنبا رويس - العباسية

